البعد التَّرابطي في القرآن الكريم

(دراسة تفسيريَّة)

رسالة دكتوراه

الدكتورة

إقبال وافي نجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم
شعبة البحوث والدراسات القرآنية

العراق كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
موبايل: ٠٧٧١٩٤٩١٠٤٠ ٩٦٤+
web: www.dar-alquran.orq
E-mail: info@dar-alquran.orq

الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار القرآن الكريم

- اسم الكتاب : البعد الترابطي في القرآن الكريم
- تأليف : الدكتورة إقبال وافي نجم
- الاخراج الفني : محمد عامر محمد
- الناشـــــر: الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

قسم دار القرآن الكريم - شعبة البحوث والدراسات القرآنية

- المطبعة: دار الوارث للطباعة والنشر
- عدد النسخ: ١٠٠٠
- الطبعة: الاولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م
- رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٠٤٣) لسنة ٢٠١٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ ..

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، رسول الله الصادق الأمين وآل بيته الطيبين الطاهرين.

وبعد:

القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو سفر العربية الفريد وكنزها الثمين، الذي أذهل بلغاءَها وأعجز فصحاءها، الذي لا تخلقه كثرة الردّ ولا تنتهي غرائبه ولا تفنى عجائبه، وسيظل كما وصفه سيّد البلغاء وإمام الفصحاء أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:(... نوراً لا تُطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يُدرك قعره، ومنهاجاً لا يُضِل نهجه، وشعاعاً لا يُظلِم ضوؤه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تُهدم أركانه، وشفاءً لا تُخشى أسقامه، وعزاً لا تُهزم أنصاره، وحقاً لا تُخذل أعوانه، ... وعِلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى)[١].

فهذا البناء مُحكم السّرد، متماسك السبك، متين الأسلوب، متصل بعضه ببعض، كأنه عقد منتظم ؛تناسقت حروفه، وأئتلفت كلماته وجمله وآياته، والتحمت معانيه في

---

(١) نهج البلاغة: ٤٢٨ خ ١٩٨.

انسجامٍ تامٍ حتى جاء أوله مرتبطاً بآخره، وآخره مؤتلفاً مع أوله في نظام لا يرقى إليه أيّ كلامٍ أو نظم أبداً.

جاء اختياري موضوع الرسالة بعد تتبعي لدراسة الروابط في القرآن الكريم حينما أعددت رسالة الماجستير بعنوان(التناسب ودوره في الإعجاز القرآني)التي سلطت الضوء على علمٍ من علوم القرآن الكريم لم يحظ بأهمية كبيرة كما حظيت علوم القرآن الكريم الأخرى، وكشفت الدراسة عن وجهٍ من وجوه إعجاز القرآن الكريم القائم على الترابط بين أجزائه لفظ بلفظ وجملة بجملة وآية بآية بما يكشف عن نظمٍ ودقةٍ في الارتباط بينها - بشكلٍ لا يمكن أن يكون من فعل بشر- على الرغم من نزوله المتفرق فيما يقارب من ثلاث وعشرين سنة في أحوال أزمنتةٍ وأمكنة مختلفة مُتعددة بما يُثبت نزوله من لدن حكيمٍ خبير.

وبعد القراءات الكثيرة في هذا المجال تبلورت فكرة بحث الروابط في القرآن الكريم لتكون هذه الرسالة امتداداً وتتميماً للموضوع بدراسة أوسع وأشمل للأسس والعلاقات التي على أساسها ترتبط آياته وسوره ببعضها من دون تجزئة الآيات وتقطيعها عن بعضها وكأن لا علاقة لأحداها بالأُخرى، فتبدو السّورة وكأنها أشلاء مُقطّعة لا يربطها رابط كما في التفسير التجزيئي، فالتفسير القائم على أساس الروابط في السّورة يعدها نصّاً واحداً متكاملاً مرتبط الاجزاء بناءً على علاقات وأسس منطقية لتشمل الدراسة كل أبعاد النّص القرآني، اللغوية، والتركيبية، والبيانية وغيرها، مع مراعاة أهمية العناصر الفنيّة في تكامل النّص وتلاحم أجزائه هو الاسلوب الأمثل، بما يؤسس لاسلوب تفسيري شامل الأبعاد في دراسة النّص القرآني، إذ إن التركيز على جانب من جوانب القرآن الكريم دون آخر يُخلُّ بالفهم السّليم له ويحول دون معرفة أهدافه ومقاصده.

أهمية الموضوع:

لمّا كان تفسير القرآن الكريم يعني البيان أو الكشف عن مُراد الله تعالى من كتابه، فإن البحث في الروابط جانب مهم جداً في ذلك البيان والكشف، إذ تُعين معرفتها على الفهم الصحيح والدقيق للنّص القرآني، مما يجعل المُتلقي يصل الى الغرض المقصود من كلامه تعالى ويتحقق بذلك المقصد منه، ويمكن إجمال أهميته وفوائده في ما يأتي:

أ - تُسهم العلاقات والأسس التي تربط ما بين الآيات أو ما بين السّور في التفسير لأنها تُعين المُفسر على الوصول إلى مُراد الله تعالى عن طريق ربط الموضوعات ببعضها، سواءٌ في السّورة الواحدة أو في القرآن الكريم كافة، من خلال معرفة مقاصد النّص وأغراضه وأهدافه، فالروابط تُشكل أضواءً كاشفة عن ارتباط أجزاء النّص في تماسك ألفاظه و تلاحم معانيه، كما تُفيد المُفسر في ترجيح أحد الوجوه المُحتملة عند تعددها سواءٌ في بيان اللفظ أو الآية أو المقطع في السّورة بالربط بين المعاني المتآلفة، فيُرجّح ما هو أقرب إلى نظم الكلام وانسجام معانيه واتساقه مع الغرض المُساق إليه.

وإذا كانت الدراسات التفسيرية قد دأبت على تصنيف التفاسير بحسب المنهج الذي يتخذه المُفسر فصنفوها هذا تفسير لغوي وآخر بياني وثالث يطغى عليه الجانب الكلامي، حتى إذا أراد الباحث أن يدرس قضية ما من خلال التفاسير سيجد - بعد أن يجمع كل ما قيل فيها ليستخلص رؤية كاملة - سيجد النّص أمامه يبدو كأنه أجزاءٌ مجزأة، فلا بدّ عند تفسير النّص القرآني من الإحاطة بأبعاده كافة لتكون الدراسة متكاملة بربط الأجزاء ببعضها، ليتمكن من فهم واعٍ وصحيح لمدلولات النّص وما تختزنه الآيات الكريمة، دون الاكتفاء بالنظرة السريعة العجلى وتكون دراسة شاملة لكل أبعاد النّص القرآني والاحاطة بالظروف المرافقة لنزوله بشكلٍ لا يقل أهمية عن

دراسة الألفاظ ودلالاتها واستيعاب لمقتضيات التراكيب بمعرفة اتصال الأجزاء بعضها ببعض على أُسس سليمة وعلاقات صحيحة تكشف عن نصٍ متكامل له غرض كلي قُصد إيصاله الى المُتلقي تحقيقاً للهدف المرجو منه.

ب – تكشف الروابط عن وجهٍ من وجوه إعجاز القرآن الكريم، فعلى الرغم من تعدد الموضوعات بين أحكام وتشريعات، وقصص وأمثال، ووعد ووعيد وتضمُّنِهِ لجميع شؤون الحياة، ومع اختلاف زمن نزول آياته وسوره وأسبابها وتفرقه على سنوات عدّة، ومع اشتماله على موضوعات كثيرة، إلّا أن أجزاءه تترابط بشكلٍ عجيب حتى يُخيل لقارئ السّورة الواحدة أنها نزلت دفعة واحدة من غير تفكك أو خلل في تناسق آياتها بنظام خرق العادة وجاء متماسكاً قد أخذ كل جزء مكانه متتابعاً مع بقية الاجزاء إذ ليس بمقدور بشرٍ مهما أوتي من قدرة ومَلَكَة إبداعية أن يجمع نصّاً متفرق الأجزاء بهذا الشكل المُحكم.

ج – إن إدراك الترابط بين أجزاء النّص القرآني يأتي ردّاً دامغاً على مزاعم كل المُشككين في صحّة هذا النّص من مستشرقين ومن تابعهم الذين يرون أن القرآن الكريم عبارة عن مقاطع متفرقة مفكك الكلمات والألفاظ لا ينظمها ناظم ولا يربطها رابط، وإن ترتيبه جاء بشكلٍ اعتباطي لا يقوم على أي مبدأ – على حدّ قولهم – وأن نصوصه متفرقة مشتتة كما دعا بعضهم إلى إعادة ترتيب القرآن وفق نزوله.

ان أي عقل بشري مهما أوتي من قوة وحفظ وإحكام لا يمكنه أن يرتب هذه الآيات المتفرقة النزول على مدى سنوات طويلة بهذا النسق والترتيب والإحكام فتستقر الآية في مكانها ضمن السّورة، ونجد السّورة وكأنها نزلت دفعةً واحدة ولم تتفرق أجزاؤها على مدى سنوات، فلو أدركوا مدى الروابط والوشائج بين كل جزء

وآخر لاتضح لهم بما لا يقبل الشك أن هذا الكلام نصّ الهي معجز بكل ما فيه وأنه ليس من عند النبيﷺولا هو من قول بشر.

د – قبل كل هذا وذاك فالبحث عن الروابط بين آيات القرآن الكريم وجه من وجوه التدبر والتفكّر الذي حثّ عليه القرآن الكريم في أكثر من مورد كقوله تعالى:﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾[1] (النساء٨٢) و:﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[2](المؤمنون٦٨) و:﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[3](ص٢٩) وغيرها من الآيات الكريمة الحاثَّة على التَّدبر والتفكُّر فيه، كما دعا الى ذلك رسول اللهﷺوأهل بيته الطاهرون عليهم السلام ومارسوه عملياً عند خلال تفسيرهم وبياناتهم لآياته الكريمة.

الدراسات السّابقة:

من خلال متابعتي لموضوع الروابط فيما كُتب من الدراسات الاكاديمية سابقاً وجدت ندرة في الدراسات التفسيرية التي تتناول هذا الموضوع، فيكاد الأمر ينحصر في دراسة منهج هذا المفسر أو ذاك ممن اعتنى بالتناسب ما بين الآيات والسّور، أو فيما يتعلق بدراساتٍ حول وحدة السّورة القرآنية أو الوحدة الموضوعية – على إن هذا الموضوع هو جزء من مباحث الترابط في القرآن الكريم – واقتصرت بعض الدراسات في مناهج المفسرين على حصر ذلك في وجهٍ من الوجوه التي اعتمد عليها المفسر في

---

(١) النساء :٨٢.

(٢) المؤمنون : ٦٨ .

(٣) ص : ٢٩ .

تفسيره فلم تكن دراساتٍ شاملة لأُسس وعلاقات الترابط في القرآن الكريم، إذ قد يعتمد بعضهم على جانبٍ دون آخر، أو قد يركز آخر على السّورة الواحدة دون ربطها ببقية سور القرآن الكريم وغير ذلك.

واما في الدراسات اللغوية فكان مجال الروابط الدراسات اللسانية والاسلوبية والنّصية(أو علم اللغة النّصي)التي اتخذت من بعض سور القرآن مجالاً تطبيقياً لمعايير تلك العلوم وأسسها ودرستْها في ضوء مناهجها فقط، فجاءت بحوثاً متناثرة ولكل باحث وجهة نظر واسلوب في طرح الموضوع وليس دراسة شاملة للقرآن الكريم.

إلّا إن هذه الدراسة لا تُنكر تلك الجهود بل تُثني عليها، فهي خطوات على طريق فهم النّص القرآني ومعرفة أهدافه، فتتبعت هذه الدراسات وتم الاستعانة بتلك العلوم ووظفت معاييرها في الجانب التفسيري، فما دام القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مُبين كان لا بدّ من الإفادة من تلك الدراسات اللّغوية.

أما في المصادر القديمة فمع أن موضوع الروابط له جذوره في تراثنا العربي الإسلامي، إلّا إنه جهد مشتت يكاد يقتصر على إشارات تُلتقط من بين عبارات بعض المفسرين ممن اعتنوا بها أو في ما كُتب في علوم القرآن الكريم، وكذلك ما تضمنته كتب الأدب العربي من إشارات إلى وحدة القصيدة لكونها نصّاً أدبياً، أو في كتب البلاغة العربية وعلم المعاني إذ اقتصر الأمر على مستوى الربط بين الجمل في مباحث الفصل والوصل أو بالوقوف عند الجوانب النحوية أو التركيبية دون أن تكون شاملة لأبعاد النّص الأخرى.

المصادر والمراجع:

بالنظر لاتساع مجال البحث وتشعب أطرافه ودقتها، فقد اقتضى ذلك الرجوع إلى مصادر ومراجع عدّة في علوم شتى يمكن إجمالها بما يلي:

١ - كتب اللغة في المعاجم والنحو والصرف التي أفدت منها في بيان التماسك القائم على الأسس اللفظية والتركيبية في النّص.

٢ - كتب البلاغة والأدب التي استعنت بها في بيان العلاقات المعنوية بين أجزاء النّص.

٣ - الدراسات الحديثة في كل من علم الأصوات، والدراسات الاسلوبية، وعلم اللغة النصي(علم لغة النّص).

٤ - كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم التي أغنت مادّة البحث في المجالين النظري والتطبيقي لأسس وعلاقات الترابط في الآيات والسّور.

٥ - الدراسات القرآنية الحديثة في مختلف المجالات التي اتخذت من النّص القرآني مجالاً للتطبيق في موضوعاتها.

٦ - كتب الحديث الشريف، وأصول الفقه، وبعض الكتب الأخرى في مجالات مختلفة.

منهج البحث:

انتظمت الرسالة في تمهيدٍ وخمسة فصول وخاتمة تضمنت نتائج البحث.

أما التمهيد فكان عنوانه(مفهوم الترابط)جاء في ثلاث فقرات، الأولى تعريف الترابط في اللغة والاصطلاح، والثانية؛ بيان معنى الربط في الاستعمال القرآني، وجاءت الفقرة الثالثة؛ في بيان حقيقة وجود الترابط في القرآن الكريم وآراء العلماء والمفسرين واستعراض أدلة الإثبات والنفي.

واما الفصل الأول: فكان بعنوان(الروابط الشكلية في القرآن الكريم)وانقسم على مبحثين، الأول في الروابط اللفظية، والثاني تناول الروابط التركيبية.

وكان الفصل الثاني بعنوان(الروابط المعنوية في القرآن الكريم)متناولاً العلاقات التي تربط اجزاء النّص القرآني بعضها ببعضٍ .

وجاء الفصل الثالث بعنوان:(العناصر الفنيّة في الترابط القرآني)وقد خصص لدراسة العناصر التي تُسهم في ربط أجزاء النّص والتي تتكامل مع العناصر السّابقة _ الشكلية والمعنوية _ وتضمن ثلاثة مباحث ؛ الأول ؛تحدّث عن أثر الإيقاع في الترابط، والثاني ؛تناول القصّة وموقعها من السّورة وأهميتها في الترابط، وأما الثالث:فبيّن مكانة الصورة وكيفية توظيفها في ربط المعاني.

أما الفصلان الأخيران فكانا تطبيقيين لكل وجوه ومستويات الترابط، فكان الفصل الرابع بعنوان(الترابط في السّورة الواحدة)تضمن مبحثين، الأول: في وحدة السّورة القرآنية والآراء فيها، والأسس التي تقوم عليها هذه الوحدة، والثاني ؛خُصص لدراسة مظاهر الترابط في السّورة الواحدة متضمناً الروابط في الآية الواحدة وما بين

مقدمة السّورة وخاتمتها ومقاطعها وعلاقة اسم السورة بمضمونها.

واما الفصل الخامس وهو بعنوان(الترابط بين السّور)فتضمن مبحثين، الأول في الترابط العام بين السّور، والثاني خُصص للترابط الخاص بينها.

وبعد ذلك تأتي الخاتمة متضمنةً خلاصة البحث ونتائجه.

ولأن عنوان الرسالة قد حُدد بـ(دراسة تفسيرية)فكان لزاماً علي أن لا تخرج عن هذا النطاق، لذلك التزمت قدر الإمكان الإختصار وعدم التفصيل الدقيق في الجوانب اللغوية بكل مستوياتها لئلا تخرج الرسالة عن مسارها التفسيري، ولئلا تكون بذلك تجاوزت مجال البحث، وتجنباً للتداخل بين المجالين - اللغوي والتفسيري- على أن الفصل بينهما أمر صعب ما دام القرآن قد نزل بلسان عربي مُبين، والأمر نفسه ينطبق على المباحث البيانية التي تُسهم في معرفة الروابط فأخذت من هذه العلوم بالشكل الذي يخدم التفسير بما يكشف عن وجوه الربط ودلالته.

وحاولت حصر المباحث والفقرات بما يوضح الفكرة وأوردت بعضاً من الأمثلة التطبيقية إذ لو أعطيت كل مبحث وفقرة مجالاً أوسع من التفصيل، لأصبح حجم الكتاب أضعاف ما هو عليه، أما حجم الفصول من حيث عدد صفحاتها فقد خضع لطبيعة مادّة كل فصل، فجاءت بعض الفصول أكبر من بعضها خاصةً الفصل الخامس المتعلق بالترابط بين السّور فقد فرضه عدد السّور المحدود نسبةً إلى عدد الآيات في القرآن الكريم مما جعل العلاقات بينها أقل مما هو بين الآيات، كما إن لعامل الوقت أثر في حصر الموضوع بهذا الشكل، ولا أدعي الكمال فكل دراسة للقرآن الكريم ما هي إلّا مُقاربة لفهم جانب من جوانبه ولا يُحاط به كله.

وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في اختيار الموضوع وإعطائه شيئاً من حقّه بما يُسهم في خدمة كتاب الله، وما هذا الجهد إلّا خطوة تكمل ما سبقها من دراسات لعلها تقدم فائدة في مجال البحث القرآني، وربما يكون قد فاتني شيء فالسهو والخطأ وارد، وما لا يُدرك كله لا يُترك جلّه، فما كان فيها من صوابٍ فمن فضل الله تعالى وما فيها من خطأ فمن عندي.

والحمد لله ربّ العالمين.

التَّمهيد

(مفهوم التَّرابط)

١ - التَّرابط في اللُّغة والاصطلاح.

٢ - الرَّبط في الاستعمال القرآني.

٣ - التَّرابط بين النَّفي والإثبات.

أولاً - أدلَّة المُثبتين.

ثانياً - أدلَّة النَّافين.

١- التّرابط في اللّغة والاصطلاح

التّرابط: الرّاء، والباء، والطاء: أصل واحد يدلّ على شَدٍّ و ثبات، ومنه الرِّباط: مُلازمة ثغر العدوّ كأنهم قد ربطوا هناك فثبتوا به ولازموه، ورجل رابط الجأش: أي شديد القلب و النّفس[١] والرِّباط الشيء الذي يُربَط به[٢].

(والرّابطة عند المنطقيين هي الشيء الدّال على النِّسبة، والشيء يشمل اللّفظ وغيره)[٣].

وتَرَابَطَ (تَفَاعَلَ) وهو يُعطي معنى (مُطاوعة) فاعَلَ، كباعَدْتُه فتباعَدَ وهو يُفيد التشريك بين اثنين فأكثر كلٌّ منهما فاعلاً في اللّفظ مفعولاً في المعنى[٤].

والرّبط: (هو العملية التي بواسطتها تتصل الجُمل من أجل إقامة علاقة دلالية، أما الروابط فهي الأدوات أو الوسائل التي يتم الرّبط بها)[٥].

والتّرابط: هو ما ينتج من عملية الرّبط، وفيه يتمثل التّماسك الشكلي والمضموني أو اللّفظي والمعنوي معاً، ليحقق تماسكاً كلياً يجعل النّص وحدةً واحدة بحيث تشدّ الأجزاء بعضها بعضاً، والرّبط لا يتحقق على المستوى الشكلي (اللّفظي أو التركيبي) وحده لكنه يتحقق بفعل الرّبط بين القضايا في الإطار الدّلالي (المعنوي) ايضا.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ١٢٤.

(٢) الفراهيدي، العين: مادة: (ر، ب، ط) ١/ ٦٤٥، ابن منظور، لسان العرب: مادة (ر، ب، ط): ١/ ٤٤٠.

(٣) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ١/ ٢٢٦.

(٤) احمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف: ٢٥.

(٥) جمعان عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية: ٢٥١.

و يُراد بالبُعد التّرابطي: أن ما بين أجزاء القرآن الكريم، اللّفظ باللّفظ،والجملة بالجملة، والآية بالآية، والسّورة بالسّورة،ارتباطاً على نحو من الشدَّ والثبات لوجود أواصر(علاقات)بين تلك الأجزاء، فهي مُرتبطة مُتناسقة على أشدّ ما يكون الارتباط والاتساق وليست مُجزأة مفككةً لا يَمتُّ أحدها إلى الآخر بصلة(أي أن ارتباط آي القرآن ببعضها بعض حتى تكون كالكلمة الواحدة مُتسقة المعاني مُنتظمة المباني)[١].

وهذا التّرابط يقوم على أُسس أو علاقات تتجاوز الجانب اللّفظي بين المفردات والآيات إلى ترابطٍ معنوي يُمثل شبكة من الوشائج والصّلات التي تتداخل مع بعضها فتجعل من النّص القرآني نصّاً متكامل الأجزاء مُحكم التّرابط اجتمعت في نسقٍ ونظامٍ لا يرقى إليه أي كلامٍ أو تأليف، وهو مدار هذا البحث.

٢- الرَّبط في الإستعمال القرآني

اتضح من الأصل اللّغوي للرّبط:هو الرّبط والشدّ بشيء أو موضوع ليثبت على تلك الحال، والشدّ والتوثيق من لوازم التّرابط ومن آثاره، وجاءت مفردات الرّبط في القرآن الكريم ضمن هذا المجال في خمسة مواضع، هي:

أ -﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

ب-﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾[٣].

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ٤٧٠.
(٢) آل عمران: ٢٠٠.
(٣) الأنفال: ١١.

ت -﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾[١].

ث-﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

ج -﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[٣].

فالآية الأولى:﴿... اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ...﴾فالصّبر في قِبال الوظائف والمكاره، والمُصابرة إدامة الصّبر والثبات عليه بحيث يَظهر الصّبر منه علناً بين النّاس، المُرابطة هي تحقق الإرتباط بينهم. والرّبط على القلب في الآيتين الثانية والثالثة هو شد القلب واستحكامه وعدم الإضطراب والتزلزل، وهو ايضا يُعطي معنى الشدّ والثبات على الأمر أيضاً، ولو جاء اللّفظ:(وربطنا قلوبهم)لم يؤدِّ معنى الشدّ والثبات بل حينئذٍ ينعكس مفهوم الآية ويكون المعنى: شددنا قلوبهم[٤].

قال الطبرسي(ت٥٤٨هـ):(﴿... وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ...﴾أي:شددنا عليها بالألطاف والخواطر المُقوّية للإيمان حتى وطّنوا أنفسهم على إظهار الحقّ والثّبات على الدِّين...)[٥]فاستعمال القرآن الكريم لمُفردة الرّبط ومشتقاتها على معنى الشدّ

---

(١) الكهف: ١٨.

(٢) القصص: ١٠.

(٣) الأنفال: ٦٠.

(٤) ظ: حسم مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٤/ ٣٢.

(٥) مجمع البيان: ٦/ ٣١٧.

والتّوثيق والثّبات.

أما مُرابطة الخيل ؛أي أن تكون تحت الاختيار وتحت النّظم مُنظمَّة مربوطة حاضرة بتحقق المُرابطة فيما بينكم وبينها.(١)

٣- الترابط بين الإثبات والنفي

اختلفت الآراء في حقيقة وجود التّرابط بين أجزاء القرآن الكريم، بين مُثبِت لوجوده وبين نافٍ له أصلاً، ولكلّ فريق منهم أدلّة على دعواه.

أولاً – أدلّة المُثبتين:

يرى هذا الفريق أن السّورة القرآنية تُمثّل نصّاً مُتكاملاً مُترابط الأجزاء مُساقة لغرض واحد يظهر من خلال ائتلاف المقاطع مع بعضها بعضاً وإلتحام الآيات، وهي تُشكل وحدة فكرية أو موضوعيّة تتضمن أجزاءً مُتناسقة فيما بينها تجتمع هذه الأجزاء وتتشابك لتصبّ في هذه الوحدة، لذا لا يُمكن أن ننظر إلى كلّ جزءٍ أو آيةٍ على أنها مُنفصلة ولا علاقة لها بالأجزاء الأخرى، وعلاقة هذه الأجزاء جميعاً بوحدة الفكرة والموضوع، لأن هذا يجعل النَّص القرآني فاقداً وحدته الفكرية والموضوعيّة التي استهدفها(٢).

يقول العلامة الطباطبائي:(كلّ سورة مسوقة لبيان معنى خاص ولغرض مُحصل لا تتم السّورة إلّا بتمامه)(٣). ومن أدلة هذا الفريق على وجود الوحدة الموضوعيّة في السّورة الواحدة:

---

(١) ظ: حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٤/ ٣٢ – ٣٣.

(٢) ظ: البستاني، البلاغة الحديثة في ضوء المنهج القرآني: ١٦٦.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٦.

أ – الترتيب التوقيفي للقرآن الكريم:

من المعلوم أن جَمع القرآن الكريم وترتيبه قد تمّ بأمر الله تعالى توقيفياً لرسوله الكريمﷺفقد كانت الآيات والسّور تنزل تِباعاً طيلة ثلاث وعشرين سنة، وكانﷺيأمر كُتّاب الوحي بوضع الآية أو الآيات النّازلة في الموضع الذي يُحدده لهم، وقد وردت في هذا المعنى روايات كثيرة تؤكّد تصدّي النّبيّﷺلهذا الأمر[١] منها قولهﷺ:(أتاني جبرائيل فأخبرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السّورة﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢]...)[٣].

مع أن هذه الآية لم تنزل مُتصلةً مع الآيات التي قبلها أو التي بعدها فكان وضعها هنا أمراً اقتضته الحِكمة الإلهية، ولا بدّ أن لها صِلةً وارتباطاً بالآيات السّابقة واللّاحقة موضوعياً، إذ سبقتها آيات الإشهاد:﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ... وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٤]

(١) نوفشت قضية جمع القرآن الكريم وترتيبه في مصادر كثيرة، منها: البرهان للزركشي: ١/ ١٨٣، والإتقان للسيوطي: ٩٧، وتاريخ القرآن للزنجاني، وأفضل مَن فصّل القول فيها السيد الخوئي – رحمه الله تعالى – في كتابه البيان في تفسير القرآن، حيث أورد كل روايات جمع القرآن وترتيبه، وناقشها بشكل مفصّل تحت عنوان(فكرة عن جمع القرآن: ٢٣٩ ٢٥٩)أثبت من خلالها وبالأدلة أن الجمع والترتيب الذي عليه القرآن الكريم هو عن النبيﷺكذلك فعل الدكتور محمد حسين الصغير في كتابه تاريخ القرآن: ٨٤.

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) مسند أحمد: ٤ / ٢١٨.

(٤) النحل: ٨٤ _ ٨٩.

وتبعتها آية العهد: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[١].

ولو تتبعنا نزول بعض الآيات المتفرقة التي جاءت متأخرة في نزولها عمّا سبقها أو لحقها في ترتيب المُصحف لأدركنا أنه لا بدّ من أن يكون هناك ترابط بين أجزاء السّورة الواحدة آية بآية ومقطعاً بمقطع وإن اختلفت ظروف نزولها زمانياً ومكانياً أو كانت نازلة في أحداث مختلفة متفرقة، وان هناك موضوعاً جامعاً ومحوراً تدور حوله تلك الآيات ضمن نطاق السّورة الواحدة، وإلّا كيف نُفسّر وضع الآية: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[٢]التي كانت آخر آية نزلت قبل وفاة النّبيّ ﷺ[٣]بين آيات الرِّبا[٤]وآية الدَّيْن[٥]بإشارة من النّبيّ ﷺفعن ابن عباس أنه قال: (إنها آخر ما نَزَل من القرآن، فقال جبرائيل ضعها على رأس الثمانين والمئتين)[٦] لو لم يكن الأمر خاضعاً لترتيب يُراعى فيه اتصال الموضوعات بعضها ببعض ودورانها حول المحور العام للسّورة كاملة، والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم تؤكد هذا الرأي، بل إن العامل الزمني لنزول الآيات لا أثر له في ترتيب الآيات في السّور، فقد تتقدم آية أو بضعة آيات متأخرة في النّزول على آياتٍ أُخر سبقتها بفاصلٍ

---

(١) النحل: ٩١.

(٢) البقرة: ٢٨١.

(٣) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ٢/ ٢١٤، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن: ٤٦.

(٤) البقرة: ٢٧٥: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

(٥) البقرة: ٢٨٢: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ ...﴾.

(٦) الطبرسي، مجمع البيان: ٢/ ٢١٤.

زمني كبير، ولكلّ منها سبب خاص لنزولها وشأن مختلف عن الأخرى لكنها أخذت مواقعها في السّورة بترتيب آخر فتقدمت المتأخرة نزولاً على المُتقدّمة زمانياً.

ومن المعلوم أن لا خلاف في أن هذا الترتيب بأمر من النّبيّ ﷺ الذي يُنفّذ أمر الوحي ولا يجتهد في قضية ما إلّا بوحي إلهي، فالحكمة الإلهية هي التي استدعت ترتيب الآيات بهذا الشكل ومراعاة لوجود الاتصال والارتباط بينها وفقاً لوحدة الموضوع أو الارتباط الموضوعي بينها.

ب – عناية المعصومين عليهم السلام بالرَّوابط وممارستهم العمليّة في التَّفسير:

وردت عن أهل البيت(عليهم السّلام)روايات تُبيّن أهمية مراعاة الارتباط بين أجزاء القرآن الكريم بعضها ببعض وصولاً إلى فهمٍ وتفسيرٍ صحيح لمضامينها، وعدم اجتزاء وقطع الآيات وتفسيرها بعيداً عمّا يلحقها ويسبقها من آيات بل جاء في أحاديثهم الرّبط بين الآيات المُتفرقة ما بين السّور وليس في السّورة الواحدة فقط.

ومنها:

١ – ما رواه جابر بن يزيد الجعفي، قال:(سألت أبا جعفر – عليه السّلام – عن شيء من التّفسير، فأجابني، ثم سألته ثانية فأجابني بجوابٍ آخر، فقلت:جُعلت فداك، كنت قد أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم، فقال – عليه السّلام – يا جابر، إن للقرآن بطناً وللبطن ظهراً ثم قال:... يا جابر، ليس شيء أبعد من عقول الرّجال من تفسير القرآن، إن الآية يكون أولها في شيء وأوسطها في شيء واخرها في شيء وهو كلام متصل متصرف على وجوه)[١].

(١) البرقي، كتاب المحاسن: ٢/ ٢٠٧ كتاب العلل ح ٥، العياشي، تفسير العياشي: ١/ ٢٢.

فالرواية تؤكد أن الآية الواحدة تتناول موضوعات متعددة يبدو لقارئها أنها مختلفة، فأولها في شيء وآخرها في شيء وأوسطها في شيء، لكنها في الحقيقة كلام واحد مُترابط الأجزاء مُحكم المعاني متصل أوّله بآخره:(كما إن هذه الرواية تؤكد أن كثيراً من النّاس لا يُدركون ذلك الاتصال ولا تبلغه عقولهم، لذا يضحي التّفسير القرآني العقلي المتواشج العُرى بعيداً عن إدراكهم.... فالتفسير الحقيقي الذي يرتجيه الإمام – عليه السّلام – هو ما تظهر فيه العلاقات والرّوابط ويبزغ فيه وجه الاتصال بين أجزاء الآية لا التّفسير الذي يعتمد على الانتقال الفجائي بين الموضوعات)[١].

٢ – ما رواه الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن أبيه إسماعيل بن جابر، في حديث طويل، عن الإمام الصّادق عليه السلام يُبيّن فيه ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في أصناف آيات القرآن الكريم أو تفسير بعض آياته، إذ يقول في بيانه لترك النّاس علم الأوصياء وعدولهم عنهم:(إنهم ضربوا القرآن ببعض... واحتجوا بأول الآية وتركوا السّبب في تأويلها ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام والى ما يختمه...)[٢].

وهنا إشارة من المعصوم عليه السلام بضرورة ربط أول الكلام بآخره، وأن أي انقطاع بين أجزائه لا يُؤدّي إلى فهمٍ سليم له.

ويُؤكّد في الحديث نفسه أهمية معرفة إتصال الألفاظ ببعضها، فبعد أن يُشير إلى ضرورة معرفة أمور عدّة ومَن لم يعرفها لن يعرف شيئاً من كتاب الله وعدّ منها:(... أنه مَن لم يعرف من كتاب الله عزّ وجلّ المحكم والمتشابه... والمبهم من القرآن في ألفاظه المنقطعة والمؤلفة... والإبتداء والإنتهاء والسؤال والجواب... والقطع والوصل والمُستثنى منه والجاري فيه والصّفة لِما قبل ما يدل على ما بعد... والموصول

(١) علي آل موسى، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: ٤٨٢.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ١٩/ ١٩٦ باب ما ورد عن أمير المؤمنين في أصناف آيات القرآن وأنواعها.

من الألفاظ والمحمول على قبله وعلى ما بعده فليس بعالِمٍ بالقرآن)[١].

ثم يُبيّن إرتباط الآيات الكريمة بعضها ببعض وإن اختلفت مواضعها وتفرّقت في سور مختلفة:(... ومنه آيات بعضها في سورة وتمامها في سورة أخرى، ومنه آيات مختلفة اللّفظ مُتفقة المعنى ومنه آيات مُتفقة اللّفظ مختلفة المعنى...)[٢].

فهذه المقاطع من الحديث تكشف عن عناية المعصوم عليه السلام وإشارته إلى ضرورة الالتفات إلى الاتصال بين الآيات وعدم اقتطاعها عمّا سبقها ولحقها، فلا بدّ من أن يُنظر إليها كلاً مُتصل بعضه ببعض سواء أكانت آياته متجاورة أم متفرقة على سور القرآن كافة.

كما مارس المعصومون عليهم السلام ذلك عمليّاً في تفسيرهم للقرآن الكريم بربط الآيات بعضها ببعض وفي استنباط الأحكام الشرعيّة بالجمع بين الآيات كما في قضيّة تحديد أمير المؤمنين عليه السلام لأقل مدّة الحمل، واستدلال الإمام موسى الكاظم عليه السلام في تحريم الخمر بالجمع بين آيات من سورٍ متفرقة، واستدلال الإمام محمّد الجواد عليه السلام في تحديد مقدار القطع في حدِّ السّرقة وغيرها كثير.[٣]

---

(١) م. ن: ١٩/ ١٩٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ١٩/ ١٩٦باب ما ورد عن أمير المؤمنين في أصناف آيات القرآن وأنواعها.

(٣) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ١٥٣، العياشي، تفسير العياشي: ٢/ ٢٠، والفيض الكاشاني، تفسير الصافي: ٢/ ٣٣، والطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ١٨/ ٢١١، والحر العاملي، وسائل الشيعة: ٢٨/ ٢٥١ ح ٣٤٦٩.

ج – استكراه عدم التلاؤم في الكلام:

من المُستكره أن لا يتلاءم كلام البشر الاعتياديين ولا تتناسق أجزاؤه ولا تترابط فيما بينها مما يجعل المُتلقي في حالةٍ من التشويش، وهذا الأمر أدركته العرب أهل اللّسان والبيان، فالشعر الذي لا تتناسب أجزاؤه وتترابط مع بعضها بعضاً يُعدّ مُستهجناً، يقول الجاحظ(ت٢٥٥هـ):(إذا كان الشعر مُستكرهاً وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلّات [١] وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مُرضيّاً موافقاً كان على اللّسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة)[٢] بينما يرى أن الشعر الجيد المُستحسن هو ما ارتبطت أجزاؤه وتلاحمت مع بعضها بقوله:(وأجود الشعر ما رأيته مُتلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً، وسُبك سبكاً واحداً فهو يجري على اللّسان كما يجري على الدِّهان)[٣] وشبّه الكلام الذي لا ائتلاف فيه ولا ربط ببعر الكبش مُستشهداً بالبيت الآتي:

وشِعرٍ كبعر الكبش فرّق بينه لسانُ دعيّ في القريض دخيلِ[٤]

يقول:(وأما قوله كبعر الكبش فإنما ذهب إلى أن بعر الكبش يقع مُتفرقاً غير مؤتلف ولا مُتجاور، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها مُتفقة مُلْساً ولينة المعاطف سهلة، وتراها متباينة، متنافرة مُستكرهة تشقّ على اللّسان وتكدّه، والأخرى تراها سهلة ليّنة ورطبة متواتية سلسة النّظام خفيفة على اللّسان، حتى كأن البيت

(١) أولاد علّة: أولاد رجل واحد وأُمهات مختلفة، ظ: الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ٥٥.

(٢) البيان والتبيين: ١/ ٥٥.

(٣) م. ن:١/ ٥٥.

(٤) البيت من الطويل لأبي البيداء الرياحي، ظ: ابن رشيق، العمدة: ١/ ١٧٢.

بأسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد)[١].

ومثله الرّماني(ت٣٨٦هـ)الذي قسّم التأليف على ثلاثة أوجه بناءً على تلاؤمه وتجانسه(مُتنافر، ومُتلائم من الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا: والمُتلائم من الطبقة العليا القرآن كلّه، وذلك بيّن لِمَن تأمله)[٢]ويُبيّن فائدة التلاؤم وأهميته في حُسن الكلام، فيقول:(والفائدة في التلاؤم حُسن الكلام في السَّمع وسهولته في اللّفظ، وتقبّل المعنى له في النَّفس لِمَا يَرِد عليها من حُسن الصورة وطريق الدلالة ... فإذا انضاف إلى ذلك حُسن البيان في صحّة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام...)[٣].

فالكلام المُترابط بعضه ببعض يُؤثر في مُتلقيه بينما يفقد هذه الخصوصيّة لو كان مُشتتاً ولا ربط بين اجزائه ولا يكون لقائله أثر في سامعيه، يقول الفراهي(ت١٣٤٩هـ):(وربما يحطُّ عندك قدر خطيب مُصقع أتى بفنون من البلاغة وأثّر في النّفوس بخلابة بيانه لمحض أنه ذُهل عن ربط الكلام فهام من وادٍ إلى واد، مع أنه معذور لأنه ألقى خطبته ارتجالاً ولم يُعمِل فيها النّظر والروية، وما مؤاخذتك لذلك الخطيب إلّا لأن الكلام البليغ لا يحتمل سوء الترتيب، فإذا كان الأمر كذلك أليس من المُوقن بإعجاز القرآن أن يُثبت حُسن نظمه وإحكام ترتيبه وتناسق آياته وسوره؟)[٤].

وعدَّ بعض العلماء أن جوهر حُسن النَّسق والتقسيم والجمع والتنظيم، التلاحم الذي يُحقق مقاصد السّياق إذ ورد في حُسن النّسق: أن تأتي الكلمات من النثر والأبيات

(١) البيان والتبيين: ١/ ٥٥.

(٢) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٩٥.

(٣) م. ن: ٩٥.

(٤) عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام: ٣٩.

من الشعر مُتتاليات مُتلاحمات تلاحماً حَسناً.[(١)]

فالتشتت وعدم ارتباط الكلام بعضه ببعض أمر مُستقبح في كلام البشر ولا يليق بحسن الحديث فضلاً عن أحسنه إذ لا يجري هذا على كلام الله عقلاً، حيث يقول تعالى: ﴿... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾[(٢)].

د - عناية جمع من المفسرين والباحثين بالوحدة الموضوعية للسورة:

اتخذ فريق من المفسرين والباحثين[(٣)] في مجال الدراسات القرآنية من مسألة الوحدة الموضوعية أساساً في تفسيرهم أو في دراساتهم المتخصصة بالقرآن الكريم، وهي تشكل البناء الأساسي الذي يقوم عليه ترابط الآيات فيما بينها، فمن المفسرين من أشار إليها بشكلٍ صريح، وبنى تفسيره على ذلك، ومنهم من تُلتمس له عبارات دالة على رعايته الوحدة الموضوعية للسورة حينما يُفسرها، فيعمد لربط آياتها بعضها ببعض بعبارات تكشف عن فكرة وجود التّرابط بين أجزاء السّورة الواحدة.

ولو تتبعنا عبارات بعض المفسرين في أثناء تفاسيرهم، لوجدنا فيها ما يُشير إلى الروابط بين آيات السّورة الواحدة، بل إن الأمر يتجاوز السّورة الواحدة عندهم ليُشير إلى الترابط ما بين السّور القرآنية كافة حتى ليصف بعضهم القرآن الكريم

---

(١) ظ: ابن ابي الأصبع، تحرير التحبير: ٤٥، وبديع القرآن: ١٦٤، والسيوطي، معترك الأقران: ٣٠٧.

(٢) النساء: ٨٤.

(٣) مثل: البقاعي في تفسيره، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وسعيد حوى في تفسيره، الأساس في التفسير، ومحمود البستاني في تفسيره، التفسير البنائي للقرآن الكريم، والطباطبائي، في الميزان في تفسير القرآن، ركز على وحدة السورة القرآنية، محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، عبد الله دراز، النبأ العظيم، الفراهي، دلائل النظام... وغيرهم.

كالكلمة الواحدة[١].

وتناول بعض الباحثين قضية الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم بدراسات منفصلة فيما تناولها بعضهم في أثناء كلامهم عن التفسير الموضوعي للقرآن الكريم[٢].

كما أشار بعض الأصوليين إلى الترابط بين أجزاء السّور القرآنية الواحدة وأعدّها كلاماً واحداً لا تنفصل أجزاؤه بعضها عن بعض[٣].

وعلى هذه الأسس اعتمد القائلون بوحدة السّورة وترابطها، وإن الأجزاء تتعلق ببعضها ببعضٍ فلا تشتُتَ فيها ولا انقطاع لجزء عن الآخر، بل إن بعضها آخذ بحُجز بعض مرتبط أولها بآخرها وآخرها بأولها بوشائج متعددة مختلفة.

ثانياً – أدلة النافين:

يذهب هذا الفريق إلى القول بأن آيات القرآن لا يجمعها جامع ولا يرتبط بعضها ببعض وإن كل سورة تحمل موضوعات متفرقة وُضعت مع بعضها ضمن إطارها، بل إن بعضهم قد أنحى باللّائمة على المفسرين الذين قالوا بوجوده وعدّوه تكلّفاً لا طائل منه، كالشوكاني(١٢٥٠هـ)الذي يُشير إلى ذلك بقوله:(واعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم مُتَكَلّف، وخاضوا في بحرٍ لم يُكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنٍ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلّم بمحض الرأي المنهي عنه

---

(١) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ١/ ٤٩، إقبال وافي نجم، والتناسب ودوره في الإعجاز القرآني، رسالة ماجستير: ٩، وما بعدها.

(٢) منهم محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، وعبد الله دراز في، النبأ العظيم.

(٣) ظ: الشاطبي، الموافقات: ٣/ ٣٠٩، ٣١١، تفاصيل هذه الآراء ستأتي في الفصل الرابع من الاطروحة.

في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب في المصحف فجاؤوا بتكلفاتٍ وتعسّفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها البلغاء فضلاً عن كلام الربِّ سبحانه)[١].

والنافون يستدلون على صحة دعواهم بأدلّة عدّة، منها:

أ - النّزول المُنجَّم لآيات القرآن وسوره:

فقد استبعدوا وجود ترابط بين أجزاء السّورة الواحدة بناءً على أن النّزول كان متفرقاً بحسب الحوادث والوقائع، وأن كثيراً من السّور لم تنزل دفعةً واحدةً و إنما استمر نزول بعضها سنوات عدّة، فيرى عزّ الدين بن عبد السّلام(ت٦٠٦هـ):(أن القرآن نزل في نيّف وعشرين سنة في احكام مختلفة...)[٢]ويرى أن مَن يربط بين آياته يتكلف أمراً(لا يقدر عليه إلّا بربط ركيك يُصان به حسن الحديث فضلاً عن أحسنه)[٣].

وهذا الرأي واضح في نفي التّرابط إلّا أن بعض الباحثين يفسره على انه يرجع إلى عدم التفريق بين الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية، فيرى أن الرأي السّابق ينفي الوحدة العضوية والتي يعني بها تماسك الآيات وتلاحمها بينما يرى(أن الوحدة الموضوعية تعني أن تتشابك آيات السّورة بحيث تنتج موضوعاً متكاملاً، وتقاطعه مع الموضوعات الأخرى في السّورة إنما يتم بقدر ما يخدم الموضوع الأصلي لا بما يسدّ عن جميع الموضوعات التفصيلية الأخرى في القرآن الكريم)[٤]ويرى ذلك الباحث أن

---

(١) فتح القدير: ١ / ٧٢.

(٢) الزركشي، البرهان: ١/ ٥٠، الميبدي: قواعد التفسير: ٣١٧.

(٣) الزركشي، البرهان: ١/ ٥٠.

(٤) علي آل موسى، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم:٢١٢.

الرأي السّابق لم يفرق بين الأمرين فهو ينفي الوحدة العضوية لا الوحدة الموضوعية إذ إن(نفي الوحدة العضوية بما يعنيه من عدم ترابط الأجزاء يقتضي نفي الوحدة الموضوعية، وان كان إثبات الوحدة العضوية لا يُثبت الوحدة الموضوعية فيكون الكلام مُتصلاً مُترابطاً لكنه ليس في موضوع واحد، بينما إثبات الوحدة الموضوعية يُثبت الوحدة العضوية، لأن الكلام حين يكون بأجمعه في موضوع واحد فذاك يُثبت بالضرورة انه مُترابط مُتواصل)[١].

فضلاً عن ذلك ان الوحدة الموضوعيّة تنطبق على كلّ موضوع تتناوله السّورة(فهي تبحث موضوعاً ما فتُشبعه فكرةً وتمحيصاً وإضاءة وتنتقل إلى موضوع آخر يرتبط نظماً وسياقاً بالموضوع الأول، ويتقدم الموضوع الثالث من السّورة كياناً مُستقلاً ولكنه يتعلق بوجه ما بالموضوع السّابق ويتبلور الموضوع الرابع فتمسكه فكرة قائمة بذاتها لكنها متصلة بالموضوع الخامس)[٢].

وبذا يثبت أن ترابط الموضوعات لا بد من أن يُؤدي إلى ترابط في الأجزاء(فإثبات الوحدة الموضوعية في السّورة القرآنية بصورة جليّة يُثبت ارتباط الآي بعضها ببعض، فتتناسق آياتها وتتلاحم حتى تكون كالسبيكة الواحدة)[٣].

أما ما يذهب إليه أصحاب هذا الرأي اعتماداً على النّزول المُتفرق فيُمكن القول أن القرآن الكريم وإن تضمن معاني مختلفة، وآياته نزلت في ظروف زمانية منفصلة وفي وقائع وأحداث مختلفة إلّا أنها ملتئمة مع بعضها مُؤتلفة مُتشابكة، فهي:(وإن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق فقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع كمثل بنيان كان

(١) علي آل موسى، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم:٢١٢.
(٢) محمد حسين علي الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن: ١٥٧.
(٣) فهد الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: ٢٢٥.

قائماً على قواعده فلمّا أُريد نقله بصورته إلى غير مكان، قُدّرت أبعاده ورُقمت لبناته ثم فُرّقت أنقاضاً فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً يشدّ بعضه بعضاً)(١).

وهو أمر اقتضته الحكمة الإلهية في الوضع في ترتيب آياته وسوره التي لم تتخذ في ورودها التنزيلي سبيلها الذي اتبعته في وضعها الترتيبي فبعضها تقدم نزولها وتأخر ترتيبها وبعضها على العكس من ذلك، وهذا الأمر لم يأتِ مُصادفة أو عبثاً.

هذا الترتيب والتنظيم تكشفه شبكة العلاقات التي تربط بين أجزائه ووحدة الموضوع التي تجمع تلك الآيات بعضها إلى بعض وسُوَرِه سورةً بعد سورة.

ب – تحديد المحور العام للسُّورة:

يرى النّافون لوجود الترابط في السّورة الواحدة أن تحديد المحور العام أو العنوان الرئيس الذي تتناوله أمر يرجع إلى اجتهادات المفسرين وبذلك تتعدد المحاور أو عنوانات موضوعات السّور بحسب كلّ مُفسر وحسب الزاوية التي يرى السّورة من خلالها، فيتعدد تحديد الموضوع لكلّ سورة عند المفسرين.

ومنها ما نجده عند بعض المفسرين الذين يعتمدون الوحدة الموضوعية في تفسير السّورة الواحدة، فنجد أحدهم قد يحدد محوراً يختلف عن غيره للسّورة ذاتها لأن كل منهم:(يجعل للسّورة الكريمة هدفاً ينتزعه من ملاحظة معانيها ثم يُنزل الآيات المتعددة في السّورة لتحقيق هذا الهدف)(٢).

---

(١) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم: ١٥٤.

(٢) عبد الستار فتح الله، المدخل إلى التفسير الموضوعي: ٢٤.

وهذا لا يقدح في ترابط السّورة الواحدة إذ إن تحديد الموضوع وإن اختُلف فيه إلّا أنه لا يعني أن ليس هناك موضوع تتناوله السّورة، فهو قد يدقّ أحياناً بالشكل الذي يصعب على بعض المفسرين تحديده وإنما يُكتشف من خلال الموضوعات الجانبية التي تدور حول المحور العام الذي تنتظم حوله مقاطع السّورة، فمسألة تحديد الموضوع تحتاج إلى تعمّق وفهم دقيقين في كلّ مفصل من مفاصل السّورة.

يقول محمد عبد الله دراز: (إنه يصعب في بعض السّور التمييّز بين الفكرة الرئيسة والأفكار الثانوية أو اكتشاف العلاقة بين هذه الأفكار بعضها مع بعض أو بينها وبين النّواة المركزية للسّورة)[1] لذا لا يُعدّ هذا الأمر سبباً في عدم ارتباط أجزاء السّورة بعضها ببعض.

ج - إهمال الموضوعات الثانوية في السّورة:

يرى هذا الفريق أن تحديد السّورة بموضوع واحد أو إطار عام قد يهمل موضوعات جانبية أخرى وردت في السّورة مما لا يتفق مع العنوان الرئيس أو الإطار العام الذي حدده المُفسر.[2]

فلو حدّد المفسر موضوعاً ما لسورة معيّنة وجعله المحور الذي تدور حوله آيات السّورة، فقد تأتي موضوعات أخرى تتناولها بعض الآيات مما لا ترتبط بالعنوان العام، أو قد تبدو غريبة عن الموضوع الأصلي، وبهذا فإن التّرابط الموضوعي في السّورة الواحدة أمر غير موجود، وأن دعوى القائلين بالترابط لا أساس لها.

---

(١) محمد عبد الله دراز، المدخل إلى القرآن الكريم: ١٢٢.

(٢) ظ: علي آل موسى، التدبر الموضوعي في القرآن: ٢١٣.

إن تعدد الموضوعات أو وجود موضوعات جانبية لا يقدح في صحّة ترابط الأجزاء بعضها مع بعض، إذ لا بدَّ لهذه الموضوعات الجانبية من تعليُّقٍ من جهة ما بالمحور الرئيس للسّورة أما على نحو من إضاءة تُضفيها عليه أو إشارة ما على نحو من تكامل الموضوعات لوجود علاقة بينها كالمُشابهة أو المُضادّة أو غيرها من العلاقات بما يخدم الفكرة أو الموضوع الأصلي فهي تُمثل عناصر أو أدوات ثانوية تُوظَّف لخدمة الهدف أو الغرض الكلي للسّورة.

الفَصلُ الأوَّلُ

(الرَّوابط الشَّكليَّة في القرآن الكريم)

توطئة

أولاً – الرَّوابط اللَّفظيَّة .

١ – التِّكرار:

أ – التِّكرار الكلِّي .

ب – التِّكرار الجزئي .

٢ – التَّرادف.

٣ – المُصاحبة المُعجميِّة(التَّضام) .

ثانياً – الرَّوابط التَّركيبيَّة :

١ – الضمير .

٢ – الحذف .

٣ – اسم الاشارة .

٤ – الاسم الموصول .

٥ – الرَّبط بالأدوات .

توطئة

حظيت قضية ارتباط الألفاظ ببعضها وتناسبها فيما بينها بجانب كبير من الاهتمام في الدراسات النقدية والبلاغية والأدبية كما أخذت مسألة ارتباط اللّفظ بالمعنى مساحة واسعة من تلك الدراسات وشغلت العلماء وكان لفكرة إعجاز القرآن الكريم عامل مهم وكبير في هذا المجال[١].

وليس من شأن هذا البحث الخوض في أفضلية اللّفظ على المعنى أو في خلاف ذلك، بل المُراد بيان علاقة الألفاظ بالمعاني والصلة الوثيقة بينهما، إذ لا يُعنى باللّفظ على حساب المعنى ولا يُقلل من أهمية اللّفظ إزائه إذ إنهما يُمثلان(القسيمين في حُسن النّظام وجودة التأليف)[٢].

ولو تتبعنا آراء بعض العلماء - على سبيل الإشارة لا الحصر - في أهمية التماسك اللّفظي في الكلام من جانب، والتّرابط بين الألفاظ والمعاني من جانب آخر لوجدنا في كلامهم إشارات هامة، ووعي لأهمية الترابط في التعبير، وتفضيل الكلام الذي تتناسب أجزاؤه وتترابط على غيره من التأليف.

---

(١) ظ: د، محمد حسين الصغير، نظرية النقد العربي، رؤية قرآنية معاصرة: ٢٧ - ٣٩، فقد فصّل القول في أبعاد المعركة النقدية حول اللفظ والمعنى ومكمن الإعجاز القرآني وتتبع الآراء فقسمها على أربعة فرق فريق اللفظ ويمثله الجاحظ(ت ٢٥٥ هـ)وأبو هلال العسكري(ت ٣٩٥ هـ)وفريق اللفظ والمعنى يمثله ابن قتيبة(ت ٢٧٦ هـ)وقدامة بن جعفر(ت ٢٢٧ هـ)وفريق لم يفصل بين اللفظ والمعنى يمثله ابن رشيق(ت ٤٥٦ هـ)وابن الأثير(ت ٦٣٧ هـ)وفريق قال بالعلاقة بين اللفظ والمعنى ويمثله عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١ هـ).

(٢) الجرجاني، أسرار البلاغة: ٦.

يُبيّن الخطّابي(ت٣٨٨هـ)أهمية اختيار الألفاظ ووضعها في موضعها المناسب للمعنى الذي جاءت مُعبّرة عنه وإن أي خلل في ذلك يؤدّي إلى إخلال في المعنى أو ذهاب الرونق، وإن من بلاغة القرآن وضع اللّفظ موضعه المُناسب بقوله:(إعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصّفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا بُدّل مكانه غيره جاء منه اما بتبدل في المعنى الذي يكون منه فساد الكلام أو ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ؛ذلك إن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر النّاس أنها مترادفة متساوية في إفادة بيان مُراد الخطاب... والأمر في ترتيبها عند العلماء بخلاف ذلك لأن لكل لفظةٍ منها خاصّية تتميّز بها عن صاحبتها وإن كانتا قد تشتركان في بعضها)[١].

ويُشير كذلك إلى أهمية النّظم في ربط اللّفظ بالمعنى وبه يُعرف التئام الكلام وتناسقه بقوله:(وأما رسوم النّظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النّفس يتشكل بها البيان)[٢].

وقد عدّ أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥ هـ)اختيار الألفاظ وحُسن استعمالها في موقعها أمراً مهماً في التئام الكلام وحُسن التأليف بقوله:(وتخيّر الألفاظ وإبدال البعض من بعض يُوجب التئام الكلام وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته.....وإن اتفق له أن يكون موقعه من الإيجاز والإطناب أليق بموقعه وأحقّ بالمقام والحال كان جامعاً للحُسن وإن بلغ مع ذلك أن تكون موارده تُنبيك عن مصادره وأوله يكشف

(١) بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن:٢٩.
(٢) م. ن: ٣٦.

قناع آخره فقد جمع نهاية الحُسن)[١].

ويرى أن:(حُسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً..... حُسن الرّصف أن تُوضع الألفاظ في مواضعها وتمكَّن من أماكنها.....وتضم كل لفظة منها إلى شكلها وتُضاف إلى لفقها)[٢].

وهو بذلك يُشير إلى إرتباط الألفاظ ببعضها من جانب وتلاؤمها مع معانيها بالشكل الذي تمكنها من أداء المعنى المُراد بشكل واضح.

فيما عدَّ إبن سنان(ت ٤٦٦ هـ)أن الألفاظ المُتناسبة مع بعضها أولاً شرط من شروط الفصاحة، ثم مناسبتها للمعنى الذي تُعبّر عنه ثانياً إذ يقول:(من شروط الفصاحة المناسبة بين اللّفظين وهي على ضربين ؛ مناسبة ما بين اللّفظين من طريق الصيغة، ومناسبة بينهما من طريق المعنى، وأما المناسبة من طريق الصيغة فلها تأثير في الفصاحة)[٣].

وأما العلاقة بين اللّفظ والمعنى عند عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١ هـ)فقد أخذت بُعداً آخر أسس فيه لنظرية النظم التي قامت على أساس تلك العلاقة وعلى حُسن وضع اللّفظ في موضعه، إذ:(لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها على بعضٍ ويُبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك)[٤]وأن لا مزية للفظ منفرداً إلّا من خلال النّظم، كما عدّ الألفاظ خَدَماً للمعاني، وان:(اللّفظ يتبع المعنى

(١) الصناعتين: ١٤٧.

(٢) م. ن: ١٦٧.

(٣) سر الفصاحة: ١٦٧.

(٤) دلائل الإعجاز: ٥٣.

في النّظم، والكلم تترتب في النّطق بسبب ترتب معانيها في النّفس)[١].

فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ بل:(الفضيلة وخلافها في ملائمة اللّفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلّق له بصريح اللّفظ)[٢].

ويرى أن علاقة الترابط بينهما تقوم أساساً على ترتيب العمليات الذهنية إذ ترتبط المعاني ببعضها بعضاً على وفق علاقات منطقية ترتب إحداها على الأخرى فإذا ترتبت المعاني في الذهن ترتبت الألفاظ بحسبها:(وإذا ظفرت بالمعنى فاللّفظ معك وإزاء ناظرك.....وإذا بطل أن يكون ترتيب الألفاظ بحال ولم يكن المطلوب أبداً إلّا ترتيب المعاني)[٣].

فالترابط في النّص يقوم على ناتج الرّبط بين جمله، سواءٌ أكان ذلك الرّبط شكلياً أم دلالياً فهو(العملية التفاعلية لكل من التماسك الدلالي والتماسك الشكلي لتؤدّي في النهاية إلى التماسك العام للنّص)[٤].

ومن هنا نعلم أنه لا تتوقف دراسة أي نص بالوقوف عند مفرداته وتركيبها بل لا بدّ من البحث عن الدلالات التي تختزنها مع مراعاة استعمالها ضمن نطاق السّياق العام للنص كله(فاللّغة نظام لفظي يربط الألفاظ بالمعاني بواسطة نوعين من القرائن احدهما يُسمّى القرائن اللّفظية والآخر القرائن المعنوية أي أن العلاقات بين أجزاء الكلام قد يُستدل عليها بقرائن لفظية فنسميها علاقات ملفوظة وقد يُستدل بقرائن

---

(١) م. ن: ٣٩.

(٢) م. ن: ٤٨.

(٣) دلائل الإعجاز: ٥٣.

(٤) جمعان عبد الكريم، إشكالات النص:٢٤٩.

معنوية فنعرفها باسم العلاقات الملحوظة التي لا يعتمد إدراكها على قرائن لفظية)[١] لذا لا بدّ من البحث عن الأدوات والوسائل التي مكنت من ربطها وشكلت منها نصّاً مُتكاملاً متناسق الأجزاء يأخذ بعضها بحُجز بعض ويرتبط أوله بآخره بشكل من حُسن في التأليف ووضوح في المعنى.

وبهذا يُمكن أن نقسم الرّوابط على:

١ - شكليَّة(لفظية).

٢ - معنوية(دلالية).

(١) تمام حسان، البيان في روائع القرآن:١/ ٣٩٥.

أولاً - الرَّوابط اللَّفظيَّة

ويُراد بها الصّيغ الّلفظية أو الشكليّة التي يُستعان بها على كشف الترابط ما بين أجزاء النَّص، فهي التي تَعطيه خاصيّة التّماسك وتُسهم في ارتباط أجزائه واتصالها مما يعني استمرار الفكرة أو الموضوع المطروح:(فيُحكَم على النّص بالتماسك إذا احتوى على سلسلة من الجُمل تُطوّر الفكرة الرئيسة)[١].

وقد اصطُلح على تعلّق عناصر النّص بعضها ببعض بوساطة أدوات شكليّة أو علاقات لغوية بـ(الاتساق)أو(التماسك النّصي)[٢].

وعرّفوه بأنه:(ذلك التماسك بين الأجزاء المُشكلّة لنصٍ ما، ويُهتم فيه بالوسائل اللّغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المُكوّنة للنّص)[٣].

ويتمثل التماسك بتوافر عناصر الإلتحام وتحقيق الترابط بين بداية النّص ونهايته من دون الفصل بين المستويات اللّغوية المختلفة:(فالترابط النَّصي هو الذي يخلق بنية النّص، هذه البنية التي لا يُمكن أن تكون مجرد تتابعات للعلامات ولكنها تملك تنظيماً خاصّاً من داخلها ورؤية دلالية من ذاتها)[٤].

---

(١) محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب: ١ / ١٢٤.

(٢) هذا المصطلح وضعه علماء اللسانيات والمتخصصون بعلم اللغة النصي فيُسمّى بـ(الاتساق) أو(التماسك)على ان هذا المصطلح له ما يقابله في كتب البلاغة وعلوم القرآن الكريم عند العرب والمسلمين وهو:(السبك). ظ: أشرف عبد البديع، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن: ١٤، ومحمد خطابي، لسانيات النص: ٢٠٥.

(٣) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥.

(٤) محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب: ١ / ١٢٤.

وإذا كان النّص يُعدّ نسيجاً من كلمات تترابط بعضها مع بعض ويُشكل وحدة متكاملة وبنية مركّبة متماسكة، فلا بد من البحث عن الوسائل التي ربطت بين أجزائه وشكّلت منه وحدة دلالية متلاحمة الأجزاء، وتحديد العلاقات التي ربطت بين جُملِهِ وفقراتِهِ على المستويين المُعجمي والنّحوي أو بمعنى آخر العلاقات اللّفظية والتركيبية.

وتظهر العلاقات الشكليّة(اللّغوية)في القرآن الكريم بمستويات مختلفة يُمكن من خلالها أن نكشف عن نمط من الخصائص اللّفظية التي تجعل أجزاءه نصّاً متماسكاً من خلال تتبع الألفاظ ومدى ارتباطها ببعضها الآخر في الآية أو السّورة، أو من خلال ارتباط الجمل ضمن التراكيب حتى:(تُشكل متتالية من الجُمل شريطة أن تكون بين هذه الجُمل علاقات، أو بين بعض عناصر هذه الجُمل علاقات تتم بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة أو بين عنصرين من متتالية سابقة أو لاحقة)[١].

فيُدرك ارتباط الألفاظ بعضها ببعض من خلال صيغ شكلية واردة في السُورة أو الآيات تُنبئ عن وجود وشائج بينها.

ويُمكن تقسيم الرّوابط اللّغوية على قسمين، روابط لفظية وروابط تركيبية، يتبيّن الارتباط عبر الصّيغ الشكلية الفنية التي ترد في السّورة أو الآيات التي تدلّ على ترابط الموضوع، فالألفاظ التي تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة أو شجرة واحدة أو حقل دلالي واحد، إذ تنتظم الكلمات في حقول تجمع بينها لوجود ملامح مشتركة بين كلمات الحقل الدلالي الواحد، ويُشترط لفهم معنى كلمة هو موقعها بين مجموعة كلمات متصلة بها دلالياً مما يعني دراسة العلاقة بين المفردات[٢]فتترابط معانيها وتتلاحم

(١) محمد خطابي، لسانيات النص: ١٣.

(٢) ظ: مهدي أسعد عرار، جدل اللفظ والمعنى، وحلمي خليل، الكلمة:١٤٣، واحمد مختار عمر، علم

لتُعبّر عن الموضوع وتدلّ على ارتباط عضوي بين أجزاء القضية التي تتناولها ويُفهَم من خلالها أن النّص يدور حول موضوع واحد متصل:(فلو وجدنا نصاً تغلب فيه كلمات ذات جذر واحد كـ(القيام، قائم، يقوم، قام)فربما يكون موضوعه القيام لأن هذه الكلمات المُنتمية إلى عائلة لغوية واحدة تُقرّبه من كونه موضوعاً واحداً متواشج العُرى، وكذا الحال لو كثرت على لسان النَّص كلمات مثل(القيام، النهوض، الوقوف) فهذه الكلمات تنتمي إلى شجرة واحدة وحقل دلالي واحد وإن كانت مأخوذة من مواد لغوية مختلفة إلّا أنها تحمل معاني متقاربة تنفع في سير موضوع واحد ومعرفة مدى الاتصال بين أجزاء الكلام)[١].

ويقع تحت هذا المستوى الأشكال الأسلوبية الآتية:

١ - التكرار:

وهو إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فِقرة داخل النّص، ويُعدّ أحد وسائل تماسك النّص(وهو إعادة اللّفظ نفسه في سياق واحد لمعنى واحد، فإذا لم يتوافر الشرطان ؛أي إذا لم يكن المعاد اللّفظ نفسه أو إذا ذُكر اللّفظ أكثر من مرّة، ولكن لكل موضع سياقه الخاص ومعناه الخاص فاذاً ذلك لا نُسمّيه تكراراً)[٢]ويُراد من خلال التكرار:(تدعيم التماسك النّصي، وكذلك يُوظف التكرار من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المُكوّنة للنّص)[٣]فضلاً عن أنه يحقق وظائف معنوية فهو يشدُّ عناصر النّص بعضها إلى بعض وذلك:(عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النّص

---

(١) علي آل الشيخ، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: ٥٠٥.

(٢) فضل عباس، القصص القرآني: ٧١.

(٣) صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق:٢/ ٢١.

حتى آخره...وهذا الامتداد يربط بين العناصر)[١].

فالرّبط بوساطة التكرار يتم عن طريق إعادة الكلمة نفسها أو بأنواعها الأخرى عندما:(يحيل فيه اللّفظ الثاني المُكرر إلى اللّفظ الأول مما يُحدث نوعاً من الرّبط بين الجملتين التي حدث فيهما التكرار في إطار النّص وهو نوع من الرّبط البدهي الذي يقوم في حقيقته على مبدأ التشابه أو التماثل حين تلحق المتماثلات أو المتشابهات من الأشياء ببعضها)[٢]فالتكرار يقوي الصّلة بين الآيات أو ما بين الجُمل في الآية الواحدة ويُؤدّي بذلك وظيفة الجمع بين الكلامين ولفت نظر المتلقي إلى أهمية الكلام لكي لا يغفل عنه.

والتكرار أنواع هي:

أ – التكرار الكلّي(التّام)

وذلك بإعادة اللّفظ أو الجملة نفسها دون تغيّير في صياغتها، وقد وردت في القرآن الكريم نماذج كثيرة لتكرار اللّفظ وتكرار الجُمل، فقوله تعالى:﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣].

فتكرار لفظ الجلالة ثلاث مرّات يؤكد استمرار الكلام في قضايا طرحتها الآية وقد ارتبطت ببعضها، وجاء التأكيد فيها بالإسناد إلى الله سبحانه، فمن جانب

(١) صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق:٢/ ٢٢.
(٢) جمعان عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية: ٣٥٩.
(٣) الأنعام:٧١.

ارتبطت دلالياً ومن جانب آخر تماسكت نصيّاً عبر التكرار(١).

أما على مستوى تكرار الجُمل فقد تكررت آيات بأكملها في سور عدّة دون أي تغييّر في تركيبها كما في قوله تعالى في سورة الرّحمن:﴿فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(٢) فقد تكررت هذه الآية احدى وثلاثين مرّة، وإنها وإن تعددت فكلّ واحدة تتعلق بما قبلها:(وإن الله تعالى خاطب بها الثقلين من الأنس والجن، وعددّ عليهم نعمه التي خلقها لهم فكلما ذكر فصلاً من فصول النِّعم طلب إقرارهم واقتضاءهم الشكر عليه...)(٣).

وقد يَرد في مطلع الكلام لفظ أو ألفاظ يطول الكلام بعدها دون أن تأتي مكمِّلاته فيحسُن عندئذٍ أن يُعاد صدر الكلام للتذكير بما ورد في صدره قبل أن يطول فتضعف الرّابطة بين الصدر والتكملة، كقوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٤)إن عبارة(ولما جاءهم)التي في أول الآية طال الكلام بعدها بقوله تعالى:(وكانوا من قبل...)فحسُن ان تجري إعادة العبارة الأولى فقيل:(لما جاءهم)بقصد توثيق العلاقة بين أول الكلام وآخره(٥)فحقق التكرار بذلك وظيفته في تماسك النّص على مستوى الآيات في السّورة مُشيراً إلى استمرارية النّص لوصل الانقطاع الذي قد يُتوهم بين أجزائه، ويُشير الخطّابي(ت٣٨٨هـ)إلى أهمية التكرار بقوله:(وإنما يُحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها

(١) ظ: صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق:٢/ ٢٩.

(٢) الآية: ١٣.

(٣) السيوطي، الإتقان: ٤٠٨.

(٤) البقرة: ٨٩.

(٥) ظ: تمام حسان، الخلاصة النحوية: ٩٧.

ويُخاف بتركه وقوع الغلط والنّسيان والاستهانة بقدرها)[١].

وكذلك في قوله تعالى في سورة القمر تكررت الآية:﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٢]فقد تكرر ذكرها استمراراً للتذكير والتنبيه والإنذار لـ:(تجديد التنبيه على الإدّكار والإتعاظ والتوقيف على تعذيب الأمم السّالفة ليعتبروا بحالهم)[٣] وكذلك الآية:﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٤](ليجددوا عند سماع كلّ نبأ منه إتعاظاً وتنبهاً...وإن كلاً من تلك الأنباء مستحق باعتبار ما يختص به، وأن يتنبهوا كيلا يغلبهم السّهو والغفلة)[٥].

فالتكرار لم يقتصر على اللّفظ فقط بل تجاوزه إلى تكرار الجمل لِما له من دور مهم في تماسك أجزاء النّص وهو فضلاً عن كونه يُؤدّي وظائف دلالية فهو يُسهم في تحقيق التماسك النّصي إذ لا تنقطع عُرى الاتصال بين أجزائه، ويعطي فهماً صحيحاً متكاملاً للنّص.

ب – التكرار الجزئي

ويُسمّى التكرار الاشتقاقي، والاشتقاق هو:(نزع لفظٍ من آخر بشرط مناسبتهما معنىً وتركيباً ومغايرتهما في الصيغة)[٦]إذ تُكرر الكلمة بتغيّر جزئي في الصّيغة مع

(١) بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٥٢.
(٢) الآيات: ١٥، ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠، ٥١.
(٣) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦/ ٢١٩.
(٤) الآيات: ١٦، ١٨، ٢١.
(٥) الزركشي، البرهان:٣/ ١٤.
(٦) الجرجاني، التعريفات: ٢٢.

الاحتفاظ بالجذر اللّغوي[١].

ويُسهم هذا النوع من التكرار في تماسك النّص فترد الألفاظ على هيئات مختلفة مشتقّة من مادّة واحدة تكشف أن الموضوع في الآية أو المقطع أو في السّورة واحد متصل بعضه ببعض وان الكلام متلاحم يصبُّ في غاية واحدة يكشف عن عناية المتكلم والحرص على وضوح كل محور من محاور حديثه، ويضع بين يدي المُتلقي مفاتيحاً للأفكار التي يقصدها من دون أن يكون مجرد تكرارٍ لفظيٍ ليس له قيمة دلالية[٢].

وفي القرآن الكريم جاء التكرار الجزئي على مستويات مختلفة، فعلى مستوى الآية الواحدة كما في قوله تعالى في آية الدَّين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ

(١) ظ: جميل عبد المجيد، علم النص، بحث في مجلة عالم الفكر: ١٤٦، وظ: عزة شبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق: ١٠٦.

(٢) ظ: عثمان أبو زنيد، نحو النص، إطار نظري ودراسات تطبيقية: ٢٥٩.

اللهَّ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١]فتكررت الألفاظ المشتقّة من مادّة الكتابة وهي(فاكتبوه، ليكتب، كاتب، يكتب، فليكتب، تكتبوه، تكتبوها)في تأكيد على أهمية قضيّة توثيق الدَّين متناولاً تفاصيل كتابته رابطاً بين كلّ جزئية بتكرار لفظ من مشتقات الكتابة دون أن يكون ذلك تجانساً لفظياً على حساب المعنى بل انه يكشف الفكرة ويُلفت النظر بدقّة إلى أهمية الموضوع والحرص عليه.

أما على مستوى السّورة فالأمر أكثر وضوحاً وسعةً، ويأتي مُتسقاً مع المحور العام لها إذ تدور موضوعات الآيات حول قاسم مشترك بين الآيات توظف له المشتقات كونها جزءاً من وسائل التماسك بين الأجزاء.

فعلى سبيل المثال تُعدّ قضية النّجوى في سورة(المُجادلة)الطابع العام للسّورة بكل التفاصيل بتنوع الموضوعات التي وردت فيها، يؤيد ذلك التواشج بين المفردات الواردة فيها الدالّة على الموضوع العام وهي(ناجيتم، تناجيتم، تتناجوا، يتناجون، النجوى، نجواكم)كما في قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ مَا فِي السَّماوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ...﴾[٢]وقوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ...﴾[٣]وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى...﴾[٤]وقوله تعالى:﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ...﴾[٥]

(١) البقرة: ٢٨٢.
(٢) المجادلة: ٧.
(٣) المجادلة: ٨.
(٤) المجادلة: ٩.
(٥) المجادلة: ١٠.

وقوله تعالى:﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ ...﴾[١]وقوله تعالى:﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ...﴾[٢]وكلّها تلتفّ حول المحور العام وهو المُناجاة ولكن بصيغ وأشكال مختلفة تفيد بأن الكلام متصل ببعضه لا انقطاع فيه.

والأمر نفسه نلحظه في كثير من السّور كتكرر مادّة(الإنباء)في سورة(التحريم) بألفاظ(نبأت، أنبأت، نبأها، أنبأك، نبأني)كما في قوله تعالى:﴿... فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ... فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[٣].

وفي سورة مريم تكررت مادّة(الرّحمة)بمشتقاتها(رحمة، الرحمن، رَحْمَتِنا...)كما في الآيات:﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾[٤]وقوله تعالى:﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً﴾[٥]وقوله تعالى:﴿... وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً﴾[٦]فهذا التكرار وإن اختلفت صيغهُ الشكليّة إلّا أنه يُضفي تجانساً على النّص بكامله ليُحضر في ذاكرة المُتلقي المفهوم نفسه بشكل لا يُشعره بانقطاع الموضوعات عن بعضها وإن اختلفت صيغة التعبير.

ومن هنا نجد أن التكرار يُعدّ وسيلةً من وسائل ربط أجزاء النّص بعضها ببعض بشكل يُسهم في تماسك النّص على المستوى اللّفظي، وفي الوقت نفسه يُشعر المُتلقي

(١) المجادلة: ١٢.

(٢) المجادلة: ١٣.

(٣) التحريم: ٣.

(٤) مريم: ٢.

(٥) مريم: ١٨.

(٦) الآية: ٢١، كما وردت مشتقات(الرحمة)في الآيات: ٢٦، ٤٥، ٥٠، ٥٣، ٥٨، ٦١، ٦٩، ٧٥، ٧٨، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩١ – ٩٣، ٩٦.

أن الكلام متصل بعضه ببعض مستمر في موضوع واحد لا تنفصل العُرى بين أجزائه، مما يُتيح للمفسر التعرّف على موضوع السّورة أو محورها العام الذي تدور حوله آياتها، فيُسهم في فهم وتفسير السّورة.

٢ - الترادف:

عُرّف بأنّه:(ما كان معناه واحداً وأسماؤه كثيرة...وأُخذ من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف الآخر كأن المعنى مركوب واللّفظين راكبان، كاللّيث والأسد)[١] وعرّفه سيبويه(ت١٨٠هـ)في بيانه لأنواع كلام العرب بقوله:(واعلم أن من كلامهم اختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللّفظين والمعنى واحد واختلاف المعنيين)[٢]فاختلاف اللّفظين والمعنى واحد هو المُراد بالترادف عنده، وعرّفه الجرجاني(ت٨١٦هـ):(هو توالي الألفاظ المفردة الدالّة على شيء واحد باعتبار واحد ويُطلق على معنيين ؛أحدهما الاتحاد في الصّدق، والثاني الاتحاد في المفهوم)[٣] وسمّاه سيبويه:(اختلاف اللّفظين والمعنى واحد)[٤]ويُطلق عليه في الدراسات اللّغوية الغربية مصطلح إعادة الصّياغة ويعني:(تكرار المحتوى ولكن بنقله بواسطة تعبيرات مختلفة)[٥].

---

(١) السيوطي، المزهر: ١ / ٣١٦.

(٢) الكتاب: ١/ ٢٤.

(٣) التعريفات: ٤٤.

(٤) الكتاب: ١/ ٢٤.

(٥) دي بو جراند، ولفانج دريسلر، مدخل الى علم لغة النص، تر:إلهام ابو غزالة وعلي خليل: ٤٩، وظ عزة شبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق:١٠٧.

ولم تتفق آراء العلماء على تحديد تعريف اصطلاحي لمفهوم الترادف، فالرماني(ت٣٨٤هـ)مثلاً أطلق عليه:(الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى)فلا نجده يُميّز بين الألفاظ المتقاربة والمترادفة فكأنها شيء واحد.(١)

بينما فصّل بعضهم في المصطلح بين الترادف الجزئي والترادف التّام أو(المُطلق) وهو نادر الوقوع، وعند وقوعه لا يكون إلّا لمدة زمنيةٍ قصيرة محدودة، فسرعان ما تظهر الفروق المعنوية الدقيقة بين الألفاظ المترادفة بحيث يُصبح كلّ لفظٍ منها مناسباً وملائماً.(٢)

ومثلما لم تتفق الآراء حول تعريفه اختلف العلماء كذلك في وقوعه في العربية وفي القرآن الكريم، فمنهم مَن رأى وقوعه سمةً من سمات العربية ودلالة على اتساعها في الكلام حتى جمعوا للمعنى الواحد ألفاظاً عدّة، ومنهم مَن أنكر وقوعه مُلتمساً فروقاً دقيقة بين الألفاظ، فممن أكد وقوعه من العلماء ابن جنّي(ت٣٩٢هـ)وشيخه أبو عليّ الفارسي(ت٣٧٧هـ)حيث كان يستشهد على الترادف بأمثلةٍ استقاها من شيخه في بابٍ أسماه(باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني)(٣)وبيّن أن معاني الألفاظ تتلاقى عند التأمل في جذورها، كذلك الرازي(ت٦٠٤هـ)وغيرهم.

بينما نفى إبن الأعرابي(ت٢٣١هـ)وقوع الترادف، فذكر:(أن لكل حرفين أوقعتهما العرب على معنىً واحد في كل واحدٍ منهما ليس في صاحبه ربما عرفناه وربما غمض علينا فلم نلزم العرب بجهله)، كذلك نفى وقوعه كلّ من ثعلب(ت٢٩١هـ)

---

(١) ظ: محمد المنجد، الترادف في القرآن الكريم: ١/ ٣٢.

(٢) ظ: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة: ٣٠٩، و ظ: صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة: ٢٩٩.

(٣) الخصائص: ٢/ ٧٤.

وأبو بكر بن الأنباري(ت٣٢٧هـ)وابن فارس(ت٣٩٥هـ)الذي فرَّق بين المفردات في مواضع مختلفة في(الأضداد)فالأسماء تختلف عنده عن الصّفات ؛كاسم السّيف وصفاته المهند والحسام.[١]

أما أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ)فقد أنكر وقوع الترادف بشكلٍ قاطع، وأكد ذلك بوضعه كتاباً أسماه(الفروق اللّغوية)وذكر فيه:(إن اختلاف العبارات والأسماء موجب لاختلاف المعاني... وان كلّ اسمين يجريان على معنىً من المعاني وعين من الأعيان في لغةٍ واحدة، فإن كلّ واحدٍ منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر وإلّا لكان الثاني فضلاً لا يُحتاج إليه)[٢]وكذا الثعالبي(ت٤٢٩هـ)الذي بيَّن في كتابه(فقه اللّغة وسرّ العربية)فروقاً دقيقة بين الألفاظ التي يُظن أنها مُترادفة[٣].

ونفاه الرّاغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)الذي أشار في مقدمة كتابه(المفردات في غريب القرآن)أنه:(كتاب يُنبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينهما من الفروق الغامضة فبذلك يُعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته...)[٤].

أما عن وقوع الترادف في القرآن الكريم فظهر فيه اتجاهان:

---

(١) ظ: م. ن: ١٦.

(٢) الفروق اللغوية: ٣٣.

(٣) ظ: فقه اللغة وسر العربية، فقد فصّل فيه في الفروق الدقيقة بين الألفاظ.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ١٠.

الاتجاه الأول:

المُثبِت لوقوعه، فقد بيّن الزركشي(ت٧٩٤هـ)أن الترادف هو المقصود بالأحرف السّبعة بقوله:(المُراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المُختلفة نحو أقبل وهلم، وأسرع وأنظر، وأخر وأمهل)(١)وأنكر أن تكون لغات عدّة لأن العرب لا تركّب لغةً بعضها بعضاً.(٢)

ويرى بعضهم أن الترادف نوع من التوكيد للمعنى وقد قسّموه على قسمين من التوكيد ؛أحدهما التوكيد باللّفظ المُرادف، كقوله تعالى:﴿... فِجَاجاً سُبُلاً...﴾(٣) و﴿... وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾(٤)و﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٥).

وينقل الزركشي(ت٧٩٤هـ)عن الخليل(ت١٧٥هـ)في قوله تعالى:﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً﴾(٦):(العوج والأمْت بمعنىً واحد، وقيل: الأمْت أن يغلظ مكان ويرقّ مكان).(٧)

(١) البرهان: ١/ ١٥٧.
(٢) ظ: م. ن: ١/ ١١٤.
(٣) الأنبياء: ٣١.
(٤) فاطر: ٢٧.
(٥) يوسف: ٨٦.
(٦) طه: ١٠٧.
(٧) البرهان: ٢/ ٢٨١.

كما ذكروا أن المتشابه هو إيراد اللّفظ في صورٍ شتى[١] كقوله تعالى: ﴿...أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا...﴾[٢] وفي آية أخرى: ﴿... وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا ...﴾[٣].

الاتجاه الثاني:

وهو المُنكر لوقوعه في القرآن الكريم، وعزا بعضهم ذلك إلى أن في اللغة العربية ألفاظاً أحسن من ألفاظ ومعناها واحد، فهم يؤثرون بعض الألفاظ على بعض، وأن من فصاحة القرآن الكريم اختلاف الكلام باختلاف المقام، فلكلّ موضع ما يليق به ولا يحسن بمرادفه، وبعض آخر يُنكر ذلك تماماً ويرى أن الألفاظ المُختلفة تدلّ على معنىً واحد مُلتمساً فروقاً دقيقة غامضة اختصَّ به كل لفظ بمعنى مُعيّن، ومنهم الدكتورة بنت الشاطي فقد أنكرت وقوعه في العربيّة وفي القرآن الكريم كونه تعدداً بالألفاظ للمعنى الواحد بقولها: (ما من لفظٍ فيه يُمكن أن يقوم غيره مقامه)[٤] لكنها ترجع الترادف الى تعدد اللّغات أو (أن يكون بين الألفاظ المقول بترادفها قرابة صوتية)[٥].

وقد ذكر العلماء أسباباً لوقوعه منها ؛اختلاف اللّغات واللّهجات، أو أن يكون للشيء اسم واحد ثم يُوصَف بصفات مُختلفة كما قيل في صفات السَّيف كالصارم والباتر والصّقيل، كما عدّوا المجاز أحد أسباب وقوع الترادف، والتطور اللّغوي لأصوات بعض الكلمات عدّها بعضهم من الترادف مثل (دعس، دهس) وجعلوا منه

---

(١) الزركشي، البرهان: ١/ ١٠٥.

(٢) البقرة: ١٧٠.

(٣) لقمان: ٢١.

(٤) الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق: ٢١٠.

(٥) م. ن: ٢١٠.

ايضا المُعرّب والدخيل.[١]

وشرطوا لوقوعه شروطاً منها الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً، وأن تنتمي الكلمتان إلى لهجة واحدة، وأن تتحدا في العصر، وأن لا يكون أحد اللّفظين نتيجة تطور صوت آخر وهم بذلك حددّوا مجال المترادفات وعدم الاضطراب والخلط فيها[٢]بل هم ضيّقوا نطاق الترادف وعدّوا تلك الألفاظ متقاربة وليست مترادفة وان الترادف لا يثبت إلّا في ألفاظ قليلة جداً.

وعلى الرغم من الاختلافات بين العلماء في حقيقة وجود الترادف أو عدمه وإيجادهم فروقاً دلالية بين الألفاظ المتقاربة في المعنى، بأن مَن نظر منهم إلى المصداق فرّق بين الألفاظ، ومن نظر إلى المفهوم لم يُفرّق بينهما، أو ان اللّفظين يدلّان على المفهوم:(باعتبارين:أحدهما على الذات، والآخر على الصّفة)[٣].

ومما لا شك فيه أن الاستعمال القرآني يعتمد الدقّة في وضع اللّفظ في موضعه المناسب مع مراعاة الفروق الدقيقة في كلّ موضع لأن(لكلّ نوع من المعنى نوعاً من اللّفظ هو به أخصّ وأولى، وضُروباً من العبارة هو بتأديته أقوم وهو فيه أجلى)[٤]إلّا أنه يمكننا القول بوجود مفردات متقاربة في المعنى سُميت – تسامحاً – مترادفة وتُسهم هذه الألفاظ المتقاربة في المعنى في الكشف عن وجه اتصال أجزاء الآيات بعضها ببعض واستمرار الموضوع، وعدم خروجه إلى موضوع آخر فهو مستمر لكن بلفظ آخر.

---

(١) ظ: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة: ٣١٩، و ظ: صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة: ٢٩٩، ومحمد المنجد، الترادف في القرآن: ١/ ٨١.

(٢) ظ: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة: ٣٢٢.

(٣) السيوطي، المزهر: ١ / ٣١٦.

(٤) عبد القاهر الجرجاني، الرسالة الشافية، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ١١٧.

فقد وردت مفردات تدلّ على تقارب في معناها يُنبئ أن الموضوع الذي تتناوله متصل بما سبقه وأنه لا انقطاع بينهما بالرغم اختلاف اللّفظ، فذكْرُ كلّ من لفظِ(أَزْوَاجِكَ)و(أزواجِهِ)و(اِمْرَأَةَ نُوحٍ)و(وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ)و(اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ)ضمن إطار سورة التحريم[١] اتصل بموضوعها الرئيس، فكلمة(امرأة فلان)في سياق اتصالها بمذكر تحمل مفاد الزوجة، وإن كان لكل من اللّفظين دلالة خاصّة ودقّة في الاستعمال القرآني:(فالزوج تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف حكمة وآية أو تشريعاً وحكماً﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]فإذا تعطلت آيتها من السّكن والمودّة والرحمة بخيانة أو تباين في العقيدة فامرأة لا زوجة)[٣].

فاستعمال كلّ من اللّفظين جاء في موقعه واستُدِل بهما في موضع المقارنة بين حالات من نساء بعض الأنبياء من جانب وامرأة فرعون من جانب آخر، فلفظتا الزوجة والمرأة وإن اختلفت دلالتيها في سياق السّورة إلّا أنهما تدلّان على اتصال الموضوع وارتباط الآيات بعضها ببعض، فالمترادفات يجمعها المجال نفسه ولا يقتصر دورها

---

(١) الآية(١)﴿: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.
والآية(٣)﴿: وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾.
والآية(١٠):﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾.
والآية(١١):﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

(٢) الروم: ٢١.

(٣) بنت الشاطي عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق: ٢٣٠.

على إظهار المعنى الرئيس فقط بل تعطي القارئ شعوراً بأن النّص مستمر في موضوعه العام أو فكرته الرئيسة وإن اختلفت المفردة التي يُعبَّر بها عنه.

وكذلك قوله تعالى:﴿... حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[1]فعبّر عن جدال المشركين بقولهم:﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾وهو جزء من جدالهم فأدّت هذه الجملة معنى الجدال في الآية ولكن باستعمال لألفاظ أُخر في دلالة على استمرار الجدل ولكن بما يُعطي معنى الجدل لا لفظه، فتكرار المعنى بألفاظ متقاربة يحقق التماسك في النّص القرآني إذ يُشعر المُتلقي باتصال الكلام ببعضه دون انقطاع.

وإذا كان التكرار هو استمرار للموضوع بالألفاظ ذاتها فالترادف هو استمرار للفكرة أو الموضوع بألفاظ متقاربة.

٣ - المُصاحبة المعجمية أو(التَّضام):

ويُقصد بها:(توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوّة نظراً لارتباطها بحُكم علاقة ما)[2]وتُمثل مظهراً من مظاهر اتساق النّص، وتتحدد من خلال(علاقة الأشياء في الواقع، والرّوابط الموجودة بين هذه الألفاظ في النّص وعلاقة الألفاظ بالمنظومة اللّغوية الشاملة للنّص أو ما يُسمّى بعلاقات التضمين)[3]والارتباط فيما بين تلك الألفاظ أمر اعتاد أبناء اللّغة وقوعه في الكلام بحيث يُمكن توقع ورود

---

(١) الأنعام: ٢٥.

(٢) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى إنسجام الخطاب:٢٥، و ظ: عمر ابو خرمة، نحو النص: ٨٣.

(٣) خليل البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب:٦٨.

كلمة محددة في النّص من خلال ذكر كلمة أخرى[١] وتتمثل هذه العلاقات في وجوه عدّة منها(التّضاد، علاقة الكلّ بالجزء، علاقة التلازم الذِّكري)[٢].

ويعتمد المُتلقي في إيجاد سياق تترابط فيه العناصر المُعجمية على مقدار ما لديه من معرفة لغوية بمعاني الكلمات، فيكشف عن ارتباط بعضها ببعض(فذكر أحدهما يستدعي ذكر الآخر لوجود علاقة ما بين اللّفظين ومن ثم لا يجيئان إلّا معاً، وبشكل عام فإن أي عنصرين من الكلمات لهما النّمط نفسه من التلازم أي لهما ميل للظهور في السّياق نفسه سيُولّدان قوّة ترابط إذا وُجدا معاً في جُمل متجاورة، فالتجاور المتضام يؤدّي إلى علاقة أشدّ تماسكاً في النّص)[٣]، ومن وجوهه:

أ – التّضاد بجميع درجاته ؛ كالتّضاد الكامل كقوله تعالى:﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى۝وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾[٤] فاللّيل والنهار، والذكر والأنثى متضادّان جمعت بينهما هذه العلاقة في الآيتين ضمن السّورة، والتخالف كقوله تعالى:﴿هَا أَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٥] فالتخالف بلفظتي تحبونهم ولا يحبونكم، أو التناقض، والتعاكس كقوله تعالى:﴿tالْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٦]

---

(١) ظ: حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري:١١١.

(٢) فان دايك، علم النص(مدخل متداخل الاختصاصات)ترجمة سعيد بحيري: ٢٧٠.

(٣) جمعان عبد الكريم، إشكاليات النص: ٣٦٦.

(٤) الليل: ١ – ٣.

(٥) آل عمران: ١١٩.

(٦) التوبة: ٦٧.

فهذه الآية بيّنت سلوك المنافقين المتناقض والمعاكس لسلوك المؤمنين في السّورة نفسها بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] فذكر هذه الألفاظ المتعاكسة يُشير إلى ارتباط الآيات بعضها ببعض فيما تكشفه هذه العلاقة بين الألفاظ في آيات السّورة.

ب – التلازم الذِّكري: وهو الجمع بين أمر ما وما يُناسبه كقوله تعالى: ﴿(وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم...﴾[2] وقوله تعالى: ﴿... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[3] وفي كثير من الآيات التي تحثّ على الإنفاق يأتي ذكر الرزق منسوباً إلى الله تعالى(رزقناكم، رزقناهم)في دلالة على تلازم الإنفاق الذي يُبتغى به وجه الله تعالى بالرّزق الطيّب الحلال وليس من غيره.فهذه العلاقة تُعبّر عن شكلٍ من أشكال التماسك في إطار مُحدد بالجملة التي تجمع بين المتلازمين وهي بوجودها في النّص تُسهم في الرّبط بين جمل النّص ضمن إطار السّياق.

ج – علاقة الكلّ بالجزء وبالعكس: فإن ذكر الأجزاء يتحدد بما يتناسب مع الرؤية التي تُعرض من خلال الكلّ والعكس صحيح إذ إن إدراك الكلّ لا يمكن أن يحصل إلّا بمعرفة الأجزاء ومدى اتصالها بعضها ببعض ضمن إطار الشكل[4] كقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ۞ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ

(١) التوبة: ٧١.

(٢) المنافقون: ١٠.

(٣) البقرة: ٣.

(٤) ظ: حسام فرج، نظرية علم النص: ١١١ – ١١٦.

الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ۞ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ۞ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾[١] فالآيات بدأت الحديث عن السّماوات وهي(الكلّ)ثم انتقلت إلى السّماء الدّنيا وهي(الجزء)من السّموات السّبع ثم جاء بعدها ما تضمّنه هذه السّماء من نجوم أو قمر...وغيرها ثم انتقل إلى وصف أجزاء السّماء الدّنيا وهي(النجوم) بأنها رجوم للشياطين، وهنا بدأ النّص القرآني بالحديث عن الجزء من خلال الكلّ فإدراك الكلّ أولاً ثم الانتقال إلى إدراك الجزئيات يأتي ضمن إطار عمليات الإدراك الذّهني للأشياء فتتابَع ذكر(الأجزاء)بعد ذكر(الكلّ)[٢].

ويرى البحث أن هذه العلاقات لا تنحصر في كونها مفردات تُشكل البنية السّطحية أو الشكلية للنّص بل أنها تُوظف من أجل إظهار العلاقات التي تُشكل بنية النّص العميقة التي تكشف عن علاقات معنوية خفيّة تنظم النّص كاملاً، فالعلاقات اللّفظية هي وسائل يتجلّى بها إتساق النّص لكنها تشترك مع العلاقات المعنوية من أجل فهمه وبيان المقصود منه[٣].

---

(١) الملك: ٢ – ٥.

(٢) محمود البستاني في حديث علمي شفوي.

(٣) نوقشت هذه العلاقات ضمن العلاقة المعنوية من خلال علاقات: التضاد، التشابه، ...وغيرها، ظ: الفصل اللاحق من الأطروحة.

ثانياً – الرّوابط التركيبية

إن بناء الجملة يسير وفق الاتصال اللّغوي بين أجزائها لتؤدّي المعنى المُراد سواء أكانت ألفاظاً متماسكة فيما بينها أم جُملاً ترتبط إحداها بالأخرى، لأن الجملة وإن كانت في الأصل كلاماً مستقلاً إلّا أنها حينما تنظمّ إلى جُملٍ أخرى تحتاج فيما بينها إلى سبب أو دعامة تربطها بما قبلها وما بعدها، يقول الرضي الاسترابادي(ت ٦٨٦ هـ):(الجملة في الأصل كلام مستقل فإذا قصدت جعلها جزء الكلام فلا بدّ من رابطة تربطها بالجزء الآخر)[١].

وقد بيّن عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١ هـ)عند تأسيسه للعلاقة بين اللّفظ والمعنى في نظريته التي سمَّاها بـ(النظم)أهمية التركيب بقوله:(واعلم أن ليس النظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتَعرِف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها)[٢]كما بيّن:(أن الألفاظ مُغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنَّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المُستخرِج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبيّن نقصان الكلام ورجحانه حتى يُعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه)[٣].

فالجملة لا يُفهم معناها ولا يُعرف مقصودها إلّا إذا ارتبطت بما قبلها وما بعدها برابطة ما ؛أي بوجود علاقة سياقية نحوية بين طرفين باستعمال الأدوات التي تدل على وجود تلك العلاقة، ويُسهم الرّبط في الأمن من اللّبس وفي فهم الارتباط بين

(١) شرح الكافية: ١ / ٩١.
(٢) دلائل الإعجاز: ٧٠.
(٣) م. ن: ٧٠.

الطرفين المربوطين[١].

ولا بدّ حين البحث في الرّوابط من معرفة الأسس التي تجعل الجُمل متماسكة من خلال التركيب ليُدرك المعنى المقصود، ويكون المعنى هو الأصل الذي تترتب عليه التراكيب، ويتضح التماسك من علاقات الرّبط الصحيحة نحوياً والتي تُفهم من خلال دراسة النّص كونه كُلّاً متكاملاً دون تجزئة تلك التراكيب كلٌّ على حدة ومحاولة فهمها بعيداً عمّا سبقها ولحقها.

وتشمل أسس الرّبط في النّظام التركيبي للجملة:

١ - الرّبط بالضمير.

٢ - الرّبط باسم الإشارة.

٣ - الرّبط بالاسم الموصول.

٤ - الرّبط بالحذف.

٥ - الرّبط بالأدوات.

---

(١) ظ: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٤٣.

١ - الرّبط بالضمير

أصطلح علماء اللّسانيات على مجموعة من أدوات الرّبط بالإحالة، ويُقصد بها:(وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها حين التأويل إذ لا بدّ من العودة إلى ما يُشير إليه من أجل تأويلها وتُسمّى تلك العناصر: عناصر مُحيلة، وهي: الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، فهذه الأسماء تعود إلى عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من النّص، والتماسك عن طريق الإحالة يقع عند استرجاع المعنى أو إدخال الشيء في الخطاب مرّة ثانية)[١].

ويُعدّ الضمير أحد العناصر المُحيلة الدالّة على وجود ارتباط بين أجزاء النّص إذ يُوظف بوصفه عاملاً من عوامل الرّبط بين الأجزاء من خلال إحالة الضمير إلى اسم سابق مذكور في النّص إذ:(تؤدي الضمائر دوراً مهمّاً جداً في علاقة الرّبط فعودها إلى مرجع يُغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه، ومن هنا يُؤدّي إلى تماسك أطراف الجملة...)[٢]إذ إنها تستحضر عنصراً تقدَّم ذكره أو خطاباً سابقاً في خطاب لاحق.

فالضمائر تؤدّي وظيفة ارتباطية، ويُشير وجودها في الجملة إلى تعلّق الكلام بصاحب الضمير:(ولولا وجود الضمير لنشأ اللّبس في فهم الانفصال بين الجملتين...)[٣]فوظيفة الضمير تشابه وظيفة حروف العطف أو غيرها من الأدوات التي تسُهم في شدّ الأجزاء وتماسكها بعضها ببعض.

---

(١) حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٨٣.

(٢) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ١١٣.

(٣) مصطفى حميده، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٥٣.

إن معرفة عود الضمير على الاسم المقصود مهمّ جداً في فهم الآية وتفسيرها كما إن تحديد ذلك أمر دقيق جداً، ومن هنا ظهرت اختلافات كثيرة عند جمع من المفسرين في عود الضمير خصوصاً في الآيات التي يُذكر فيها ضمائر متعددة لأسماء أو شخصيات ذكرت من قبل في الآية أو الآيات السّابقة مما أوقع بعضهم في اللّبس وعدم تحديد المقصود بالخطاب، والى ذلك أشار السيوطي (ت٩١١هـ) بقوله: (الأصل توافق الضمائر في المرجع حذراً من التشتت ولهذا لما جوّز بعضهم في ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ...﴾[١] أن الضمير في الثاني للتابوت وفي الأول لموسى، عابه الزمخشري (ت٥٣٨هـ) وجعله تنافراً مُخرِجاً للقرآن من إعجازه فقال: (والضمائر كلّها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هُجنة لِما يُؤدّي اليه من تنافر النّظم... فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلت: ما ضرك لو قلت: المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت؟ حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أُم إعجاز القرآن، ومراعاته أهم ما يجب على المُفسِّر)[٢].

وقد تناول النّحويون مواقع الضمير بشكل مُفصّل في كلّ جملة، فهو: (يعود من جملة الخبر على المبتدأ، ومن جملة الحال على صاحب الحال، ومن جملة النّعت على المنعوت، ومن جملة الصّلة على الموصول، فيجعل في كلّ حالة من هذه واضحة الوظيفة غير مُعرضة للبس)[٣].

---

(١) طه: ٣٩.

(٢) الزمخشري، الكشاف: ٣/ ٦٤، وظ السيوطي، معترك الأقران: ٣ / ٤٦٦.

(٣) تمام حسن، اللغة العربية معناها ومبناها: ١١٣.

ولا تختلف وظيفة الضمير سواء أكان بارزاً أم مستتراً، ففي الحالين كليهما يؤدّيان وظيفتهما في الرّبط، وقد ميّز بعضهم بينهما فجعل من تقدير:(الضمير المستتر قرينة معنوية على نشوء ارتباط، وإن وجود الضمير البارز إنما هو قرينة لفظية على نشوء ربط)[١]لأن الضمير البارز يفصم علاقة الإرتباط بين الجملتين بينما الضمير المُستتر قرينة معنوية عقلية تُشير إلى ارتباط الجملتين)[٢].

فعلى مستوى الآية الواحدة تأتي الضمائر رابطةً الجمل ببعضها كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ۝ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ۝ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ۝الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾[٣].

فالضمائر العائدة على لفظ الجلالة بيّنت أن الكلام مرتبط أوله بآخره، واستغنت عن إعـادة اللّفظ، وقد استعملت الضمائر بنوعيها ظاهرة ومستتره، وهي في الألفاظ:(خلق – استوى – دونه – يدبر – أحسن – خلقه – بدأ – جعل – سواه – نفخ – روحه)كلها اجتمعت في الآيات مُبيّنة استمرار الموضوع والفكرة من دون انقطاع، وهي تتحدث عن صفات الله تعالى، فهو خالق السّموات والأرض، وهو الذي على العرش استوى، وهو الذي لا إله دونه، وهو المُدبّر، وأحسن الخالقين،

---

(١) مصطفى حميده، نظام الارتباط والربط في الجملة العربية: ١٥٥.

(٢) ظ: م. ن: ١٥٦.

(٣) السجدة: ٤ – ٩.

وهو الذي خلق الإنسان فسوّاه وعدله، مشيرة بذلك إلى ضرورة شكر هذا المُنعِم.

أما على مستوى السّورة كاملة فالأمر أكثر وضوحاً كما في سورة(المنافقون)التي ابتدأت بقوله تعالى:﴿إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾(١).

فقد وردت في السّورة ضمائر متصلة ومنفصلة ظاهرة ومستترة كلّها تتحدث عن المنافقين وقد استغني عن إعادة ذكرهم بلفظ(المنافقين)لأن الضمائر التي تضمنتها السّورة أحالت على ما ذكر من قبل في الآية الأولى، فاستمرت السّورة ولآيات عدّة تتحدث عنهم وعن صفاتهم وأفعالهم دون إعادة ذكرهم مشيرة بذلك إلى تواصل الكلام وعدم انقطاعه وإن الفكرة الرئيسة ما تزال تشدّ الآيات بعضها إلى بعض من خلال الضمائر العائدة على المنافقين:﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ۞ سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۞هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَللهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ۞ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

---

(١) المنافقون: ١.

(٢) المنافقون: ٢ – ٨.

حتى انقطع الحديث عنهم وتحول الخطاب إلى المؤمنين وهنا أدّى الإلتفات في الضمائر دوره في إنقطاع الحديث عن المنافقين فانتقل بالضمير من صيغة الغائب التي تناسب مقام المُنافقين إعراضاً عنهم بينما خصّ المؤمنين بصيغة المُخاطب مُوجهاً لهم الكلام بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ...﴾الآية التّاسعة وما بعدها من آيات دلالة على عنايته بهم وتنبيهاً لهم على التأسّي بأفعال المُنافقين بالاشتغال بالأموال والأولاد وعدم الإنفاق في سبيل الله.

٢ - الحذف

هو(إسقاط وطرح جزء من الكلام أو الاستغناء عنه لدليل دلَّ عليه، أو للعلم به وكونه معروفاً)[١]فيُحذف جزء أو عنصر من عناصر النّص لوجود قرينة تدلّ عليه، ويُعدّ الحذف من الإيجاز البليغ فقد وصفه عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) بأنه:(باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسِّحر، فإنك ترى به ترك الذِّكر أفصح من الذِّكر، والصّمت عند الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تَبِن...)[٢].

فإذا كان المعنى مفهوماً بما سبق ذكره في الكلام، لا يستدعي الأمر إعادة ما هو زائد عليه فيما يلحقه فالحذف ينتج عن المعنى المفهوم في كلّ موضع زائد على عناصر اللّفظ المذكورة، ويُراعى في ذلك القرائن المعنوية واللّفظية.[٣]

---

(١) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على إلفية ابن مالك: ١/ ٢٤٣.

(٢) دلائل الإعجاز: ١٦٢.

(٣) ظ: طاهر سليمان حمودة، الحذف في الدرس اللغوي: ٣٣.

يُشير الباقلاني(ت٤٠٣هـ)إلى أهمية الحذف بأنه أبلغ من الذِّكر فالنّفس تذهب في تقديره كلّ مذهب[١]واستدلّ على تقدير المحذوف في قوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل للهِّ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِّ إِنَّ اللهَّ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[٢] (كأنه قيل:لكأن هذا القرآن)[٣].

فالحذف إحدى وسائل تماسك النّص لأنه يُتيح للمُتلقي أن يذهب في ملء الفراغ – الذي يبدو له – مذاهب عدّة مُقدّراً إيّاه بالاستعانة بما سبقه من الكلام أو ما يلحقه.

ويُوضّح حازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ)مسوغات الحذف والمواضع التي يَحسُن فيها بقوله:(وإنما يحسن الحذف ما لم يَشْكُل به المعنى لقوة الدلالة عليه، أو يُقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة فيُحذف، ويُكتفى بدلالة الحال عليه وتترك النّفس تجول في الأشياء المُكتفي بالحال عند ذكرها على الحال...وبهذا القصد يؤثر في المواضع التي يُراد بها التعجّب والتهويل على النّفوس، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنّة:﴿... حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا...﴾[٤]فحذف الجواب إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وتركت النّفوس تقدر ما شأنه ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك، لقوله عليه الصّلاة والسّلام: لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[٥].

---

(١) ظ: إعجاز القرآن: ٢٦٢.

(٢) الرعد: ٣١.

(٣) الباقلاني، إعجاز القرآن: ٢٦٢.

(٤) الزمر: ٧٣.

(٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء:٣٩١.

فتقدير المحذوف في أي نص هو عملية ذهنية تستدعي ربطاً بين السّياق السّابق واللّاحق من خلال الاعتماد على القرائن فيؤدّي بالنتيجة إلى سدّ الفراغ الذي قد يُحدث عند القارئ إلتباساً في فهم الآية، فالحذف اذن هو:(استبعاد العبارات السّطحية التي يُمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذّهن أو أن يُوسّع أو يُعدّل بوساطة العبارات الناقصة)[١].

وسمّى السيوطي(ت٩١١هـ)عملية ملء الفراغ بالإحتباك بقوله:(وهذه التّسمية من الحبك الذي معناه:الشدّ والإحكام وتحسين أثر الصّنعة في الثوب وسدّ ما بين خيوطه من الفُرَج وشدّة إحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق... وان مواضع الحذف من الكلام شُبهت بالفُرَج بين الخيوط فلما أدركها النّاقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه، كان حابكاً مانعاً من خلل يطرقه، فسدّ بتقديره ما يحصل من الخلل مع ما أكسبه من الحُسن والرونق)[٢].

ويُرجَع في تقدير المحذوف إلى النّص نفسه وما يقتضي فيه الحذف أو الذكر فقد يُقدر المحذوف بلفظة أو بجملة كاملة ويرجع في تقديره للسياق.

ويضع الزركشي(ت٧٩٤هـ)شروطاً في تقدير المحذوف فلا يُقدر جزافاً بل يجري على وفق ضوابط وأسس، فيقول:(أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف أما من لفظه أو سياقه وإلّا لم يُتمكن من معرفته فيصير اللّفظ مُخلاًّ بالفهم، ولئلا يصير الكلام لغواً فيُهجن في الفصاحة، وهي معنى قولهم:لا بد أن يكون فيما أُبقي دليل على ما أُلقي وتلك الدلالة حالية أو مقالية)[٣].

(١) دي بو جراند، النص والخطاب والاجراء، ترجمة تمام حسان:٣٠١.

(٢) الاتقان: ٣٩٩.

(٣) الزركشي، البرهان: ٣ / ٧٨.

والحذف على نوعين ؛حذف كلمة:اسم أو فعل أو حرف، وحذف جملة:كجملة الشرط أو جوابه، أو القَسَم، أو جوابه...وغيرها[١].

ويستمد الحذف أهميته:(من حيث أنه لا يُورد المنتظَر من الألفاظ ومن ثم يُفجّر في ذهن المُتلقي شحنة توقظ ذهنه ويجعله يفكر فيما هو مقصود)[٢]لذا يُعدّ الحذف وسيلة من وسائل التناسق والرّبط بين أجزاء النّص، التي تُسهم في إدراكها العناصر أو القرائن الحالية المُحيطة لتقدير المحذوف تقديراً صحيحاً(فتلك المعلومات المُكوّنة لإطار أو مفهوم ما تعيّن أسباباً ونتائج وأحداثاً اعتيادية أو متوقعة، والمعلومات المحذوفة تكون متضمنة في إطار معلومات أشمل منها ويمكن استرجاعها بمجرد ذكر الأطر الجامعة لها)[٣]إذ يميل المتكلم إلى إسقاط بعض عناصر من الكلام اعتماداً على فهم المُخاطَب وإدراكه للعناصر المحذوفة تارة ووضوح قرائن من السّياق تارة أخرى.

فقوله تعالى:﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤]فلا بدّ في فهم(شَهِد)الملائكة و(شَهِد)أولو العلم بدليل ما في أخر الآية من قوله تعالى:(لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(ولو لا هذا الفهم لجعلنا الملائكة وأولي العلم آلهة مع الله سبحانه وتعالى، وهذا إفساد لدلالة النّص)[٥].

(١) يشمل الحذف: حذف المبتدأ، أو الخبر، حذف الفاعل، والمفعول، والصفة، حذف الموصوف، حذف المضاف، المضاف اليه أو كليهما، الجار والمجرور، حذف المعطوف... الخ. فصّل في هذا الموضوع الزركشي في البرهان: ٣ / ٩٣ وما بعدها، والسيوطي، الاتقان: ٣٩٨.

(٢) فتح الله سليمان، الاسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: ١٣٩.

(٣) حسام أحمد فرج، نظرية النص: ١٥٢.

(٤) آل عمران: ١٨.

(٥) صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢ / ٢٠٨.

ولا يمكن تقدير المحذوف بشكل صحيح إلّا إذا كان المُتلقي على معرفة تامّة بما يُحيط النّص من قرائن ويُشترط في الحذف أن يكون المُتلقي مُحيطاً بكل تفاصيل السّياق الاجتماعي المُصاحبة له ليتمكن من تقدير المحذوف تقديراً صحيحاً وسليماً ليُحافظ على استمرارية فعل التلقي ومعرفة الغرض، فالغرض الرئيس في السّورة هو الإطار الجامع الذي يتكون من مجموعة من القضايا أو الموضوعات التي يُمكن من خلالها ربط الآيات أو الجمل السّابقة باللّاحقة ضمن ذلك الإطار وإن تخلل الآيات بعض الأجزاء المحذوفة فيُمكن عند ذلك تقديره، فقوله تعالى:﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]فحذف جواب الشرط هنا وقدر من خلال ما بيّنته الآية نفسها، يقول الزمخشري(ت٣٨٥هـ):(جواب الشرط محذوف تقديره، إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم بظالمين، ويدلّ على هذا المحذوف قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾)[2]فاستُعين بالجملة اللّاحقة في تقدير الجواب لربطه بالجملة السّابقة مما يُعطي فهماً صحيحاً.

وكذلك قوله تعالى:﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3]وهنا حذفت جملتان إذ يُبيّن ذلك الزركشي(ت٧٩٤هـ) بقوله:(...وأصل الكلام:أفمن يمشي مُكبّاً على وجهه أهدى ممن يمشي سوياً على صراط مستقيم، أمن يمشي على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي مكباً...لأن أفعل التفضيل لا بدّ في معناه من المفضل عليه...فلا بد من ملاحظة أربعة أمور، وليس في الآية إلّا نصف إحدى الجملتين ونصف الأخرى، والذي حُذف من هذه مذكور في

(١) الأحقاف: ١٠.

(٢) الكشاف: ٣/ ٣٣٢.

(٣) الملك: ٢٢.

تلك والذي حذف من تلك مذكور في هذه، فحصل المقصود مع الإيجاز والفصاحة ثم ترك أمراً آخراً يتعرض له، وهو الجواب الصحيح لهذين الإستفهامين وأيّهما هو الأهدى؟ لم يذكره في الآية أصلاً إعتماداً على أن العقل يقول:الذي يمشي على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي مُكباً على وجهه)[1]فاكتفى من كلّ جملة بنصفها وبتقدير المحذوف يتبيّن ارتباط الكلام بعضه ببعض وتماسك أجزائه ولا يقع المُتلقي في اللّبس.

وقوله تعالى:﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[2]فبالعودة إلى الآيات السّابقة – على مستوى السّورة – التي تناولتها الآيات الدَّالة اتخاذ شركاء لله يعبدونهم من دونه تُفهَم الآية بتقدير المحذوف ؛أي أين شركاؤكم الذين زعمتم أنهم شفعاء لكم من دون الله، وهنا إعتُمد في تقدير المحذوف على قرينة ما سبق ذكره من حال أولئك المشركين.

ولا شك أن للحذف أهمية في تحقيق تماسك النّص لأن بحث المُتلقي عمّا يسدّ به الفجوة – التي قد تسبب خللاً في الفهم – يُرجعه إلى سياق النّص الذي من خلاله يُقدَّر المحذوف فيربط النّص السّابق باللّاحق، ويبحث عمّا يسدّ الفراغ من خلال آيات السّورة كافة والموضوع الذي تتناوله.

(١) الزركشي، البرهان: ٣ / ٩١.
(٢) الأنعام: ٢٢.

٣ - إسم الإشارة:

تُعدّ أسماء الإشارة من وسائل الربط التركيبية في النّص، ووجودها ضمن السّياق يُشير إلى تماسك أجزائه بعضها مع بعض، وهي تأتي لتشير إلى لفظٍ سابق مذكور في النّص:(فتلخص قولاً أو حدثاً سابقاً فتربط بين الإشارة وبينه برباط السّببية ونحوها)[(١)] وبذلك تُسهم في اتساق أجزاء النّص.

فقوله تعالى في سورة(المؤمنون):﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾[(٢)]جاءت مرتبطة بما سبقها من بيان صفات المؤمنين الخاشعين في صلاتهم، المُعرضين عن اللّغو، الحافظين لفروجهم، والمُراعين لأماناتهم، والمُحافظين على صلواتهم[(٣)]فرُبط بينهما باسم الإشارة(أولئك)مشيرة إلى أن الكلام ما يزال مُتصلاً في ذكر المؤمنين، وإن عاقبتهم أنهم:﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[(٤)].

وقوله تعالى في سورة المدّثر:﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ۝ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[(٥)]جاء اسم الإشارة رابطاً بين قوله تعالى في آية سابقة:﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً﴾[(٦)]فالإشارة هنا منه إلى القرآن الكريم الذي كذب به ذلك المستكبر فوصفه

---

(١) تمام حسن، الخلاصة النحوية: ٩٢.

(٢) المؤمنون / ١٠.

(٣) الآيات: ١ – ١٠، وهي:﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ۝ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ۝فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

(٤) المؤمنون: ١١.

(٥) المدثر: ٢٤ – ٢٥.

(٦) المدثر: ١٦.

بقول البشر، فاتصل الكلام هنا عن القرآن الكريم بالإشارة إليه بعد أن جاءت آيات عدة - تتحدث عن صاحب هذا القول - فصلت بين الآيتين[١]فأعاد ربط الكلام مجدداً بالإشارة القريبة إليه.

وقوله تعالى في سورة الأنعام:﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[٢].

هذه الآية اتصلت وتماسكت بما سبقها من آيات بلفظ(ذلكم)في:(إشارة إلى الموصوف بما تقدم من الصّفات...(فاعبدوه)سبب عن مضمون الجملة على معنى:أن من استجمعت له هذه الصّفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه بعض خلقه...)[٣].

وقوله تعالى:﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤]فقوله تعالى:﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾فيها إشارة إلى ما تمناه اليهود في ما ذكرته آيات سابقات ؛ الأولى:قوله تعالى:﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٥].

---

(١) الآيات: ١٧ - ٢٣﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ... فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾.

(٢) الأنعام: ١٠٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف: ٢/ ٥١.

(٤) البقرة: ١١١.

(٥) البقرة: ١٠٥.

والثانية: قوله تعالى:﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] وحكى القرآن الكريم قولهم:﴿(وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى...﴾[٢] فجاءت الإشارة إلى الأماني المذكورة بصيغة الجمع لا المفرد التي دلّ عليها اسم الإشارة(تلك)يُبيّن الزمخشري(ت٥٣٨هـ)ذلك بقوله:(فان قلت: لِمَ قيل(تلك أمانيهم)قوله:(لن يدخل الجنة)أمنية واحدة؟قلت:أشير بها إلى الأماني المذكورة وهو أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم، وأمنيتهم أن يردوهم كفاراً، وأمنيتهم أن لا يدخل الجنّة غيرهم ؛أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم)[٣] فهنا تمّت الإحالة باسم الإشارة إلى أمور مذكورة سابقاً في السّورة الكريمة بالرغم مما بينها من آيات فاصلة فدلّ ذلك على ارتباط الكلام السّابق باللّاحق وتماسكه مع بعضه.

وكذلك الأمر في قوله تعالى:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٤] فبعد أن ذكرت الآيات السّابقة إحتجاج إبراهيم عليه السلام على قومه بالأدلة والبراهين بالإشارة إلى عبادة الشمس والقمر وغيرهما... وقوله تعالى على لسانه عليه السلام:﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ۞وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ۞الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ

---

(١) البقرة: ١٠٩.

(٢) البقرة – ١١١.

(٣) الكشاف: ١ / ٢٠٣.

(٤) الأنعام: ٨٣.

لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[١]فأشار إلى البرهان الذي حاجّهم به بقوله:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ...﴾[٢]دالة بذلك على استمرار الكلام في الموضوع نفسه بالإحالة عليه باسم الإشارة.

فاسم الإشارة في النّص عنصر ضروري ومهم في ربط الأجزاء بعضها ببعض دون إعادة ذكر المُحال عليه فهو يُعطي النّص تماسكاً ويحقق استرجاع المعنى واستمرارية الموضوع دون انقطاع.

٤ - الاسم الموصول:

يربط الاسم الموصول بين ما قبله وما بعده من أجزاء الكلام، فجملة الصّلة التي تتبعه تشتمل على ضمير ربط يعود عليه، وبذلك تتلاحم الأجـزاء مع بعضها:(فالموصول يدلّ على مُطلق غائب ومن ثم يشبه ضمير الغائب في مجال الشبه المعنوي ولا يكون له معنى إلّا مع ذكر موصوفه أو تقديره في ضوء المقام، وبهذا الذكر أو التقدير يربط الموصول بين موصوفه وجملة الصّلة وذلك بأصل وظيفته، أما الصّور الأخرى للرّبط به فيتم إدراكها بإحلال الضمير محلّه فإن صلح الضمير لمعاقبته كان ذلك دليلاً على الربط)[٣].

فقوله تعالى:﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا

(١) الأنعام: ٨٠ -٨٢.

(٢) الأنعام: ٨٣

(٣) تمام حسان، الخلاصة النحوية: ٩٣.

اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١] فقوله﴿فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾أي في وجوههم[٢] فصحّة إبداله بالضمير دليل على كونه وسيلة من وسائل الرّبط النّحوي.

ويُعدّ الاسم الموصول أحد عناصر الإحالة في النّص والذي يؤكد ارتباط الكلام:(ويُسهم في تقبل القارئ للنّص كما يُحافظ على استمرار خيط الأحداث دون انقطاع يُخلّ بها)[٣].

وقوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ۞ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ۞فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ۞ أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُون﴾[٤].

فاتصلت الآيات بعضها ببعض في دلالة على استمرار الكلام عن المؤمنين الموصوفين بتلك الصّفات التي رُبط بينها بالاسم الموصول(الذين)في ستّ آيات تكرر فيها الرّبط به.

وكذلك ارتبط قوله تعالى:﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[٥]بما بعده من آيات بتكرار الاسم الموصول في قوله تعالى:﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ

---

(١) الحج: ٧٢.

(٢) تمام حسان، الخلاصة النحوية: ٩٣.

(٣) حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٨٥.

(٤) المؤمنون: ١ – ١٠.

(٥) يس: ٧٨.

نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(١) في إشارة إلى الخالق المنشئ فهو الذي يُحيي ويُميت وهو الذي جعل من الشجر الأخضر ناراً وخلق السّماوات والأرض فهو الذي يخلق هذا وذاك بلا جهد ولا كلفة أفلا يكون قادراً على خلقهم فهو المُستحق للتسبيح والتحميد واليه وحده مرجع كل شيء، فاستمر الكلام مُتصلاً في ذكر دلائل قدرته بارتباط الآيات بعضها ببعض بوساطة الاسم الموصول، وبهذا تؤدّي الأسماء الموصولة وظيفة الرّبط بين اجزاء النّص دون إعادة ذكر المُحال عليه الذي سبق ذكره في النّص ولولاها لظهر التفكك.

٥ - الربط بالأدوات

ترتبط أجزاء النّص بأدوات تُسهم في تماسكها سواء ما بين الكلمات في الجملة الواحدة أو ما بين الجُمل، أو الجُمل المتوالية في النّص ووجودها يُشير إلى ارتباط معنوي ضمني، فهي تؤدي دوراً مهما في اتساق النّص وتماسكه، لكن الأدوات وحدها لا تربط الأجزاء ما لم يكن هناك روابط معنوية بينها فلا بدّ من وجود علاقة منطقية تجمع بينهما كعلاقة السّبب أو الشرط وغيرها.

ويختلف الرّبط بالأداة عن الربط بالضمير فـ(وظيفة الأداة في الرّبط ناشئة من تلخيصها لمعنىً نحوي بينما الرّبط بالضمير ناشئ مما في الضمير من إعادة الذكر)(٢).

---

(١) يس: ٧٩ - ٨٣.

(٢) مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في الجملة العربية:١٩٦.

ولأدوات العطف نصيب كبير في إتساق النّص وربط أجزائه بعضها ببعض، ولا يُشترط في العطف أن تأتي الجمل متوالية بل قد يفصل بينها بجملٍ أخرى، يقول عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ):(انه قد يُؤتى بالجملة فلا تُعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان...)[(١)].

ويُمكن تقسيم أدوات الرّبط على أقسام[(٢)]:

أ – أدوات العطف:

١ – أدوات الوصل: للربط بين شيئين كليهما موجود في النّص، وهي علاقة إضافة سابق للاحق فتربط صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما، أو تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين، ومن تلك الأدوات:

(الواو، كذلك، بالإضافة إلى، فضلا عن، ناهيك عن)[(٣)]فاستعمال هذه الأدوات تجعل جمل النّص متماسكة، كما في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَّ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللهَّ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهَّ وَكَفَى بِاللهَّ وَكِيلاً۝ مَّا جَعَلَ اللهُّ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُّ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[(٤)].

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٦٥.

(٢) ظ: حسام أحمد فرج، نظرية علم النص: ٩٥.

(٣) ظ: حسام أحمد فرج، نظرية علم النص:٩٥، و ظ: عزة شبل، علم لغة النص: ١٦٥.

(٤) الأحزاب: ١ – ٤.

فتوالى ارتباط الجُمل في الآيات مع بعضها بحرف الواو الذي دلّ على اتصال الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهَّ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾[٢]فاتصل الحديث هنا عن أصحاب الكهف بلفظة(كذلك)، فبعد أن ذكرت الآيات السّابقة أحوالهم انتقلت إلى الحديث عن بعثهم من نومهم ؛أي:(وكما أنمناهم أطلعنا وأعثرنا عليهم أهل المدينة)[٣].

٢ - أدوات التفصيل: وتُشير إلى أن أحد المتعاطفين يُمكن أن يكون موجوداً في النّص، فاستعمال(أو)للرّبط بين بديلين كليهما موجود في الذاكرة وإن كان واحداً فحسب هو الذي يكون موجوداً في النّص، ومن الأدوات ايضاً:(إما و... أو) و(إما... وإما).

فقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾[٤] فقد ربطت الأداتان(إِما و أو)بين جزأي الآية، وكذلك في قوله: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ

(١) الكهف: ١٩.

(٢) الكهف: ٢١.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان: ٦/ ٣٢٧.

(٤) الإسراء: ٢٣.

الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾[١].

٣ – أدوات الاستدراك: وتربط بين شيئين لهما المكانة نفسها ولكنهما يبدوان غير مُتسقين معاً في النّص كأن يكونا سبباً ونتيجة غير متوقعة فالجمع بينهما يكون غير محتمل، ومن تلك الأدوات:(لكن، بل، بيد أن، غير أن، خلاف ذلك، على العكس، في المقابل).

مثلاً في قوله تعالى:﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٢]أي أن أولئك الكافرين في الدنيا آثروا الهوى على الهدى وعدلوا عن الحق فهم في الدنيا جاهلون، وفي الآخرة عارفون حين لا تنفعهم المعرفة فربط بـ(لكن)بين أمرين يبدوان غير متسقين:(فجعل قوله﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾في مقابلته فأقام السّمع والبصر مقام الهدى إذ جعله في مقابلة الضلال المبين)[٣].

٤ – أدوات التعليل أو(التفريع أو الإتباع): وتربط بين عنصرين يعتمد أحدهما على وجود الآخر كالسبب والنتيجة، ومن الأدوات:(الـلام، لأن، لكي، لذلك، من أجل)فقوله تعالى:﴿(... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾[٤]أي أن رفع الحرج كان نتيجة أو تعليلاً لما سبقه، أي أن رفع الحرج عن المؤمنين في أزواج أدعيائهم كان نتيجة لما سبق ذكره وهو تزويج النبيّ محمّدﷺمن زوجة زيد فربط بين

---

(١) الكهف: ٨٦.

(٢) مريم: ٣٨.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان: ٦ / ٤٢٣.

(٤) الأحزاب: ٣٧.

أمرين اعتمد وجود أحدهما على الآخر.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[١] أي من أجل أن يعلم العزيز أنه – أي يوسف – لم يخنه تعليلاً للأمر.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[٢] أشار بقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ إلى نبأ إبني آدم المذكور في الآيات السّابقة[٣]: (أي أن وقوع تلك الحادثة الفجيعة كان سبباً لكتابتنا على بني إسرائيل كذا وكذا)[٤].

٥ – أدوات الرّبط الزمني: وتمثل العلاقة بين جملتين متتابعتين زمنياً كـ: (الفاء، ثم، قبل، بعد، بينما، في حين...)[٥] كما في قوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[٦] فتتابَع الرّبط بين الجُمل في الآية بالفاء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ

---

(١) يوسف: ٥٢.

(٢) المائدة: ٣٢.

(٣) وهي: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ.... أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ المائدة: ٢٧ – ٣١.

(٤) الطباطبائي، الميزان: ٥ / ٣٢١.

(٥) ظ: حسام أحمد فرج، نظرية علم النص: ٩٦.

(٦) النازعات: ٢٣ – ٢٤.

لَمَيِّتُونَ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[١]فعطف الآيات على بعضها بـ(ثم)بتسلسل متتابع يربط أطوار الخلق والمراحل التي يمرّ بها الإنسان ترتيباً زمنياً يفيد التعقيب مع التراخي.

ب – الألف واللام: ويتحقق الرّبط بـ(أل)التي يعاقبها الضمير وهي الدالة على الجنس بمضاف إليه مقدراً أغنت عنه أل كما في قوله تعالى:﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٢]أي نهي النّفس عن هواها فان الجنّة مأواها....فأداة التعريف(أل)قد تكون عهدية في قوة الإشارة أو قد تكون جنسية نسبية في قوة الضمير الشخصي[٣].

ج – أدوات الشرط(إذا، إن، مهما، لو، لولا)

تُسهم أدوات الشرط في تماسك النّص من خلال ربط جملتي الشرط ببعضهما إذ(يُعدّ الربط الشرطي أحد أنواع الربط المستخدمة في بناء النّص... ومع الرّبط الشرطي يتسع مدى الربط بين الجمل فلا يقتصر الربط على الجمل المتعاقبة فقط بل بين الجمل غير المتعاقبة)[٤]والأساس الذي تقوم عليه علاقة الشرط هو الاستلزام[٥].

كما في قوله تعالى:﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦]أي أن كتمان أم موسى الأمر وعدم إبدائه استلزم أن

(١) المؤمنون: ١٢-ـ١٦.

(٢) النازعات: ٤٠ – ٤١.

(٣) ظ: تمام حسان، الخلاصة النحوية: ٩٤.

(٤) عزة شبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق: ١٦٦.

(٥) ظ: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في الجملة العربية:.

(٦) القصص: ١٠.

يربط على قلبها ويُثبتُها لكي لا تبوح به، فعملت أداة الشرط عملها في ربط الأمرين المتلازمين معاً في الآية.

وكذلك قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١]فاستلزم القيام إلى الصّلاة أمراً آخر ترتب عليه وهو الوضوء بكل تفاصيله، فربط الأداة(إذا)ربطاً شرطياً بين جزأي الآية، في دلالة على ارتباط الأمرين وعدم الفصل بينهما.

(١) المائدة: ٦.

الفصل الثاني

(الرَّوابط المعنويَّة في القرآن الكريم)

توطئة

١ – التَّشابه .

٢ – التَّقابل والتَّضاد .

٣ – العلَّة والمعلول .

٤ – البيان والتَّفسير .

٥ – الإجمال والتَّفصيل .

٦ – علاقة التَّكامل .

٧ – علاقة التَّفريع .

٨ – السُّؤال والجواب .

٩ – علاقة الالتزام .

توطئة

المُراد من الروابط المعنوية تلك الروابط التي تكون بين أجزاء النّص لوجود علاقات غير لفظية فيُستغنى بها عن الرّبط بالأداة.

فالجُمل إما ان تتصل ببعضها برباط ظاهر لتعلّق الكلام بعضه ببعض وعدم تمام الجملة الأولى إلّا بما بعدها وهذا أمر واضح الرّبط فيه وهو مزج لفظي[1] واما أن لا يظهر الارتباط فيبدو النّص وكأن كلّ جملة مستقلة عن الأخرى وهنا(لا بدّ من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية تؤذن بالرّبط)[2] فالأول مزج لفظي، والثاني مزج معنوي تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني.

وإذا كانت الرّوابط الشكلية تُمثل العلاقات الأُفقية في النّص، فإن الرّوابط المعنوية تُمثل العلاقات العمودية فيه(فالرّبط الأول يعتمد على الروابط السَّببية المعتادة بين الوقائع التي تدلّ عليها الأقوال وهي مجموعة الأدوات الرابطة... أما النّمط الثاني من التماسك فهو أصعب تحديداً بدرجة كبيرة وهو وظيفي)[3].

إن وحدة البناء في أي نصٍّ لا يمكن ان تقوم على إحدى تلك الروابط بل لا بدّ من أن تتآزر العلاقات مع بعضها، إذ ان(وسائل الربط التركيبية تُسهّل على السّامع التعرّف على بناء القاعدة الدّلالية في النّصوص وفهم ذلك البناء)[4].

---

(١) ظ: الزركشي، البرهان: ١/ ٥٦.

(٢) م، ن: ١/ ٥٦، والسيوطي، الاتقان:٤٧٢.

(٣) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص: ٣٣٩.

(٤) فولفانج هاينه وديتر فيهفيجر، مدخل الى علم لغة النص، تر: الهام ابو غزالة: ٣٧.

فالقضايا المُرتبطة ببعضها ترتبط حينما تكون الأوضاع التي عُيّنت لها القضايا مرتبطة في تفسيرها[١]من هنا يستطيع المُتلقي ان يُعطي ربطاً معقولاً بينها فيبحث عن العلاقة أو المعنى الرّابط بينها.

ويُبيّن الزركشي(ت٧٩٤هـ)تلك العلاقات التي تعود إلى معنى رابط بينهما(عام أو خاص، عقلي أو حسّي أو خيالي...وغير ذلك من أنواع التلازم الذّهني كالسَّبب والمُسبب والعلّة والمعلول، والنّظيرين والضدّين ونحوه، أو التّلازم الخارجي كالمُرتب على ترتيب وجود الواقع في باب الخبر)[٢].

وأشار ابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)إلى أهمية علاقة المعاني بعضها ببعض، وأن يكون بينها حُسن تلاؤم بقوله:(ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر، وأن تكون المعاني مُناسِبة لألفاظها)[٣].

وهو ما أطلق عليه مصطلح الانسجام النّصي أو الحبك أو الترابط المفهومي[٤]في الدّراسات النّصية والذي يعني ترابط الأفكار والمعاني وتعلق بعضها ببعض تعلقاً منطقياً أو بحسب التداعي الذّهني للأفكار، فهي أساس في فهم المعنى العام للنّص بربط اجزائه ربطاً منطقياً فتشكل الروابط المعنوية(حلقات وصل بين المفاهيم التي تظهر

---

(١) ظ: فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري: ٥٣، وظ: فولفانج هاينة وديتر فيهفنجر، تر: فالح شبيب العجمي: ٤٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٤٨.

(٣) الفوائد المشوق الى علوم القرآن: ١٣.

(٤) ظ: روبرت دي بو جراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسن، وظ: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، و ظ: أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٩٨، وظ: محمد الأخضر الصبحي، مدخل الى علم النص ومجالات تطبيقيه: ٨٦.

معاً في عالم النّص وتحمل كلّ حلقة وصل نوعاً من التعبير للمفهوم الذي ترتبط به)[١].

ويتضح الرّبط المعنوي في سور القرآن الكريم من خلال ارتباط الآيات بعضها ببعض بشبكة من العلاقات تتداخل مع بعضها وتحقق الترابط في أجزاء النّص القرآني وتتخذ وجوهاً مُتعددة للربط بين قضايا السّورة الواحدة أو ما بين السّور ويُمكن إجمال هذه العلاقات بما يأتي:

١ - التَّشابه

تقوم علاقة التشابه على أساس اشتراك طرفين في عناصر واحدة إذ إن:(قانون التشابه في تداعي الأفكار هو القول:أن الأحوال النّفسية المتشابهة يدعو بعضها بعضاً)[٢].

تتضح هذه العلاقة من خلال ذكر القرآن الكريم لشيءٍ ثم يتبعه بذكر ما يُشابهه؛أي يكون الأمر الجامع بينهما هو التماثل في الموضوع، سواء أكان حدثاً أم فكرة أم قصّة أم غيرها، فتراه ينتقل من الموضوع الأول إلى موضوع آخر قد يبدو - ظاهرياً - ان لا شيء يجمع بينهما ويربطهما معاً، إلّا أن التدبّر في معاني الآيات يكشف أن الارتباط قويّ ومُحكم.

فقوله تعالى:﴿ وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ۝ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الْدُّنْيَا وَالآخِرَةِ

(١) جميل عبد المجيد، علم النص، مقال في مجلة عالم الفكر، مجلد ٣٢.
(٢) جميل صليبا، المعجم الفلسفي: ١/ ٢٧٣.

وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١].

فقد ربطت بين حال المنافقين والكافرين وما هم فيه بحال مّن سبقهم في الكفر والعصيان الذين استمتعوا بخلاقهم من المُتع الفانية من الأموال والأولاد فأحبط الله أعمالهم في الدّنيا والآخرة، فربط بين مصير اولئك وهؤلاء، مُحذراً إيّاهم أن يُلاقوا المصير نفسه، فوجه الرّبط هنا هو التشابه في الأعمال بين الفريقين، الذي يستدعي أن يُلاقي المتأخرون مصير مَن سَبقهم مِن المُتقدمين.

وقوله تعالى:﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[٢].

فالآيات السّابقة لهذه الآية تتحدث عن غنائم معركة بدر:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ للّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ۞ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٣]التي اختلف المسلمون في كراهية توزيعها كما كره فريق منهم الخروج إلى القتال مع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فربط بين كراهتهم لتوزيعه الغنائم وكراهتهم للخروج معه إلى القتال ؛لتشابه الأمرين مع عدم علمهم بوجه المصلحة في دينهم ودنياهم.فهذه الحال كتلك الحال:(ذلك أنهم اختلفوا في القتال....وحاجّوا النّبي وجادلوه فكَرِهَ كثير منهم ما

---

(١) التوبة: ٦٨ – ٦٩.

(٢) الأنفال: ٥.

(٣) الأنفال: ١ – ٤.

فعل رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– فأنزل الله الآية، وأنفذ أمره، وأَمَرَهم أن يتقوا الله ويُطيعوه ولا يعترضوا عليه فيما فعل في شيء بعد أن كانوا مؤمنين.....ووصفْهم بقوله:(فريقاً من المؤمنين لكارهون)يريد أن كراهتهم لِما فعله في الغنائم ككراهتهم للخروج معك، وقد تبيّن ما في الخروج من النّصر والظفر والغنيمة وعزّ الإسلام، فكذا يكون فعله في القسمة فليُطيعوا ما أُمروا به ويتركوا هوى أنفسهم)[١].

لا تقتصر علاقة التشابه على الآيات بل تشمل مقاطع تتكون من آيات عدّة تتحدث عن موضوع ما ثم ينتقل الحديث إلى موضوع آخر قد يبدو أن لا وجه للترابط بينهما لإختلاف الحّدث لكن تشابه الموضوع بين الحَدَثين يكشف علاقة الارتباط بينهما كما في سورة مريم حيث ابتدأ بقصّة النّبي زكريا عليه السلام وولادة النّبي يحيى عليه السلام ولادة إعجازية[٢]ثم الانتقال إلى قصّة مريم عليها السلام وولادة عيسى عليه السلام بشكلٍ مُعجز ايضاً بقوله تعالى:﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً۝فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً۝ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً۝قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً۝ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً۝ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً۝ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً...﴾.[٣]

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب: ١٥/ ١٠١، و ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٩/ ٢٣، الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٩/ ١٣.

(٢) الآيات:(٧ – ١٥)من سورة مريم.

(٣) مريم: ١٦ – ٢٦.

فيتضح مسوغ الانتقال من موضوع إلى آخر لتشابه الموضوعين من ولادة هذين النبيّين، يقول الطباطبائي مُعلّقاً على هذا الانتقال إنّه:(انتقال من قصّة يحيى إلى قصّة عيسى – عليهما السّلام – وبين القصّتين شبه تام، فولادتهما على خرق العادة، وقد أُوتي عيسى الرشد والنبوّة وهو صبي كيحيى، وقد أخبر أنه برٌ بوالديه وليس بجبار شقيّ وأن السّلام عليه يوم ولِد ويوم يموت ويوم يُبعث حيّاً كما أخبر الله عن يحيى بذلك، إلى غير ذلك من وجوه الشبه)[١]. كذلك تتضح علاقة التشابه في ردود الفعل حيال الحَدَثين، فإن كلاً من زكريا عليه السلام ومريم عليها السلام هتفا بالعبارة نفسها: ﴿... قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ...﴾[٢]مع اختلاف طبيعة الموقف:(فزكريا ربط بين تساؤله عن الغلام وبين عُقر امرأته وكبره، بينما تربط مريم بين تساؤلها وبين عدم مساس البشر وعدم كونها بغياً)[٣].

كذلك تشابهت إجابة المَلَك لكليهما بقوله تعالى:﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ....﴾[٤]و قوله لمريم:﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ...﴾[٥].

كذلك وتشابه الأمر الإلهي لكليهما تجاه ردود فعل قومهما المُنكِرين المُتعجبين بإلتزام الصّوم، فقال تعالى على لسان زكريا عليه السلام:﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً﴾[٦]

(١) الميزان: ١٤/ ٣٣.

(٢) آل عمران: ٤٠.

(٣) محمود البستاني، المنهج البنائي في التفسير: ١٩٨.

(٤) مريم: ٩.

(٥) مريم: ٢١.

(٦) مريم: ١٠.

وعلى لسان مريم عليها السلام: ﴿... إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾[١].

فوجوه التشابه المُتعددة بين القصتين أو الحَدثين جعلت ارتباطهما وتلاحمهما في كثيرٍ من المفاصل مُتناسباً مع الفكرة العامة التي تطرحها السّورة بشكلٍ يجعل أجزاءها ترتبط بعضها ببعض دون أدنى انفصال.

٢ - التَّقابل والتَّضاد[٢]

التقابل هو: ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ويُخالفه في بعضها، أو كما عرّفه القزويني(ت٧٣٩هـ):(هو أن يُؤتى بمعنيين مُتوافقين أو أكثر، ثم يُقابل ذلك على الترتيب)[٣].

أو هو:(ترتيب الكلام على ما يجب، وأن يُؤتى من المُوافق ما وافقه، وفي المُخالف وما يُخالفه، وأكثر ما تكون المُقابلة في الأضداد، فإذا جاوزت المُطابقة ضدّين كانت مُقابله)[٤]وأنواعه ثلاثة: نظيري، ونقيضي، وخلافي فالنظيري كمقابلة السِنَـــة بالنوم كقولــــه تعالى:﴿...لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ...﴾[٥]والنقيضي كمقابلة النوم بالرقود، كما في قوله تعالى:﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ...﴾[٦]والخلافي، كمقابلة

(١) مريم: ٢٦.

(٢) ذكر البلاغيون وغيرهم تفاصيل كثيرة للتقابل فأشاروا الى انواعه وأقسامه بين مفرد ومركب، وصور هذه الأقسام كالمألوف والملفوف والمحذوف والضمني وتقابل السلب والإيجاب وغير ذلك ظ:احمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطويرها :٦٣٧، وما يهّمنا في هذه الدراسة هو بيان الوجوه التي ربطت بين المتقابلات وكيفية توظيفها في فهم معنيا الآيات.

(٣) القزويني: الإيضاح: ٢٩١، التلخيص: ٣٢٥.

(٤) احمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٦٣٧.

(٥) البقرة: ٢٥٥.

(٦) الكهف: ١٨.

الرّشد بالشر، كما في قوله تعالى:﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾(١)فالْمُقابلة لا يُشترط فيها أن تتضادّ المعاني وإن كثُرت، على عكس الطِّباق الذي لا يكون إلّا بالأضداد، فالمُقابلة أعمُّ منه.(٢)

ومما لاشك فيه أن التقابل ما بين الألفاظ أو ما بين المعاني من وجوه الترابط التي تترك أثراً في النّفس، فيرى حازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ):(أن للنفس في تقارب المُتماثلات وتشافعها و المُتشابهات و المُتضادّات وما جرى مجراها تحريكاً وإيلافاً بالانفعال إلى مقتضى الكلام، لأن تناظر الحُسن في المُستحسَنيْن المتماثلين والمتشابهين أمكن من النّفس موقعاً من سنوح ذلك في شيء واحد وكذلك حال القبيح، وما كان أملَك للنّفس وأمكن منها فهو أشدّ تحريكاً لها و كذلك مثول الحسن إزاء القبيح)(٣).

والتضادّ:(هو ان يُجمع بين المُتضادّين مع مراعاة التقابل)(٤)وسُمّي أيضاً التطبيق أو التكافؤ والطباق أو المُطابقة والمُقاسمة(٥).

وتكشف علاقة التّضادّ والتّقابل ما بين الآيات أو مابين السّور عن وجه ترابطي بينهما يقوم على أساس ذكر الشيء وما يُقابله أو ما يُضادّه فتُوظَّف فيه هذه العلاقة بالشكل الذي يخدم هدف السّورة أو غرضها، ذلك بأن لمقاصد السّورة وأهدافها تأثيراً في بناء السّورة بشكل عام وفي أساليبها، ولا يأخذ التقابل في سور القرآن الكريم صورة واحدة بل يتعدد بحسب الجوّ العام للسّورة.

---

(١) الجن: ١٠.

(٢) ظ: الزركشي، البرهان: ٢/ ٢٧٨.

(٣) منهاج البلغاء: ٤٤.

(٤) الجرجاني، التعريفات:٥٣.

(٥) ظ: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٦٧.

وقد حفلت آيات القرآن الكريم بذكر المُتقابلات سواءٌ أكانت قضايا أم صوراً أو قصصاً أو حالاتٍ وتعددت المُتقابلات بين اثنين وثلاث وأربع بل أكثر.

يقول الزركشي(ت٧٩٤هـ)نقلاً عن ابن النحوي[١]:(إن القرآن كلّه وارد عليها [أي على المُقابلة] بظهور نُكتِهِ الحِكَمية العلمية من الكائنات والزّمانيات والوسائط الروحانيات والأوائل الإلهيات حيث اتحدت من حيث تعددت، واتصلت من حيث انفصلت، وإنها قد تَرِد على شكل المربع تارةً وشكل المُسدس تارةً أخرى وعلى شكل المثلث إلى غير ذلك من التشكيلات العجيبة والترتيبات البديعة)[٢].

وقد لا يمكن القول أن كل القرآن وارد على المقابلة بل إن أغلب سوره أو جزء كبير منها كذلك وقد يقتصر تارة على بضع آيات تتقابل فيها المعاني، وتارةً يطول فيستغرق آيات عدّة،وكل ذلك يرجع لوحدة الموضوع في السّورة(كما سيتضح من الأمثلة التطبيقية).

وتأتي وجوه التقابل في القرآن الكريم في مواضع مختلفة وموضوعات متعددة فتكون في آية واحدة، أو بهيئة آياتٍ عدّة في السّورة، وتأخذ أشكالاً مختلفة فمنها التقابل بين مفردتين أو ما يُسمّى(بالتقابل البسيط)وقد تكون ما بين مُركّبين ويُسمّى(التقابل المركّب)فالنوع الأول أخذ مساحة كبيرة في سور القرآن الكريم فقابل بين الشيء وضدّه كالأرض والسّماء، الحقّ والباطل، الظلمات والنّور، الجنّة والنّار وغيرها، ولا بدّ من أن لكلّ لفظٍ موقعه في التقابل ودلالته التي يُعبّر عنها بما يربط بين المفردتين في

(١) هو يوسف بن محمد بن يوسف التوروزي الأصل التلمساني، المعروف بابن النحوي ناظم المنفرجة التي مطلعها(اشتدي أزمة تنفرجي)كان فقيهاً، ولد عام ٤٤٣هـ وتوفي ٥١٣هـ، ظ الزركشي، الأعلام: ٨/ ٢٤٧

(٢) الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٢٧٨

نطاق سياق الآية أو الآيات، و النّوع الثاني حفلت به صور كثيرة في القرآن الكريم فمن وصفٍ لأهل الجنّة و أهل النّار، وصور الكافرين والمؤمنين، والعمل الحَسن والعمل السّيئ، والنماذج البشرية المُختلفة، والأمثال والصور البيانيّة الأخرى.

ولا يخفى أن سوراً قرآنية كاملة قامت على أساس التقابل في كثيرٍ من تفاصيلها؛ مفرداتٍ أو تراكيب كالزُمَر، والطور، والرعد، والرحمن، والواقعة، والقيامة، والإنسان، والغاشية، واللّيل، والضحى وغيرها، ولو تتبعنا تلك التقابلات لاتضح لنا أن الاستعمال القرآني لها جاء دقيقاً تتناسب أجزاؤه مع بعضها بعضاً وترتبط برابطة يكشف عنها السّياق العام للسّورة، ومنها:

سورة اللّيل مثلاً يُهيمن أسلوب التقابل عليها، والتفاوت بين ما هو حسّي وبين ما هو معنوي فيُقابل بين اللّيل والنّهار، قال تعالى:﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾[1](وهما آنان متقابلان في دورة الفلك ومتقابلان في الصورة، متقابلان في الخصائص، ومتقابلان في الآثار...ولهما دلالة توحيان بهما إيحاء للقلب البشري، ولهما دلالة أخرى عند التفكير والتدبّر فيهما وفيما وراءَهما، والنّفس تتأثر تلقائياً بتقلّب اللّيل والنّهار. اللّيل إذا يغشى ويعمّ، والنّهار إذا تجلّى و أسفر، ولهذا التقلّب حديث وإيحاء ؛عن هذا الكون المجهول الأسرار وعن هذه الظواهر التي لا يملك البشر من أمرها شيئاً ؛و إيحاءٌ بما وراء هذا التقلّب من قدرة تُدير الآونة قاطعة أن هناك يداً أخرى تُدير هذا الفلك وتُبدّل اللّيل والنّهار بهذا الانتظام وهذا الاطراد وهذه الدّقة وان الذي يُدير الفلك هكذا يُدير حياة البشر ايضاً...)[2]فالتقابل كشف العلاقة القائمة بين اللّيل والنّهار وتعاقبهما وارتباط أحدهما بالآخر وتقابل كلّ منهما في الخصائص وفي

---

(١) الليل: ١– ٢.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن: ٦/ ٣٩٢١.

الوظيفة، وفي الآثار، قال تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[١] و:﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

ثم قابل بين الذَّكر والأنثى بقوله:﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾[٣]إذ هما نوعا الجنس البشري وهما كذلك يتفاوتان في الخصائص والوظيفة، وقد جاء هذان التقابلان(اللّيل والنّهار، والذَّكر والأنثى)تمهيداً لبيان تفاوت مماثل في الآيات اللّاحقة، هو قوله تعالى:﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾[٤]ليفصّل في هذا التفاوت في(سعي النّاس بين مَن أعطى واتّقى وصدّق بالحُسنى ومَن بخِل واستغنى وكذَّب بالحُسنى ثم تفاوت الثواب والعقاب في الأخرى بين الأشقى الذي يصلى ناراً تلظّى والأتقى الذي يجنبها بما ابتغى وجه ربّه الأعلى ولسوف يرضى، فعلى نحو ما يتفاوت اللّيل إذا يغشى بظلماته ؛والنّهار إذا تجلّى بضيائه يتفاوت سعي النّاس في الدّنيا بين ضلالٍ وهدى)[٥].

فقد جمع في هذه السّورة بين المفردات المُتضادّة بما تحمله من دلالات فقابل بينها لترتبط مع بعضها بروابط ووشائج أسهم ذكر أحدها في مقابل الأخرى – ضمن سياق السّورة – وجوّها العام في بيان وكشف هدف السّورة من ذكرها.

وقوله تعالى:﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى۝وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾[٦]فقابل الجوع بالعري والظمأ بالضحى، والمُدقّق يرى هذا الكلام في

(١) يونس: ٦٧.
(٢) النمل: ٨٦.
(٣) الليل: ٣.
(٤) الليل: ٤.
(٥) عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني: ٢/ ١٠٣.
(٦) طه: ١١٨ – ١١٩.

أعلى مراتب الفصاحة إذ جاء نظم الكلام على غير صورة المقابلة لكنه من أفضل المتقابلات(لأن الجوع ألم البطن والضحى مُوجِب لحرارة الظاهر، فاقتضت الآية نفي جميع الآفات ظاهراً وباطناً، وقابل الخلوّ بالخلوّ، والاحتراق بالاحتراق)[١] ويبدو ان الرّبط بين المتقابلات هنا على وجه الجمع بين المتشابهات في الأثر المترتب على كلّ منهما.

ومما تكشفه الروابط بين الصور المتقابلة قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً ۩ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾[٢].

وهذا الكلام يشهد ترابطاً وثيقاً فالآية تكشف عن الصورة الايجابية للأنبياء تقابلها في الآية التالية صورة أخرى مضادّة جاءت بعدهم لم تنتفع بما جاؤوا به فالآية الثانية جاءت(تتمّة للفكرة نفسها بعرض مقابلها فهناك من بلغ القمّة كالأنبياء وهناك من انتكس في الحمأة الدنيئة، ولئلّا يتصور بعضهم انه بمستوى إشراقة تلك النماذج النبويّة كانت هناك - ايضاً - نماذج مُشرقة لمن جاء بعدهم حيث تلقَّف تجربتهم وبنى عليها فكان هو الآخر مشرقاً وضاءً)[٣].

كذلك في سورة القلم: بعد أن ذكر أصحاب الجنّة: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[٤] وذكر العذاب والمصير الذي آلوا إليه انتقل

(١) الزركشي، البرهان: ٣/ ٢٨٢.

(٢) مريم: ٥٨ - ٥٩.

(٣) علي آل موسى، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: ٥٠٣.

(٤) القلم: ١٧.

بعدها إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[١] وهنا قابل بين الفئتين ؛المسلمين والمجرمين: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٢] (وهو التقابل في العاقبة كما انه التقابل في المسلك والحقيقة تقابل النقيضين اللّذين اختلفت بهما الطريق، فاختلفت بهما خاتمة الطريق)[٣] فعملية الربط بين العناصر أو الصور المختلفة والحالات المتقابلة والمتضادّة التي قد لا يبدو – في الظاهر – التناسب بينها لكنها بالنتيجة تتناسق مع الوظيفة لنقل المعنى بعبارة مُحكمة للوصول إلى الغرض المُراد إذ بالتقابل تُدرك المقارنة بين الحالين، والضد يُظهِر حسنه الضد.

٣ – العلّة والمعلول

يُراد بالعلّة: (كلّ أمر يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بانضمام الغير إليه فهو علّة لذلك الأمر، والأمر معلول له فيُتعقل كلّ واحد منهما بالقياس إلى تعقل الآخر، وعند الحكماء: ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً ومؤثراً فيه)[٤].

وقيل إن العلّة تُرادف السّبب إلّا أنها تختلف عنه من وجهين، أحدهما:

(إن السّبب ما يحصل الشئ عنده لا به، والعلّة ما يحصل به، الثاني: أن المعلول ينشأ عن علّته بلا واسطة بينهما ولا شرط، على حين أن السّبب يُفضي إلى الشيء بواسطة أو بوسائط)[٥].

---

(١) القلم: ٣٤.

(٢) القلم: ٣٥ – ٣٦.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن: ٦/ ٣٦٦٦.

(٤) جميل صليبا، المعجم الفلسفي: ٩٥٠.

(٥) م. ن: ٦٤٨.

فالعلّة تُغاير السّبب فيُراد بها المُؤثر، وبالسّبب ما يُفضي إلى الشيء في الجملة أو ما يكون باعثاً عليه(والسّبب أعمّ من العلّة لأن كلّ علّة سبب)[١].

وقد تُسمّى علاقة العليّة بـ(السَّببية)إذ يتقدم فيها السّبب على النتيجة(المُسبب) بينما تُسمّى علاقة المعلولية بـ(المسببية)وفيها تتقدم النتيجة(المُسبب)على السّبب[٢] والتماسك في هذا النمط من العلاقة دلالي إذ يعتمد الرابط على أسس منطقية يترتب فيها المُسبب على السّبب أو العكس.

وفي القرآن الكريم تأخذ هذه العلاقة مجالاً واسعاً على مستوى الآية الواحدة، أو على مستوى علاقة الآية بالآية، أو على مستوى المقاطع في السّورة الواحدة، ومنها:

١ - قوله تعالى:﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ۞ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَميَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ۞لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ﴾[٣].

فالقارئ لهذه الآيات قد لا يجد فيها نوعاً من الترابط لأن كلّ آيه تتحدث عن أمر مختلف عن الآخر، فالأولى تتحدث عن أن أمور المُلك وتصريفها وتبديلها بيده، في حين تتكلم الثانية عن إدخال اللّيل في النّهار وعمليتي الإحياء والرّزق ثم تأتي الثالثة

---

(١) م ن: ٩٦، ٦٤٨.

(٢) ظ: علي آل موسى، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: ٥٠٤.

(٣) آل عمران: ٢٦ - ٢٨.

لتطلب من المؤمنين ألّا يتخذوا الكافرين أولياء، وتُنذر من مغبّة ذلك.

فالفهم القائم على تجزئة الآيات هو الذي يُوهم بتفككها وعدم ارتباطها، إلّا أن التدبّر فيها يبين وجه الارتباط فالآية الأولى تتحدث عن سلطة الله التشريعية لكونه الحاكم في شؤون النّاس، وهو الذي يهب الحُكمَ وينزعه وبيده أن يهب العزّة لمن يشاء وينزعها عمّن يشاء فكلّ التصرفات في عالم التشريع بيده: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

ثم جاءت الآية التالية مُتحدثةً عن سلطة أخرى تمتدّ إلى أمور التكوين والتصرف في هذا الكون بكامله بيده ايضاً: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]وما دامت أمور التشريع والتكوين بيده وحده فهذا يقتضي عدم اللّجوء إلى غيره واتخاذ أولياء من دونه، إذ ليست بيدهم القدرة على تغيّير شيئ من نظم التشريع ولا من نظم التكوين، وان الإيمان بسلطة الله التشريعية والتكوينية سبب تكون نتيجته المنطقية[3] أن: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ﴾[4].

فهنا أوضحت العلاقة السّببية بين الآيات الثلاث وجه ارتباطها ببعضها فيزول الاشتباه الذي قد يقع في النّفس – أول وهلةٍ – أنها عبارة عن آيات لا رابط ولا جامع

(١) آل عمران: ٢٦.
(٢) آل عمران: ٢٧.
(٣) ظ: علي آل موسى، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: ٥٠٣ – ٥٠٤.
(٤) آل عمران: ٢٨.

بينها بل إنها تتكامل مع بعضها بعض لتؤدّي معنىً واضحاً بيّناً.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ۞وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ۞وَهَـذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[١].

فقد جاءت هذه الآيات – بعد أن تقدمتها آيات كثيرة حملت الحجج والبراهين القطعية على المُكذّبين – جاءت هذه الوصايا العشر التي تحملها هذه الآيات نتيجةً حتمية لِما أثبتته تلك البراهين ودلّت عليه من حقيقة هذا التشريع وصدوره عن العليم بطيّات النّفوس ودخائلها، الخبير بما يُصلحها ويُفسدها ؛ولذلك كان لها وقع النتائج بعد المقدمات، والمقاصد بعد الوسائل والغايات بعد البدايات[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[٣].

إن علاقة الاستغفار من الذَّنب بتوحيد الله علاقة واقعية تفرضها حقيقة الرّبوبيّة من جهة والعبودية من جهة ثانية: إذ إن العقيدة بأحدية الله تُوجب العقيدة بعبودية

---

(١) الأنعام: ١٥١ – ١٥٣.

(٢) ظ: محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم: ٣٩٥ – ٣٩٦.

(٣) محمد: ١٩.

الله، وواضح أن العبد يجب أن يخضع لله، فعلاقة الاستغفار بالتوحيد علاقة المُقدمة بالنتيجة أو السّبب بالمُسبب.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[1] (فعلاقة عبادة الله بتوحيده أمر واقعي من جهة أن على العبد مسؤولية العبادة لله الواحد)[2] وهو كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3] فجاءت العبادة مُقدَمة على الإعانة لأنها سبب حصولها، فهي بمثابة: (تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها)[4].

وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۞ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۞ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۞ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۞ ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ﴾[5].

فقد جاءت هذه الآيات بعد ذكر حادثة عبوس أحد وجهاء قريش وترفُّعه على فقراء المؤمنين، فكانت تلك الآيات مقدمة لبيان: (سبب هذا العُجب والتّرفع مع أن أوّل الإنسان نطفة قذرة وآخِره جيفة مذرة، وما بين الوقتين حمال عذرة، فلا جرم أن ذكر تعالى ما يُصلح أن يكون علاجاً لعجبهم وما يصلح أن يكون علاجاً لكفرهم، فان خلقة الإنسان تصلح لأن يستدلّ بها على وجود الصّانع، ولأن يستدل بها على القول بالبعث والحشر والنشر)[6] فجاءت المقدمة سبباً لبيان ذلك العُجب والتّرفع.

---

(١) الأنبياء: ٢٥.

(٢) المدرسي، من هدى القرآن: ١/ ٦٢.

(٣) الفاتحة: ٥.

(٤) الزمخشري، الكشاف: ١/ ٥٧.

(٥) عبس: ١٧ – ٢٢.

(٦) الرازي، مفاتيح الغيب: ٣١/ ٥٤.

وقد تكون العلاقة علاقة مسبب بسبب، معلول بعلة، تتقدم فيه النتيجة على السبب فتُسمّى مسببية لتقدم المسبب على السبب، كقوله تعالى:﴿إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ۞ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

فالآية الأولى تتحدث عن نوعين من الاصطفاء ؛ فردي:﴿إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً﴾وجماعي:﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾وكأن سؤالاً يُطرح ههنا، ما سبب ذلك الاصطفاء؟ فتُجيب الآية التالية: إن السّبب هو التقارب والتشابه في الصّفات والكمالات، فقالت:﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ويُعلّل آخِر الآية أن سبب هذا الاصطفاء(فردياً أو جماعياً)هو ناتج عن علم إلهي، فالله تعالى هو السّامع لأقوالهم، عليم بأعمالهم التي أهّلتهم لذلك الاصطفاء وكفاءاتٍ توفرت فيهم[٢]فقال:﴿وَاللهُّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ويتجاوز الأمر مستوى علاقة الآية بالآية الى مستوى المقاطع في السّورة الواحدة، ليتناول موضوعاً أو حدثاً، كقوله تعالى في قصّة البقرة:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهَّ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٣] فتناولت الآيات التي تلتها أوصاف البقرة، ثم جاء قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُّ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٤]فعلى الرغم من تباعد الآيتين إلّا أن الرابط بينهما رابطة النتيجة بالمُقدمة، أو المُسبب بالسّبب ؛فذبح البقرة نتيجة لأمر

---

(١) آل عمران: ٣٣ - ٣٤.

(٢) ظ: محمد رضا الشيرازي، التدبر في القرآن: ٨٤.

(٣) البقرة: ٦٧.

(٤) البقرة: ٧٢.

ارتكبوه وهو قتل النّفس وتدارؤهم فيها كان المُسبب متقدماً على السّبب.

ومنها ايضا قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾(١) فالعلاقة القائمة بين التكذيب وعقر النّاقة علاقة سببية ؛لأن التكذيب جاء بسبب تماديهم في الكفر وتكذيبهم لنبيهم، فتقدم التكذيب وهو المسبب على السّبب وهو عقر النّاقة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ۝وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(٢)ترتبط مع ما بعدها من الآيات ارتباط النتيجة بالسّبب، فبعد الحديث عن موقف المشركين من القرآن الكريم يأتي ذكر النتيجة: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣)ثم يعود الحديث إلى الأسباب الأخرى التي أدّت بهم إلى هذا المصير: ﴿وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾(٥).

(فارتبطت الآيات مع بعضها ارتباط السّبب المُتمثل بكفر الكافرين وادعائهم أن

---

(١) الشمس: ١٤.

(٢) الأنعام: ٢٥ – ٢٦.

(٣) الأنعام: ٢٧.

(٤) الأنعام: ٢٩.

(٥) الأنعام: ٣٠.

كلام الله عزّ وجلّ أساطير الأولين، ونهيهم النّاس عن الإيمان وإنكار البعث والنشور بالنتيجة الحتمية التي هي وقوفهم على النّار يوم القيامة وتمنيهم العودة إلى الدّنيا ليتداركوا ما وقعوا فيه)[١].

وقوله تعالى:﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾[٢].

فقوله تعالى:﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾جاء نتيجة لسبب تقدم في صدر الآية:﴿مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾فالذنوب التي ارتكبوها كانت سبباً في إهلاكهم مع كفرانهم بالنِّعم التي أنعم الله بها عليهم، فقابلوها بالكفر والجحود، وفي ذلك عِبرة لِمن بعدهم من الأمم الذين كذّبوا أنبياءهم.

ومما ذُكِر من أمثلةٍ نجد أن الآيات ترتبط ببعضها بعضاً برباط العلّة ومعلولها أو السّبب ومُسببه ارتباطاً منطقياً حتى وإن تباعدت الآيات عن بعضها في السّورة أو كانت مقاطع فهي تتصل ببعضها اتصالاً وثيقاً بالشكل الذي يُوضح المعنى، فتظهر به مترتبة بعضها على بعض مما يُنبئ عن استمرار الفكرة أو الموضوع المُتحدَث عنه وانه لا انقطاع بين الأجزاء.

---

(١) خليل البطاشي، الترابط النصي في ضوء الخطاب اللساني: ١٤٦.

(٢) الأنعام: ٦.

٤ – البيان والتَّفسير

تعتمد هذه العلاقة على بيان وتفسير مقصود الآية ؛ أي إن الجملة أو الآية اللّاحقة توضح مضمون الآية السّابقة ويصحّ تأويلها بعبارة(أي أن المقصود كذا)[١].

ويأخذ التفسير أو البيان أشكالاً مختلفة، فتارة بالألفاظ وأخرى بالجُمل، وقد يكون ذلك في آية واحدة أو في آيات عدّة، فيسير الجزء المبيَّن في الاتجاه نفسه للجزء السّابق له ليرفع الابهام أو الالتباس الذي قد يقع فيه المُتلقي.

والمُلاحظ(أن علاقة البيان سواء أكانت بين عنصرين داخل الآية نفسها أم بين آيتين غالباً ما تكون استجابة لاستفهام مقدَّر بما يعني أن العلاقة بين المُبيِّن والمُبيَّن وطيدة في غير ما حاجة إلى رابط)[٢].

ففي قوله تعالى:﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ۞ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾[٣] فجاء التفسير للظلمات كأنه ردٌّ على سؤال ما هي هذه الظلمات فقيل انهم صُم بُكم عُمي(فليس لحواسهم رجع إحساس أو صدى إدراك)[٤].

وقوله تعالى:﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[٥]فجاء البيان في الآية نفسها وكأن التقدير كيف كانوا يسومونهم سوء العذاب؟ فجاء البيان يُذبّحون

(١) تمام حسان، البيان في روائع القرآن: ١/ ٤٠٩.

(٢) محمد خطابي، لسانيات النص: ١٨٨.

(٣) البقرة: ١٧ – ١٨.

(٤) تمام حسن، البيان في روائع القرآن: ١/ ٤١٠.

(٥) البقرة: ٤٩.

ابناءكم ويستحيون نساءكم، يُبين الزمخشري(ت٥٣٨هـ)هذا البيان بقوله:(يذبحّون ويستحيون فعلين مبينين لفعل سابق هو يسومونكم لأن هذا الفعل الأخير يفتقر إلى ما يُبيّنه فجاء الفعلان محددين لنوع العذاب)(١).

ويتجاوز البيان الألفاظ في الآية الواحدة إلى جُمل متوالية تُفسِّر وتُبيّن كما في قوله تعالى:﴿ اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾(٢)فترتبت الجُمل في آية الكرسي ترتيباً دقيقاً إذ إن كلّ جملة وردت على سبيل البيان للأخرى(فالأولى، بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمناً عليه غير ساهٍ عنه، والثانية ؛لكونه مالكاً لِما يُدبره، والثالثة ؛الكبرياء شأنه، والرابعة ؛لإحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المُستوجب للشفاعة وغير المرتضى، والخامسة ؛لِسعةِ علمه وتعلّقه بالمعلومات كلها أو لجلالة وعظم قدره)(٣)فكلّ الجُمل تفسر وتبيّن ما ترتب عليها وكلٌّ منها مرتبطة بالأخرى مُتعلّقة بها.

ويأتي البيان في آيات عدّة مرتبطة بعضها ببعض مُفسّرة لبعضها بعضاً، كقوله تعالى:﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٤)فسرت هذه الآية ما سبقها من قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

(١) الكشاف:١/ ٢٨٤.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) الزمخشري، الكشاف: ١/ ٣٢٩.

(٤) البقرة: ١٧٣.

تَعْبُدُونَ﴾[١]فبيّنت المقصود بالطّيبات(لأن الإذن بأكل الطيبات يثير سؤال مَن يسأل ما هي الطيبّات؟ فجاء هذا الاستئناف البياني مُبيّناً المحرمات وهي أضداد الطيبّات لتُعرف الطيّبات المضادّة المُستفادة من صيغة الحصر)[٢].

فجاء البيان هنا على عكس المتوقع فقد اكتفى بذكر المُحرّمات كالميتة والدَّم وغيرها؛ لأن المُحرّمات محدودة والطيّبات غير محددة، فالآية الثانية ارتبطت بما قبلها بعلاقة البيان والتفسير التي بيّنت المُحرّمات لتُعرف من خلالها الطيّبات.

٥ - الإجمال والتَّفصيل

جاء في اللّسان:(أجمل الشيء:جمعه عن تفرقة)[٣]والتفصيل:(التبيّن)[٤].

والمُراد بالإجمال:(إيراد الكلام على وجه يحتمل اموراً متعددة، والتفصيل ؛تعييّن بعض تلك المُحتملات)[٥].

وعرّف الأصوليون المُجمل بأنه:(ما لم تتضح دلالته أو جُهِل فيه مُراد المتكلم ومقصوده إذا كان لفظاً، وما جُهل فيه مراد الفاعل ومقصوده إن كان فعلاً)[٦].

فالتفصيل هو تحليل المُجمل إلى ما يتكوّن منه من أجزاء الكلام فالموضوع الواحد يُدرَك من حيث هو كلٌّ، ويُعبّر عنه بصيغة تناسب إجماله ثم يأتي التفصيل ليُعبّر عن

---

(١) البقرة: ١٧٢.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٢/ ١١٤.

(٣) ابن منظور، مادة(جمل).

(٤) م، ن، مادة(فصل).

(٥) الجرجاني، التعريفات: ١٠.

(٦) المظفر، أصول الفقه:١/ ١٧٠.

الموضوع نفسه بصيغة أو صيغ تُدرَكُ منها على نحو من التفصيل أجزاؤه ومكوناته.

ومن خلال التعريفات يتضح أن للمُجمل وجهين، الأول:هو المُوجز المُختصر في مقابل المُفصّل الذي هو المسهَب الموسّع، والثاني:هو الغامض أو ما لم تتضح دلالته في مقابل المُبيّن، الذي يتضح فيه المُراد والمقصود.

ولا تتخذ علاقة الإجمال والتفصيل وجهاً واحداً بل قد يرد أحدهما تلو الآخر فيأتي الإجمال بعد التفصيل أو بالعكس التفصيل بعد الإجمال، أو يكون تفصيل وحده، أو إجمال وحده(وتوافق كلّ حالة من هذه الحالات الأربع صورة من صور الكلام فيكون الكلام المُجمل ويكون الكلام المُفصل، ويكون الكلام المُفصل بعد إجمال ويكون الكلام المُجمل بعد التفصيل)[1].

وقد حفلت آيات القرآن الكريم وسوره بوجوه من الإجمال فصّلتها وبيّنتها آيات وسور أُخر، فلا يقتصر الأمر على تفصيل مفردة بزيادة لبعض الألفاظ في آية مشابهة لآية أخرى كما في قوله تعالى:﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِّ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِّ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

فصّلها في سورة الحديد بقوله تعالى:﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِّ يَسِيرٌ﴾[3].

فجاء تفصيل المصائب في كلّ من الأرض والأنفس(هي قحط المطر، وقلّة النبات، ونقص الثمار، وغلاء الأسعار، وتتابع الجوع، والمصيبة في الأنفس هي الأمراض

(١) محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية:١/ ٥٧٨.

(٢) التغابن: ١١.

(٣) الحديد:٢٢.

والفقر وذهاب الأولاد وإقامة الحدود عليها...)[١].

فارتبطت الآيتان ببعضهما بعلاقة التفصيل للأمر المُجمل بأن بيّنت الآية التي في سورة الحديد ما أجملته الآية السّابقة في سورة التغابن.

ويتجاوز التفصيل في الآية الواحدة لآيات عدّة في السّورة الواحدة دون أن تكون مُجاورة بعضها لبعض، فقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢] فصلته الآية التي بعدها في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

فجاء تفصيل قوله تعالى: ﴿ فَيُضَاعِفَهُ لَهُ...﴾ بأن بيّنت الآية كيفية مضاعفة ما يُنفَق في سبيل الله أضعافاً كثيرة بتشبيهها بالحبّة التي أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبّة بل وزادت في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾.

ولا تتخذ هذه العلاقة اتجاهاً واحداً ؛أي أن تتقدم الآية أو الآيات المُجملة على المُفصلة بل قد ينعكس الأمر فتتأخر الآية المُجملة عن الآيات المُفصلة كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾[٤] فقد تقدمتها آيات عدّة[٥] فصّلت في وصف

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب: ٢٩/ ٢٠٦.

(٢) البقرة: ٢٤٥.

(٣) البقرة: ٢٤٦.

(٤) البقرة: ١٧.

(٥) الآيات:٨ ـ١٦ من سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ... فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾.

المنافقين:(بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة وهذه طريقة تشبيه التمثيل إلحاقاً لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة لأن النّفس إلى المحسوس أميل، وإتماماً للبيان بجمع المتفرقات في السّمع، المطابقة في اللّفظ، في صورة واحدة، لأن للإجمال بعد التفصيل وقعاً من نفوس السّامعين وتقريراً لجميع ما تقدم في الذهن بصورة تخالف ما صور سالفاً لأن تجدد الصورة عند النّفس أحبُّ من تكررها)[١]ففصلت الآيات السّابقة في أحوالهم وحيرتهم وحركاتهم ونوازع أنفسهم فقدمت وصفاً دقيقاً مناسباً لواقعهم من خلال الوسائل الحسيّة المناسبة لوصفهم[٢]أي أن التمثيل في الآية الثانية قد أجمل التفاصيل التي تضمنتها الآيات السّابقة في وصف حال المنافقين.

وتتسع علاقة التفصيل لتشمل مقاطع السّورة الواحدة، إذ تأتي مقدمتها بإجمال للموضوع أو الموضوعات ثم تتبعها المقاطع الأخرى بتفاصيل تُغني الفكرة السّابقة، ففي سورة الواقعة أجملت المقدمة في أصناف النّاس يوم القيامة:﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً۝فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ۝فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ۝وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾[٣]ثم تلتها المقاطع ببيان تفصيلي لكلّ فئة من الفئات الثلاث بتفاصيل دقيقة لأحوالهم كلّ على حدة، ثم عادت فأجملت في عاقبة كلّ قسم منهم بآيتين اختصرت كلّ ما فصّلته في الآيات السّابقة، فعاقبة الفئة الأولى:﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ۝فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾[٤]وعاقبة الفئة الثانية:﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ۝فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٥]وعاقبة السّوء للفئة

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١/ ٢٩٧.

(٢) ظ: محمد حسين الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني: ٢٠٣.

(٣) الواقعة: ٧ – ١٠.

(٤) الواقعة: ٨٨ – ٨٩.

(٥) الواقعة: ٩٠ – ٩١.

الثالثة: ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾[١] فارتبطت مقاطع السّورة من أولها إلى آخرها بعلاقة التفصيل والإجمال.

ولا تقتصر هذه العلاقة على آيات السّورة الواحدة بل تتجاوز ذلك فترتبط السّور بعضها ببعض فتكون السّورة اللّاحقة تفصيلاً لِما أجملته السّورة السّابقة فسورة الفاتحة اشتملت على(إجمال ما يحويه القرآن مفصلاً، فقد جمعت مقاصد القرآن فهي أم القرآن، وأم الكتاب، فصارت كالعنوان أو براعة الاستهلال)[٢]فقد اشتملت على جميع معاني القرآن(باشتمالها على الثناء على الله بما هو أهله وعلى التعبّد والأمر والنّهي وعلى الوعد والوعيد)[٣].

وكذلك ارتبطت بعض السّور ببعضها ارتباطاً وثيقاً بحيث عُدّت إحداها تفصيلاً للأخرى، فسورة آل عمران تفصيل لِما أجمل في سورة البقرة لأنها:(بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب على شبهات الخصوم، ولهذا ورد فيها كثير من المتشابه لِما تمسّك به النّصارى)[٤].وكذلك الأمر في سورة النّساء والمائدة وغيرها من السّور.[٥]

وبهذا تتخذ علاقة الإجمال والتفصيل أبعاداً مختلفة ما بين الآية أو الآيات أو المقاطع تفصّل بعضها بعضاً لتشمل القرآن كلّه، فتُحقِق ترابطاً ملحوظاً بين أجزائه يجعل منه نصّاً متكاملاً، ووحدة واحدة لا تنفصل أجزاؤه عن بعضها بعض، تعطي

(١) الواقعة: ٩٢ – ٩٤.

(٢) السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور:٦١، وظ: السيوطي، معترك الأقران:١/ ٥٣.

(٣) الزمخشري، الكشاف: ١/ ٤٥.

(٤) السيوطي، تناسق الدرر:٦٣.

(٥) ظ:السيوطي، معترك الأقران:١/ ٥٤، وتناسق الدرر في تناسب السور:٦٣، وسيأتي تفصيل ارتباط السور ببعضها في فصل لاحق.

المفسّر مجالاً رحباً في تفسير القرآن بالربط ما بين السّور من جانب أو ما بين الآيات من جانب آخر، لتؤدّي إلى فهم أبعد من مستوى العلاقة القائمة على التجاور المكاني بينها

٦ - علاقة التَّكامل

ويُعنى بالتكامل:(الانتقال من حالة مبددة لا يُمكن إدراكها إلى حالة مُركّزة مُمكنة الإدراك ؛أي من حالة غامضة مشتتة إلى حالة واضحة ومُؤتلفة... وضدّ التكامل الإنحلال والتفكك... ومنه التكامل العقلي كانضمام العناصر الذّهنية المتفرقة بعضها إلى بعض)[١].

وتتضح علاقة التكامل بين آيات القرآن الكريم مُشيرة إلى استمرار الفكرة أو الموضوع المطروح وإن ما يليها من آيات أو مقاطع تأتي مُكمّلة لها مُتصلة بها اتصالاً وثيقاً بحيث تكتمل الفكرة من خلال ارتباط الآيات أو المقاطع بعضها ببعض.

ففي قوله تعالى:﴿... إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ۝ إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾[٢]فقد يبدو – ظاهرياً – عدم ارتباط هاتين الآيتين إلّا أن التفكّر فيهما يُشير إلى أن:(هناك ثلاثة حواجز تقف دون إنزال العقوبة بالمتمردين، هي:الضّعف، والشّفقة المفرطة، والجهل، وإن الله سبحانه جلّ عن أن تُحيطه هذه الأمور، فهو:عزيز قويّ لا يعتريه ضعف ولا وهن ولا يُعجزه شيء، وذو انتقام فليس لديه شفقة مفرطة، وسوف ينتقم من الكَفَرَة الذين هم ليسوا محطاً للرّحمة الرحيمية في الآخرة، تلك الرّحمة التي تختص بالمؤمنين، وهو عليم

---

(١) جميل صليبا، المعجم الفلسفي:١/ ٣٣٢.

(٢) آل عمران: ٤ – ٥.

ذو اطلاع تامّ وإحاطته شاملة لا يعتريه جهل ولا يفلت شيء من علمه)[١].

فتكاملت الفكرة من خلال ارتباط الآيتين بعضهما ببعض إذ تناولت الآية الأولى الحديث عن صفتين من صفات الله تعالى ثم اكتملت الفكرة بالصّفة الثالثة في الآية الثانية.

ومثل ذلك قوله تعالى:﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِّ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢]إذ تضمّنت هذه الآية ثلاث جُمل أمرت الأولى بالإنفاق والثانية نهت عن إلقاء النّفس في التهلكة والثالثة أمرت بالإحسان وربما يبدو أن الأمور الثلاثة لا رابط بينها أو أنها جُمل لا يجمعها جامع إلّا أن التدبّر فيها يكشف عن الارتباط الوثيق بين أجزائها، فحينما:(أمر الله بالإنفاق توجّهت النّفوس إليه فكانت مخافة التقصير في الإنفاق، فجاءت الجملة الثانية تنهى عن التهلكة التي تتم إذا ترك الإنفاق، وحيث أن النّفوس مفطورة على البخل كان من الضروري ترجيح كفّة الإنفاق لمّقابلة الشحّ الطبيعي عند البشر فجاءت الجملة الثالثة﴿ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾)[٣].

ويتجاوز الأمر الآيات ليشمل السّورة إذ تتكامل الفكرة أو الموضوع الذي تتحدّث عنه آياتها من خلال تكامل المقاطع التي تتصل ببعضها بعضاً حتى تُغني الفكرة التي تدور حولها وتُؤدّي بذلك الهدف المُراد منها في انتظام للمعاني المتكاملة في السّورة الواحدة، والامر نفسه يُقال في تكامل السور مع بعضها بعضاً، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً[٤].

---

(١) محمد رضا الشيرازي، التدبر في القرآن: ٨٥.

(٢) البقرة: ١٩٥.

(٣) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن: ١/ ٦٥.

(٤) تفاصيل تكامل السّور مع بعضها في الفصل الخامس.

٧ – علاقة التَّفريع

المُراد بالتفريع:(جعل الشيء عقيب شيء لاحتياج اللّاحق إلى السّابق)[١] أو هو: الانتقال من موضوع إلى آخر يتفرع منه، أو من معنىً إلى معنىً لرابطٍ بينهما فيخرج من المعنى الأول إلى معنىً آخر وقد مهّد له، وبه ينتقل الكلام إلى آخر على نحو لا يُشعر المُتلقي بانقطاعه عمّا سبقه لشدّة الارتباط بينهما إذ إن الموضوعين يحومان حول الفكرة ذاتها.

وتتضح علاقة التفريع بين أجزاء القرآن الكريم على مستوى الآيات والمقاطع فنجد أن الآيات تنتقل من موضوع إلى آخر فتوطئ الآية أو المقطع لما يليه ويُشكّل بذلك دعامة من دعائم ارتباط الآيات والمقاطع ببعضها، وقد حفل القرآن الكريم بهذا النّوع من الترابط.

ففي قوله تعالى في سورة الكهف:﴿حَتَّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا۞ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۞ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً۞ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً۞ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً۞ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً۞وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً۞وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً۞ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾[٢].

(١) الجرجاني، التعريفات: ٥٠.

(٢) ٩٣ – ١٠١.

فبداية الآيات امتداد لرحلة ذي القرنين، ويظهر فيها طلب القوم منه بناء السدّ ليقيهم من يأجوج ومأجوج - وهما جيلان من الناس - وفسادهم حتى إذا بنى لهم السدّ المنيع ولم يستطع قوم يأجوج ومأجوج نقبه انتقلت الآيات التي بعدها للحديث عن أمرٍ آخر:﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً﴾.

فكانت بداية الآية تفريع على الموضوع من بنائه التأريخي القديم وعدم قدرتهم على نقبه إلى صورة مستقبلية سوف يستطيعون فيها ذلك، ولأن هذا الفعل(نقب السّد) هو من علامات السّاعة(١)نفذت الآيات إلى تصوير ذلك الآتي المُتعلق بالسّاعة وما يحدث في آخر الزمان، فوصل القرآن الأول بالآخر والبداية بالهدم، فانتقل الموضوع من الصورة التأريخية لفعل ذي القرنين الى المُرتَقَب الآتي الذي ينتظر البشر، فتركت الآيات قصّة ذي القرنين ومضت حول هذا الموضوع المهم الذي تفرع من موضوع بناء السدّ، فانتقل به انتقالاً ربط به الموضوعين معاً من دون انقطاع ؛إذ إنه موضوع واحد ذو فروع؛فرعه الأول بناء السدّ والفرع الثاني في هدمه

وفرعه التامّ كون ذاك الهدم علامة قيام السّاعة ومن ثم ذكر النفخ في الصور والحشر ووصف مآل الكفار والمؤمنين.(٢)

وقوله تعالى في سورة يوسف:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(٣)فأشار في مقدمة السّورة بهذه

---

(١) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ٦/ ٣٨٩، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: ٦/ ١٥٧، السيوطي، الدر المنثور: ٥/ ٤٠٨، الطباطبائي، الميزان: ١٣/ ٣٦١، البستاني، التفسير البنائي: ٣/ ٦٥.

(٢) ظ: السيوطي، الاتقان:٤٧٣.

(٣) يوسف: ٣.

الآية توطئةً لِما سيليها من القصص التي تضمنتها السّورة كاملة:(وانما كانت أحسن القصص بكون كلّ قضية منها كانت عاقبتها إلى خير، فان أولها رميه في الجبّ فكانت عاقبته السّلامة، وبيعَ ليكون عبداً فاتُخذ ولداً، ومراودة امرأة العزيز له فعصمه الله، ودخوله السّجن وخروجه ملِكاً، وظفر اخوته به أولاً وظفر بهم آخراً وتطلّعه إلى أخيه واجتماعه به، وعمى أبيه وردّ بصره وفراقه له ولأخيه واجتماعه بهما، وسجود أبويه واخوته له تحقيقاً لرؤياه من قبل)[١].

فجاء التمهيد للأمور المذكورة من خلال ربط الآية السّابقة لها فانتقل الحديث من أول القصّة إلى آخرها انتقالاً غير منقطع بل متفرعاً عمّا جاء فيها، وهذا من بلاغة القرآن الكريم التي عجز البشر عن الاتيان بمثلها وبمثله... وكان هذا التفريع إنتقالاً متسلسلاً لمجموعة من القضايا التي أوردها الله تعالى في سورة يوسف بعامّة.

وما يقال هنا في السّورة يقال على مستوى الآية في قوله تعالى:﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢]فوصف النّور مُمثلاً له بالمشكاة ثم انتقل إلى ذكر المصباح ثم وصف الزّجاجة وانتقل بعدها إلى النّور والزّيت ثم انتقل إلى ذكر الشجرة وصفة الزيت ومنه إلى صفة النّور وتضاعفه منتقلاً بعدها إلى نِعم الله بالهدى على من يشاء من عباده[٣] فشكّل هذا الانتقال تفريعاً على الموضوع الأول دون انقطاع في الكلام بل ارتبط أوله

---

(١) ابن ابي الاصبع المصري، تحرير التحبير:٤٣٣، وبديع القرآن:١٦٩.

(٢) النور: ٣٥.

(٣) ظ: الزركشي، البرهان: ١/ ٥٤.

بآخره بالموضوع الرئيس، فشكلت هذه العلاقة وسيلة لمعرفة ارتباط الموضوعات ببعضها إذ تعطي المفسر القدرة على فهم وبيان الآيات المرتبطة موضوعاً من خلال إدراك الموضوع الرئيس وما يتفرع عنه من موضوعات ترتبط به.

٨ - علاقة السُّؤال بالجواب

ترتبط الآيات بعضها ببعض بعلاقة الجواب عن سؤال فقد تكون واضحة بصيغة السّؤال المباشر بألفاظ وأدوات دالّة عليه، كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(١) فجاء الجواب بعد السّؤال مباشرة في الآية نفسها ولا يحتاج الأمر إلى كثير جهد لمعرفة ارتباط أجزاء الآية ببعضها فالعلاقة واضحة.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(٢).

وقد يكون السّؤال والجواب في سورة واحدة لكن الجواب يأتي بعد آيات عدّة تفصل السّؤال عن جوابه، ولا يشكّل هذا الفصل انقطاعاً بين السؤال وجوابه، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾(٣) فبعد آيات عدّة جاء قوله تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ

(١) البقرة: ٢١٥.

(٢) الأعراف: ١٨٧.

(٣) الفرقان: ٧.

فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾[١].

انتهاءً[٢]وقد يكون السّؤال في سورة والجواب في سورة أخرى فترتبط آية الجواب بآية السّؤال على الرغم مما بينهما من فاصلة قد تكون مُتباعدة بحسب ترتيب السّور.

فقوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾[٣]فيأتي جوابه في سورة الرّحمن بقوله تعالى:﴿الرَّحْمَنُ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٤].

وقد يكون السّؤال مُقدرّاً أحياناً فيُدرك من خلال تقديره في النّص، كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٥](وكأن سائلاً سأل:ما معنى هذا القرب؟فكان الجواب:معناه إمكان إجابة الدعوة)[٦].

أو كقوله تعالى:﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٧].

(فكأن سائلاً سأل:لقد تعودنا أن يقترن ذكر الآذان بالابصار فما لنا نجد القلوب قد حلّت في هذه الآية محلّ الابصار؟فجاء الجواب ببيان السّبب:فانها لا تعمى

---

(١) الفرقان: ٢٠.

(٢) ظ: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/ ١١٠.

(٣) الفرقان: ٦٠.

(٤) الرحمن: ١ – ٤.

(٥) البقرة: ١٨٦.

(٦) تمام حسان، البيان في روائع القرآن:١/ ٤١٨.

(٧) الحج: ٤٦.

الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)[١]وقد ذكر(الصدور)مع إنه معلوم ان القلب لا يكون إلّا في الصدر، فـ(المتعارف عليه ان العمى مكانه الحدقة فلما أُريد اثباته للقلب على خلاف المتعارف احتيج الى زيادة بيان)[٢].

ويُقدر السّؤال في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣]ما هو الإفك؟ فجاء الجواب: إنهم لا يملكون لكم رزقاً فالله هو الرزاق.

وربما يأتي للسؤال الواحد جوابان، كقوله تعالى:﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٤]فيرد الجواب الأول بقوله تعالى:﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٥].والثاني بقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٦] وهنا جاء كل جواب في سورة منفصلة عن الأخرى.

---

(١) تمام حسان، البيان في روائع القرآن: ١/ ٤١٨.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب: ٢٣/ ٤٠.

(٣) العنكبوت: ١٧.

(٤) الزخرف: ٣١.

(٥) الزخرف: ٣٢.

(٦) القصص:٦٨، ظ:الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز:١/ ١١٢.

وقد يأتي الجواب ضمن الكلام[١]كقوله تعالى:﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾[٢]وجواب هذا السّؤال ضمن الآيات اللّاحقة: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٣].

مما مرّ يتضح أن علاقة السّؤال بالجواب تخلق ارتباطاً بين الآيات يتجاوز مستوى الآية الواحدة أو الآيات المتجاورة بل قد يتعداها إلى آيات متفرقة على سور عدّة على الرغم من تباعدها في مواضعها من السّور بشكل يُفصح عن مدى اتصال آيات القرآن الكريم وتلاحمها حتى كأنه كالسّورة الواحدة بل كالآية الواحدة فهي وإن تفرّقت في نزولها واختلفت مواقعها من تلك السّور إلّا أنها تُشكّل كُلاً متكاملاً لا يقبل التجزئة والتفرّق.

٩ – علاقة الالتزام

والمُراد به استعمال عبارات تدلّ على ارتباط أمر بأمر مُلازم له كالالتزام بالوعد والوعيد، وتتضح هذه العلاقة من خلال دلالة الألفاظ(كالمصدر المنصوب ﴿... وَعْداً عَلَيْنَا...﴾[٤]أو فعل المضارع المُؤكّد بالنّون﴿... لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾[٥] أو جملة خبرية نحو﴿... وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾[٦]أو على صور أخرى تفيد نيّة المحافظة على الوعد أو الوعيد الذي يشتمل عليه مضمون الكلام)[٧].

(١) م، ن: ١/ ١١٤.

(٢) الملك: ٢١.

(٣) الملك: ٢٩.

(٤) الانبياء: ١٠٤.

(٥) العلق: ١٥.

(٦) البقرة: ٧.

(٧) تمام حسان، البيان في روائع القرآن:١/ ٤١٦.

فقوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١]تُبيّن علاقة الالتزام بقوله تعالى:﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾أي سأدخلهم جهنّم، فالكلام عن الذين كفروا هنا اتصل بقوله﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾على نحو من الالتزام بإدخالهم النار لا محالة.

وقوله تعالى:﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾[٢]فتحقق الالتزام في صورة الجملة الخبرية المُؤكدة بـ(إن) ﴿إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾(أي أن ذلك إجابةً لهم الى طلبهم من عاجل النّصر).[٣]

وكذلك في قوله تعالى:﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤]وهذا وعد من الله سبحانه بنصره نبيّهﷺوكفاية مَن يُعاديه من اليهود والنّصارى الذين شاقّوه، وهو ضمان من الله تعالى لإظهار رسولهﷺعليهم وقد أنجز وعده بقتل بني قريضة وسبيهم وإجلاء بني النظير(ومعنى السّين ان ذلك كائن لا محالة وإن تأخر الى حين...﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾يسمع ما تدعو به وما تريده من إظهار دين الحق، وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك)[٥].

(١) البقرة: ٣٩.

(٢) البقرة: ٢١٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف: ١/ ٢٨٤.

(٤) البقرة: ١٣٧.

(٥) الزمخشري، الكشاف: ١/ ٢٢٢، و ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ١/ ٤٠٧.

ومن خلال ما مرّ من الأمثلة السابقة يتضح أن لعلاقة الالتزام أثراً في ربط أجزاء الآية أو الآيات من خلال توظيف صيغ لفظية يُستشف منها دلالتها على الالتزام الذي يتحقق به الترابط بين النّصوص.

الفَصلُ الثَّالِثُ

(العناصر الفنيَّة في التَّرابط القرآني)

أولاً – الإيقاع .

١ – الإيقاع في الألفاظ .

٢ – الإيقاع في الفاصلة .

٣ – التَّجانس الصَّوتي وفواصل السُّور ة .

ثانياً – القصَّة .

١ – التَّرابط بين مقطع القصَّة والسُّورة .

٢ – التَّنويع(التِّكرار)في عرض القصَّة .

٣ – الإجمال والتَّفصيل في القصَّة الواحدة .

٤ – ارتباط القصص وتناسقها في السُّورة الواحدة .

ثالثاً – الصُّورة الفنية.

١ – توظيف الصُّورة في ترابط المعاني .

٢ – ترابط الصُّور المُتعددة في السُّورة .

توطئة

لا تنحصر عناصر بناء النّص القرآني باللّفظ القائم والمعنى المُفسِّر له، فهما وإن كانا يُعدَّان أهم عنصرين في بنائه إلّا أن هناك عناصر أخرى تُسهم بشكلٍ أو بآخر في رفد المعنى وإخراجه بأفضل وأكمل وجه، وهذه العناصر وإن كانت مُكمّلة في إظهار المعنى بأدقّ صورةٍ إلّا إنها عناصر مهمّة وضرورية في ذلك.

والنّص القرآني – فضلاً عن عطائه الفكري – يحرص على إبراز جميع الخصائص الفنيّة المرتبطة باسلوبه الفنّي كالايقاع والصّورة وكذلك القصّة، وتلك العناصر تتكاثف وتتشابك لتُشكل بناءً مُحكماً يُوصل الهدف أو الفكرة المُراد للمُتلقي أن يعيها فتُسهم هذه العناصر في مسألة إبلاغها(إذ يتساوق الإيقاع مع النّص، وتُوظَف الصّورة من أجل إنارة الموضوع، وتسرد القصّة لتُلقي ظلاً على الموضوع وفكرته)[١].

وهي بذلك لا تنفصل عن الأسس اللّفظية والعلاقات المعنوية في الرّبط بين أجزاء النّص، بل تأتي مُتداخلة مع الغرض الذي ترمي إليه السّورة أو الآيات مُعززة الفكرة أو الموضوع الذي تطرحه، مُتخذة من هذه العناصر وسائل لإيصاله إلى المُتلقي بشكل دقيق، مُحدثة الأثر النّفسي الذي يُحرّكه ويخلق فيه الاستعداد لتلقي التأثير الدّيني إذ يتداخل العنصر الفنّي مع الهدف الدّيني التوجيهي في إسلوب راقٍ مُعبّرٍ عنه.

---

(١) د. محمود البستاني، المنهج البنائي أو(العضوي)في تفسير القرآن الكريم، مجلة قضايا إسلامية، العدد: ١٨.

أولاً – الإيقاع .

١ – الإيقاع في الألفاظ.

٢ – الإيقاع في الفاصلة.

٣ – التَّجانس الصَّوتي وفواصل السُّورة.

أولاً – الإيقاع

مأخوذ من وَقْع المطر وهو شدّة ضربه بالأرض إذا وَبِلَ، ويُقال: سمعت لحوافر الدّواب وقعاً، والإيقاع:(هو من إيقاع اللّحن والغناء وهو أن يُوقع الألحان ويُبيّنها)[١]أو هو(اتفاق الأصوات وتوقيعها في الغناء)[٢]وعُرّف بأنه(مجموعة من الأصوات أي الحروف التي تنتظم في وحدات خاصّة ذات نسق متجانس فيما بينها، بحيث يتحقق هذا النّسق من خلال التكرار لتلكم الأصوات سواءٌ أكانت هذه الأصوات، حرفاً واحداً متكرراً أو وحدة صوتية ذات نبرٍ، أو مقطع يتألف من صوتين مثلاً، أو وحدة صوتية تتألف من مجموعة مقاطع تكوّن عبارة منتظمة أو وحدات صوتية من العبارات المتوازنة فيما بينها)[٣].

مما لا شك فيه أن للصوت علاقة وثيقة بالمعنى، لذلك اعتنى به العلماء قدماء ومُحَدَثون، فأبرز مَن أظهر أهمية الصّوت في المعنى إبن جنّي(ت٣٩٢هـ)إذ قال:(... ألا تراهم قالوا قضم في اليابس، وخضم في الرّطب، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصّوت الأقوى للفعل الأقوى، والصّوت الأضعف للفعل الأضعف، وكذلك قالوا: صرَّ الجندب فكرروا الرّاء لِما هناك من استطالة صوتية، وقالوا: صرصر البازي فقطّعوه لِما هناك من تقطيع صوته، وسمّوا الغراب غاق حكاية لصوته، والبط بطاً حكاية لأصواتها)[٤].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة(وقع).

(٢) المعجم الوسيط:١٠٥٠.

(٣) د. محمود البستاني، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الاسلامي:٢١٧.

(٤) الخصائص:١/ ٦٥.

كما أورد مثلاً لذلك، قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[(١)] (فالنّضخ أقوى من النّضح، فجعلوا الحاء لرقّتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لِما هو أقوى منه)[(٢)].

كما بيّن ارتباط الحرف بما يُشبه الحدث المُعبّر عنه، فيُقدّم ما يُضاهي أول الحديث ويُؤخّر ما يُضاهي آخره، ويتوسّط ما يُضاهي أوسطه: (... سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب وذلك كقولهم: بحث، فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكفّ على الأرض، والحاء لصلحها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذّئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنّفث والبثّ للتراب)[(٣)].

فهو في الوقت الذي يُؤكد فيه مقابلة الألفاظ بما يُناسبها من أصوات يُشبّه أصوات الحروف بما يُناسبها ايضا: (فإذا كانت معاني الألفاظ تتردد بين ما يدلّ على ملموسات وذوقيات وشميّات وسمعيات ومشاعر إنسانية فإنه لا بدّ لأصوات الحروف أن توحي بمختلف المشاعر الإنسانية)[(٤)].

ويُؤكد هذا الأمر عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) بقوله: (إعلم أن لكلّ نوع من المعنى نوعاً من اللّفظ هو به أخصّ وأولى، وضروباً من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى، ومأخذاً إذا أخذ منه ما كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق، وكان السّمع له أوعى، والنّفس إليه أميل)[(٥)].

---

(١) الرحمن: ٦٦.

(٢) الخصائص: ٢/ ١٥٧.

(٣) ابن جني، الخصائص: ٢/ ١٥٤.

(٤) حسن عباس، خصائص الحروف: ٢٩.

(٥) الرسالة الشافية، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ١٠٧.

من هنا نُدرك أهمية الصّوت في الدلالة على المعاني من خلال الألفاظ التي تتكون من الحروف التي هي أصوات، فهي:(بانضمام بعضها إلى بعض تُشكّل مفردات تلك اللّغة، والمفردات وحدها تُمّثل مُعجماً وبتأليفها تُمثل الكلام في تلك اللّغة والقدرة على تناسق هذا الكلام وتأليفه من مهمّة الأصوات في تناسقها وتآلفها وتنافر الكلمات وتهافتها قد يعود على الأصوات في قرب مخارجها أو تباعدها أو في طبيعة تركيبها وتماسّها أو من تداخل مقاطعها وتضامّها)(١).

وللقرآن الكريم إيقاع موسيقي يتناسب مع دلالات ألفاظه ويؤدّي وظيفة مهمّة في البيان، فقد بلغ أعلى مستوىً في تجانس ألفاظه وتلاؤم حروفه حتى عُدَّ من الطبقة العُليا في التأليف، فالرماني(ت٣٨٤هـ)يُرجِع ذلك التلاؤم إلى تجانس الأصوات فيقول:(... والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى وبعض النّاس أشدّ إحساساً بذلك ومظنّة له من بعض... والفائدة في التلاؤم حُسن الكلام في السّمع وسهولته في اللّفظ، وتقبّل المعنى له في النّفس لِما يرد عليها من حُسن الصّورة وطريق الدلالة)(٢).

فالإيقاع في آيات القرآن الكريم وسوره يُسهم بشكل كبير في تجانس النَّص القرآني بشكل يُكمل ارتباط الألفاظ بالمعاني، ويُمكن تقسيم الإيقاع على نوعين:

---

(١) د. محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن:٧٤.

(٢) النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح:محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام:٩٥ – ٩٦.

أ - إيقاع خارجي: والمقصود منه(التنظيم الصّوتي للعبارات من حيث المظهر الخارجي الذي تتحسسه الأذن بسماعه)[١].

ب - إيقاع داخلي: والمقصود به، تجانس المظهر الخارجي للأصوات مع الدلالة الفكرية للنّص بشكل يتجانس فيه مع موضوعاته كتجانس الحرف مع المحور العام للسّورة، كما في سورة القمر، إذ يُسهم حرف(السين)وهو من حروف الاستقبال في بيان المعنى إذ جاء مُناسباً للموضوع العام للسّورة مُتسقاً مع دلالات ألفاظ السّورة كـ(سعر، يسحبون، مس، سقر)[٢].

وكذلك اختيار الألفاظ ذات الوقع المناسب للتعبير عن كلّ حالة بشكل دقيق، فالدلالة الايحائية للصّوت ذات تأثير نفسي كبير إذ(ليس يخفى أن مادّة الصّوت هي مظهر الانفعال النّفسي، وإن هذا الإنفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصّوت مما يُخرجه فيه مدّاً أو غُنّةً أو ليناً أو شدّة وبما يُهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النّفس)[٣].

ويُمكن أن ندرك أثر الإيقاع لكونه يُسهم في ارتباط اللّفظ بالمعنى من خلال:

---

(١) محمود البستاني، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الاسلامي:٢٧٩.

(٢) ظ: محمود البستاني، المنهج البنائي في التفسير:٤١.

(٣) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٨٣.

١ - الإيقاع في الألفاظ

لألفاظ القرآن الكريم إيقاع موسيقي ينبع من إنسجام حروف الكلمة الواحدة لاختلاف مخارجها وصفاتها من الهمس، والجهر، والشدّة، والرّخاوة، والصّفير، والإطباق فالحروف التي تتشكل منها المفردات هي التي تحدد جرسها ونغماتها وأثرها الموسيقي في النّفس، فتأتي الكلمة مُعبّرةً عن المعنى بدقّة اختيار لفظها مع انسجام صوتها وتعبيره عن المعنى مُشكلاً عنصراً مساهماً في عملية الترابط.

فللأصوات اللّغوية أثر كبير في إيقاع الألفاظ والعبارات، فتارة تكون شديدة قويّة وتارة أخرى ليّنة راخية، وفي كلّ ذلك تأتي متناسبة مع المعاني والأغراض فتُحدِث عند المُتلقي صدىً بحسب ذلك الصّوت.

فحينما يشتدّ الخطاب القرآني في موضع الإنذار والوعيد، أو في مشاهد يوم القيامة وأحداثها وأهوالها وغضب الله على الكافرين والمُكذّبين تأتي الألفاظ بأصواتها ذات وقعٍ شديد يتناسب مع هول الموقف وشدّته وصعوبته، بينما يرقّ في مواضع الترغيب أو التلطّف في مخاطبة الأنبياء تسليةً لهم، وكذلك في مقام الدعاء أو خطاب المؤمنين، فتكون ليّنة رقيقة منسجمة مع المعنى فيه سواءٌ في الآيات أو المقاطع أو ضمن إطار السّورة العام ففي قوله تعالى:﴿... فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ...﴾[1]جاء حرف الفاء في معرض الكلام عن النّبيﷺوأصحابه بدلالته الإيحائية على سرعة الإيقاع التي تُسهم في بيان المعنى وارتباطه بعضه ببعض فبالإضافة إلى دلالته على الترتيب والتعاقب والسّرعة فهو كذلك(يُوحي إلى النّفس نقطة الانتهاء من حقيقة الأمر حتى عاد واقعاً دون شك مقترناً بالدلالة الإيحائية في كشف تماسك هذه الجماعة

(١) الفتح: ٢٩.

وترابطها وكذلك الزّرع في شدّة أسره وقوة تشابكه)[1]مُتجانساً مع الحدث الذي تعرضه الآية مرتبطاً بمعناها.

وللتشديد في اللّفظ وقعٌ آخر يتناسب مع المعنى ويُضفي انسجاماً معه، فقوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً ۞ إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾[2]جاءت لفظة(غسّاق) بما تُوحيه دلالتها أنها تُعبّر عن أمور كريهة، فهي تشترك مع(الغسق)وهو الظّلمة و(الغاسق)وهو اللّيل الشّديد الظّلمة وكلاهما يُؤدّي إلى توقّع للمجهول.

وقد وظّف التشديد في(غسّاق)لتأكيد الكراهية فجاءت اللّفظة مُطابقة للشراب المذكور في الآية السّابقة في تقابل المُتضادّين بين البرد والحميم من جهةٍ والشراب والغسّاق من جهةٍ أخرى، فزادت في تصوير شدّة الكراهية لشربه.[3]

فارتبط اللّفظ بكلّ ما يُوحيه بأحوال أهل النّار الذين تحدّثت عنهم الآيات السّابقة ليُضفي على المعنى ايحاءً صوتياً يُعزز الصّورة التي وصفتهم لتتكامل الأجزاء لفظاً ومعنىً وصوتاً.

ومثله لفظ(إثّاقلتم)في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[4]فيُوحي حرف الثاء بتشديده بمعنى الثقل الشديد والعناء، فجاء اللّفظ مُتّسقاً مع المعنى مُعبّراً عن تثاقلهم عن النّفرة في سبيل الله، وهو أمر يقتضي السّرعة، فأعطت اللّفظة بدلالتها الصّوتية المعنى بمساهمة التشديد في الحرف

(١) محمد حسين الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني: ٢٥٩.

(٢) النبأ: ٢٤ – ٢٥.

(٣) ظ: تمام حسان، البيان في روائع القرآن: ١/ ٢١٠.

(٤) التوبة: ٣٨.

في أدائه، إذ قابل الفعل (انفروا) بما فيه من تشديد الثاء بقلب تاء الأفتعال وإدغامها بثاء الفعل وأصله (تثاقلتم) ثم الإتيان بهمزة الوصل لإمكان النّطق بالسّاكن، والسّاكن يزيد في الإيحاء بتثاقلهم.

وهو ما عبّر عنه ابن جنّي (ت٣٩٢هـ) بـ: (مقابلة الألفاظ بما يُشاكل أصواتها من الأصوات، فالثاء تُوحي بالنّفث للتراب في (بحث) فكيف إذا جاءت مُضعَّفة هنا تحكي عدم حركتهم والتصاقهم بالأرض)[1] فأساهم الإيحاء الصّوتي للفظ في بيان المعنى وانسجامه معه بكلّ ما يحمله من طاقةٍ فشكّل عنصراً إضافياً يُسهم في ارتباط المعنى.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2] إذ يُبيّن الزمخشري (ت٥٣٨هـ) معنى (الإصر) بقوله: (الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل ثقل تكليفهم وصعوبته)[3] فناسب ثقل اللّفظة في النّطق معناها ودلالتها مُشكّلاً عنصراً إضافياً في وضوح المعنى.

وللمبالغة والتفخيم في الأصوات تأثير كبير للفظ في أداء المعنى بما تُوحيه تلك الأصوات المُفخَّمة من دلالة على شدّة الأمر وبلوغه ذروته، فقوله تعالى ضمن سياق الآيات المُتحدّثة عن أهل النّار: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً

---

(١) ابن جني، الخصائص: ١/ ١٥٤، و ظ: زهير غازي زاهد، في النّص القرآني وأساليب تعبيره: ٩٦.

(٢) الأعراف: ١٥٧.

(٣) الكشاف: ٢/ ١٥٦.

غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[١]فعبّر اللّفظ عن شدّة اضطرابهم وصراخهم الذي بلغ أقصى مدى(فالصراخ في شدّة إطباقه وتراصف إيقاعه من توالي الصّاد والطّاء وتقاطر الرّاء والخاء والترنّم بالواو والنّون يمثل لك رنَّة هذا الإصطراخ المُدوّي)[٢]فجاء إيقاع الأصوات مُنسجماً مع الحدث مُعبّراً بالمعنى المُراد أدقَّ تعبير في إيحاءٍ من المبالغة والتفخيم.

ولفظ اقتحم بما يُوحيه من شـدّة ركـوب الأمـور العظام كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[٣]و(تقحيم النّفس في الشيء: إدخالها فيه من غير رويّة... ويُقال: اقتحم الإنسان الأمر العظيم وتقحّمه)[٤]جاء لفظ الإقتحام مُعبّراً عن شدّة العقبة وصعوبتها على الإنسان متناسقاً مع الآيات السّابقة:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[٥]بما للحاء والقاف من شدّة في الصّوت.

تقول بنت الشاطي:(الإقتحام هو أنسب الألفاظ للعقبة لِما بينهما من تلاؤم في الشدّة والمُجاهدة واحتمال الصّعب، والمُناسبة بين خَلق الإنسان في كَبَد أوضح من أن يحتاج إلى بيان والجمع بينهما في هذا السّياق يُقدم لنا مثلاً رائعاً من النّظم القرآني المُعجز: فالإنسان المخلوق في كَبَد أهلٌ لأن يقتحم أشدّ المصاعب ويجتاز أقصى المفاوز على هَدْيِ ما يتهيأ له من وسائل الإدراك والتمييّز وما فُطر عليه من قدرة الإحتمال والمُكابدة)[٦].

---

(١) فاطر: ٣٧.

(٢) محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي: ١٦٦.

(٣) البلد: ١١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة(قحم).

(٥) البلد: ٤.

(٦) التفسير البياني: ١/ ١٨٣.

أما تكرار الحرف فله وقعٌ مؤثر يُسهم في إيصال المعنى بشكلٍ يُصوّر الحدث وينقل صداه المؤثر مُحدثاً في نفس المُتلقي بما تُوحيه اللّفظة بتكرار حروفها، كما في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[١] فإيقاع الحرفين المتكررين في لفظة(دمدم)يُوحي بالعقاب الشّديد الذي حلَّ بقوم صالح عليه السلام بعد الإنذار والتحذير تجلّى في(تكرار صوت الدّال الشّديد المجهور ثم الميم الذي تنطبق الشفتان عند نطقه فيخرج الصّوت من الأنف فيُظهر دوي كدوي الضرب على الطبل الضخم)[٢] فانسجم صوت الحرف المكرر مع شدّة العذاب والعقاب وهول الموقف مُوحياً بإرجاف الأرض بهم وإطباق العذاب عليهم فجاء إيقاع الألفاظ موافقاً للمعنى الذي حملته.

وقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ۝وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ۝ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ۝ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[٣] فجاءت لفظة(كُبكُبوا)في تكرارٍ لحرفي الباء والكاف مُتَّسقةً مع الآيات التي سبقتها في وصف أحوال أهل الجّحيم وتبريزها لهم وسوقهم إليها، فأوحى التكرار بشدّة دفعهم على وجوههم وسقوطهم في الجّحيم متهافتين، ففي تكرر المقطع إيحاءٌ بتكرار الدّفع واستمراره(فهذه الصّيغة قد حمّلت اللّفظ في تكرارها زيادة في معنى التدهور)[٤].

---

(١) الشمس: ١٤.

(٢) د. زهير غازي زاهد، في النص القرآني وأساليب تعبيره: ٩٩.

(٣) الشعراء: ٩١ – ٩٤.

(٤) محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ١٦٨.

ويأتي البُعد الإيقاعي مُتجانساً مع البُعد المعنوي في لفظة(لظى)في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ۞ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾[١]اللّظى هي النّار أو اللّهب الخالص[٢]فتجانس صوت الكلمة مع دلالتها، حيث إن لظى تعني أنها تتلظى وتشتعل وتلتهب تطل وكأنها تتكلم بلسان ناري من خلال تلظيها واشتعالها والتهابها، فألسنة اللّهب ألسنة كلام ايضا لكنه كلام من نار... فيتحسسها المُتلقي وهو يُواجه هذه اللّفظة.

ولفظة(نزّاعة)ايضا في صيغتها الدّالة على المُبالغة والتفخيم وفي دلالتها على الاقتلاع والجذب بشدّة، و(الشوى)جلدة الرأس[٣]فتطابقت دلالتها مع صوتها وتجانس ذلك مع هول لظى من خلال التذوق الصّرف الذي يُحسّ ولا يُمكن أن يُعرف أو يُشرح، فكلا اللّفظين أسهم في إظهار المعنى بالصّورة المُرعبة في عبارة تُوحي بغضب لظى وشدّتها في نزع اللّحم والجلد والدّماغ[٤].

كما يتضح دور الصّوت في التّناسق مع الهيئة والحركة كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۞ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[٥]اتسق معنى الرّجع والصّدع مع المشاهد في آيات السّورة(الطّارق)(فالرّجع هو المطر المُنهمر، والصّدع ؛ الشقّ في الأرض يتفتح عن النَبات وهنا نجد ألواناً من التناسق في المشاهد... فالمطر النّازل، والصّدع المشقوق وهما في الهيئة والحركة كالنّجم الثاقب يشقّ الظلام ويصدعه من جهة، ومن جهةٍ أخرى كالماء الدّافق يخرج من بين الصّلب والتّرائب كالرّحم المصدوعة تنشق عن الوليد كما تنشق

---

(١) المعارج: ٧٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة(لظي).

(٣) الطبرسي، مجمع البيان:١٠/ ١٢٢.

(٤) ظ: محمود البستاني، التفسير البنائي: ٥/ ١١٩.

(٥) الطارق: ٨٦.

الأرض بالنّبات وتتفتح كلاهما عن الحياة الوليدة الجديدة بقدرة خفيّة مكنونة)[١].

كما تناسق من جانبٍ آخر مع قوله تعالى:﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[٢](وفي الرّجع والصّدع عنف وشقّ في المعنى أولاً ثم في الإيقاع الموسيقي الذي يُلقي في الحسِّ معنى القوّة والحسم ثانياً فهو تناسق تامٌّ بين القوّة والنّاصر عن الانسان* وإثبات القوة والحسم لخالق الأرض والسّماء)[٣]فالتحم الإيقاع بالمعنى بشكل متناسق أسهم في إظهار المعنى بدقّةٍ بالغة.

ومما يُعطيه الصّوت من إيحاء بالمبالغة في الغِلظة والشدّة في إيقاع الحدث أو الوصف ما تُوحيه لفظة(زقّوم)في قوله تعالى:﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ۝لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾[٤]فهذه اللّفظة باشتمالها على حرف الزاي والقاف والميم وهي تقرب في مادّتها من(س ق م)وتشترك معها من حيث الجهر والهمس، ولا تختلف إلّا بحرف الزّاي والسّين فتُوحي(زقوم)بالسّقم(وتوالي القاف التي يقرُب مخرجها من البلعوم والميم التي يقتضي نطقها إقفال الشفتين، يُوحي بأن ثمرة هذه الشجرة تستعصي على البلع ويطول استعصاؤها بإيحاء تشديد القاف وطول الواو التي هي بين القاف والميم)[٥]فهذا اللّفظ بما فيه من شدّة تُحدثها أصوات الحروف أعطت المعنى بكل أبعاده، فالخالدون في النّار طعامهم أشدّ أنواع الطعام لا يكاد يُستساغ فضلاً عن الشدّة في ابتلاعه.

---

(١) سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن:٩٣.

(٢) الطارق: ٣. إشارة إلى قوله تعالى:﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لا ناصِرٍ﴾الطارق: ١٠.

(٣) سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن: ٩٤.

(٤) الواقعة:٥١ – ٥٢.

(٥) تمام حسان، البيان في روائع القرآن: ١/ ٢٠٩.

ويبلغ التعبير بالأصوات أشدّه حين تجتمع ألفاظ ذات أصوات قوّية في بيان المعنى أو وصف حالة فتتكامل الصّورة مع الأصوات لترسم المشهد واضحاً، ففي قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[١] اجتمعت الألفاظ ذات الأصوات القوّية شديدة كالطّاء المُشددة في(قُطِّعت)والباء المُشددة المضمومة، والصّاد في(يُصبُّ)والهمزة المضمومة في(رؤُوسهم)والباء والطّاء في(بطُونهم)والجيم المضمومة في(الجلود)و(أن يخرجوا)والدّال المكسورة في(حديدٍ)والمضمومة في(أرادوا)و(أُعيدوا)والقاف المضمومة في(ذوقُوا)والمكسورة في(الحريق).

فقد اجتمعت في هذا المشهد صفات الجهر والشدّة والاستعلاء والتفخيم والإطباق، وكلّها أصوات من صفاتها أنها شديدة، وذات جرس قوّي في تتابع مستمر بألفاظ عدّة أوحت بالغلظة والشدّة والعنف.[٢]

أما في مقام الترغيب والتلطّف والتسلية فتأتي الألفاظ والعبارات رقيقة الإيقاع رخيّة، تُفيض عذوبة تتردد فيها أصوات اللّين والمدّ، مما يجعل ايقاعها مُتناسباً مع المعاني ويُوظفه في خدمتها، فتحرك في نفس المُتلقي إحساساً بالرّضى أو اللّطف أو السّكينة والهدوء النّفسي فتميل إليه.

---

(١) الحج: ١٩ – ٢٢.

(٢) ظ: أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن: ٣٠٨.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾[١] فالمعنى الذي تحكيه أصوات لفظ (تسنيم) يُوحي برقّةٍ وعذوبةٍ تتناسب مع ما سبق هذه الآية من وصف نعيم الأبرار المُقربين: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۞ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۞ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۞ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٢] فإيقاع اللّفظ اشترك في بيان المعنى وتجانس معه تماماً ليُوحي بسلاسة وعذوبة ما يُسقى به الأبرار خلافاً لِما يُسقى به الفجّار من الحميم والمُهل، فكأن بين التّسنيم والنّسيم صلة قُربى (فالفرق بينهما لا يعدو كونه قلباً مكانياً لصوتي السّين والنّون، ولا شك أن النّسيم ألطف ما يجري به الهواء لِما فيه من الرقّة والرّطوبة والإنعاش الذي ينشأ منهما، وإذا كان الأمر كذلك فما أجمل أن يخرج شراب أهل الجنّة بماء هذه العين لأن ماءها كما صورته الحكاية يقوم بين أنواع الماء مقام النّسيم بين حالات الهواء)[٣].

وقوله تعالى في مقام تصوير لين النّبي ﷺ لقومه، وان ذلك رحمة من الله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٤] فجاء هذا المدّ في (ما) وصفاً لفظياً يُؤكّد معنى اللّين ويُفخّمه، وفوق ذلك، فان لهجة النّطق به تُشعر بانعطافٍ وعناية لا يُبتَدأ هذا المعنى بأحسن منهما في بلاغة السّياق)[٥].

---

(١) المطففين: ٢٧.

(٢) المطففين: ٢٢ – ٢٧.

(٣) تمام حسان، البيان في روائع القرآن: ١/ ٢١١.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

(٥) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٦٣.

ومثلها قوله تعالى: ﴿أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[١] فصدى لفظ (الرّحمة) في هذه الآية جاء مُتناسباً مع المعنى الذي أشارت إليه الآية السّابقة لأولئك المؤمنين: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِّ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[٢] تُوحي (بنداء يأخذ طريقه إلى العمق النّفسي ويهزّ المشاعر ويستدعي العواطف ناضحاً بالرّضا والغبطة والبهجة رافلاً بالخير والإحسان والحنان فماذا يرجو أهل الإيمان أكثر من اقتران صلوات ربهم برحمته بهم وعليهم...)[٣].

ويتجلّى هذا الإيقاع في معرض تسلية النّبي ﷺ فإن الرّضا والمحبّة اللّذين يغمران الكلام تنعكس آثارهما على الألفاظ والعبارات، فجاءت رقيقة: ﴿طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ۞ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۞ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۞ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۞ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[٤] فخطاب الله تعالى لنبيّه ﷺ يفيض عذوبةً ورقّةً ولطفاً (وتتردد فيه أصوات اللّين والمدّ ما جعل إيقاعه متموجاً رضياً وزاد صوت الغنّة الذي تردد مع التنوين والنّون السّاكنة هذا الإيقاع عذوبة ورشاقة)[٥] فتناسب إيقاع الألفاظ مع الجوّ العام للخطاب المُوحي بالعطف والرّحمة.

---

(١) البقرة: ١٥٧.

(٢) البقرة: ١٥٦.

(٣) محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي: ١٧٧.

(٤) طه: ١ – ٧.

(٥) أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن الكريم: ٣٠٨.

مما مرَّ يتضح أن لإيقاع اللّفظ أثراً كبيراً في تعزيز ارتباط اللّفظ بالمعنى والتعبير عنه، فشكّل عنصراً أسهم في ارتباطهما معاً بما يُوحيه الإيقاع من شدّة أو مُبالغة أو لين ورخاء في تناسقٍ تامّ مع أجزاء النّص الأخرى.

٢ - الإيقاع في الفاصلة

تُعدّ الفاصلة أوضح مظهر من مظاهر الإيقاع الصّوتي إذ يُشكل إيقاعاً خارجياً تتحسسه الأذن، وتُمثل وجهاً من وجوه التّجانس فيتلاقى الصّوت مع المعنى.

والفاصلة:(حروف مُتشاكلة في المقاطع، تُوجب حُسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة والسّجع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها)[١].

فالفاصلة في القرآن الكريم ليست ضرباً من المُحسّنات اللّفظية البديعيّة وإنما تُوظَّف في خدمة المعنى بالإيقاع الذي تُثيره في النّفس، فهي ذات قيمة صوتية بالإضافة إلى وظيفتها المعنوية، وهي في الوقت الذي تفي بحقّ المعنى، تحقق كذلك تناسباً إيقاعياً يُسهم في تعزيز المعنى ويُشكّل عنصراً من عناصر تجانس النّص(لذلك نرى القرآن يتصرف في أبنية الألفاظ ومشتقاتها ويُقيم صيغة مقام صيغة أخرى، ويتوسّع في الجموع ويُقيم بعضها مقام بعض فيؤدّي حق اللّفظ وحقّ المعنى معاً)[٢].

فعلى سبيل المثال استعمل القرآن الكريم مادّة(تاب)ثلاثة مصادر، هي:(التوب) في قوله تعالى:﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

(١) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٨٩.
(٢) أحمد ابو زيد، التناسب البياني في القرآن: ٣٥٧.

إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[١] و(توبة): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً...﴾[٢] و(المتاب) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً﴾[٣].

فالصيغة الثالثة جاءت فاصلة فأدّت المعنى مع مناسبتها لفواصل الآيات التي في نسقها، أما في الصّيغة الأولى فهي مع تأدية المعنى جاءت مُشاكِلة لكلمة(الذنب) حفاظاً على التّناسق الإيقاعي.[٤]

تختلف الفواصل وتتنوع في سور القرآن الكريم، بل قد تتنوع في السّورة الواحدة ما بين الطول والتّوسط والقصر ويختلف كذلك حرف القافية، فالسّور الطويلة غالباً ما تكون فاصلتها على قافية الميم والنون قبلهما ياء أو واو على جميع القوافي، وذلك مع تعدد الأساليب الموسيقية ولو تشابهت في السّور المختلفة، وأن حرف القافية يشتدُّ التماثل والتشابه فيه في السّور القصيرة فيتّضح أن الأسلوب الموسيقي يتبع طول الفاصلة وقصرها ومواضع الإيقاع مثلما يتبع طريقة بنائها اللّفظي سهولةً وخشونةً.[٥]

٣ – التجانس الصوتي وفواصل السّورة[٦]

يتناسب الإيقاع في السّورة مع المعنى المُراد بشكلٍ دقيق، وتُشكل الفواصل تجانساً صوتياً مع الجوّ العام للسّورة، ففي بعض السّور تتسق الفواصل وتتحد التقفية في

(١) غافر: ٣.

(٢) التحريم: ٨.

(٣) الفرقان: ٧١.

(٤) ظ: أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن: ٣٥٧.

(٥) ظ: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم: ٩١.

(٦) تقتصر هذه الفقرة على الجانب الصوتي للفاصلة في السورة فيما يُبحث دور الفاصلة في الربط المعنوي بين صدر الآية وفاصلتها في الفصل اللاحق.

الحرف من أولها إلى آخرها، وتكون ذات إيقاع موسيقي مُتجانس.

ففواصل سورة النّجم – مثلاً – تتآلف الحروف في الكلمات وتتناسق الكلمات في الجُمل، ليس هذا فحسب فالإيقاع الذي يُحدثه تناسق الفواصل مُنسجم تماماً مع جوّ السّورة الذي يتحدّث عن موضوعات عدّة منها شخصية النبيّ ﷺ في خلال عمليتي (الوحي) و(الإسراء).

ثم الرّبط بين رؤيته ﷺ للآيات الكبرى، مقارنة بالحجارة التي اتخذها الكافرون آلهة في موقف ساخر من سلوكهم (ويلحظ هذا التّنغيم في السّورة بصفّة عامّة ويبدو القصد فيه واضحاً في بعض المواضع وقد زيدت لفظة أو اختيرت قافية لتضمن سلامة التّنغيم ودقّة إيقاعه إلى جانب المعنى المقصود الذي تؤدّيه في السّياق... فلو قال: ومناة الأُخرى ينكسر الوزن، ولو قال: ومناة الثالثة فقط يتعطل إيقاع القافية، ولكل كلمة قيمتها في معنى العبارة ولكن مراعاة الوزن والقافية كذلك ملحوظة)[١].

وكذلك كلمة (إِذاً) في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[٢] فهي ليست زائدة لمجرد القافية أو الوزن، لكنها ضرورية في السّياق إذ يتسق فيه الوزن والقافية مع المعنى في تجانس يُسهم في ربط المعنى بالإيقاع ضمن إطار السّياق الذي جاءت فيه فتؤدّي اللّفظة معناها دون أن يطغى أحدهما على الآخر وليس لمقتضى الضرورة كما هو الحال في الشعر، وبذلك يرتبط الغرض الفنّي ليُؤدّي الهدف مع الغرض الديني الذي يرمي اليه النّص.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: ٦/ ٣٤٠٤، و ظ: التصوير الفني: ٨٨.

(٢) النجم: ٢٢.

كذلك قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولى﴾[١] فقدّم الآخرة على الأولى التي يقتضي تقديمها مراعاةً لقافية السّورة وإيقاعها دون إخلال بالمعنى المقصود من تقديم الآخرة فجمع بين الأداء المعنوي والتّنغيم الإيقاعي، تقول بنت الشاطي: (وليس القصد إلى رعاية الفاصلة هو وحده الذي اقتضى تقديم الآخرة هنا على الأولى وإنما اقتضاه المعنى أولاً في سياق البُشرى والوعيد إذ الآخرة خير وأبقى وعذابها أكبر وأشدّ وأخزى)[٢] فقد اتسق اللّفظ مع الإيقاع بعد أن اتسق معنوياً مع الموضوع.

وقد ينتقل إيقاع الفاصلة في السّورة الواحدة بين الشدّة واللّين، أو السّرعة والهدوء تبعاً لتبدّل الموضوع الذي تعرضه، فالإيقاع في سورة النّازعات في المقطع الأول منها: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً۝ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً۝ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً۝فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ۝تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ۝ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ۝ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً۝ قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ۝ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ۝ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[٣] فالمقطع يتحدّث عن نشاط الملائكة وقيامها بتدبير الأمور الكونية بأمر الله. ثم يليه الحديث عن (الرّاجفة) و(الرّادفة) وهما مرحلتان من مراحل قيام السّاعة، فالرّاجفة هي المرحلة الأولى التي تموت فيها الخلائق، والثانية هي التي يُبعث فيها الخلق للحساب، وبين هاتين اللّفظتين تجانس صوتي يرتبط بعمليتي فناء الكون والانبعاث، وهذا مرتبط بعمل الملائكة التي سبقت الإشارة إليها.

---

(١) النجم: ٢٥.

(٢) الاعجاز البياني للقرآن: ٢٧٨، وبهذا الملحظ نفسه بيّنت تقديم (الآخرة) على (الأولى) في آيات أُخر كآية الضحى: ٤، وآية النازعات: ٢٥.

(٣) النازعات: ١ – ١٤.

وتستمر آيات المقطع بذكر وقائع قيام السّاعة، فالإيقاع شديد وسريع يتناسب مع هول الآخرة وعظيم مكارهها(يُوقع السّياق إيقاعات منوعة على أوتار القلب ويلمسه لمسات شتّى حول تلك الحقيقة الكبرى وهي إيقاعات ولمسات تمت إليها بصلة... فيُمهد لها بمطلع غامض لكنه يُثير بغموضه شيئاً من الحدس والرّهبة والتوجّس يسوقه في إيقاع موسيقي راجف لاهث كأنما تنقطع به الأنفاس من الذّعر والإرتجاف والمفاجأة والإنبهار...)[١].

حتى إذا انتهى هذا المقطع بإيقاعه الشديد اللّاهث يأتي المقطع الثاني فيهدأ الإيقاع مُسترخياً ليّناً مُتناسباً مع جوّ القصّة التي يعرضها بقوله تعالى:﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى۝ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى۝اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى۝ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى۝وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى۝ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى۝ فَكَذَّبَ وَعَصَى۝ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى۝ فَحَشَرَ فَنَادَى۝ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى۝ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾[٢]فمهّد أولاً للربط بين عاقبة المُكذّبين وقصّة فرعون ومصيره الذي انتهى وآل إليه، حتى إذا انتهى من ذلك المشهد انتقل الى مشاهد الكون الشاهدة بالقوّة والتدبير والقدرة الإلهية فيشتدّ الإيقاع وتقوى التعبيرات في اتساق تام مع مطلع السّورة وإيقاعها العام:﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا۝رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا۝ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا۝ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا۝أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا۝ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا۝ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[٣]في تمهيدٍ للمقطع اللّاحق وهو الأخير الذي يتغيّر إيقاعه بحسب موضوعه وهو يتحدّث عن الجزاء في الآخرة في مشاهد تتناسق صورها:

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: ٩/ ٣٨١١.

(٢) النازعات: ١٥ – ٢٦.

(٣) النازعات: ٢٧ – ٣٠.

﴿فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى۞ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى۞ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى۞ فَأَمَّا مَن طَغَى۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا۞ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا۞ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا۞ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا۞كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[(١)] مع إيقاعها الذي يُزيد من روع السّاعة وهولها في الحسّ وفخامتها في صنعها بالمشاعر، وهو إيقاع هائل عميق مديد يُلائم الحدث ويتناسق معه.[(٢)]

ومن هنا نجد أن إيقاع السّورة الواحدة لا يأخذ نمطاً واحداً بل يتغيّر ويتعدد بتغير الأحداث التي تطرحها السّورة وبإختلاف الخطاب الذي توجهه، فيتردد بين اللّين والشدّة أو السّرعة والهدوء، فهي مع ارتباط موضوعاتها التي تشكل وحدة فكرية وموضوعية تُسخّر الإيقاع أفضل تسخير للتعبير عن كلّ موضوع بشكل يجعل من السّورة كُلاً متجانساً موضوعاً وفكراً ولفظاً وإيقاعاً وكلها تلتف حول الهدف أو المحور العام للسورة.

ومثل ذلك سورة العاديات ؛ إذ يتغيّر إيقاع الفاصلة تبعاً لتغيّر الموضوع فتعددت فواصلها في أربعة مقاطع مختلفة جاءت فاصلة المقطع الأول بصوت الحاء وهو صوت احتكاكي مهموس يتناسب مع(الضبح، والقدح، والصبح).

فـ(الضبح)هو الحمحمة عند العَدْو، أو هو شدّة النَّفَسْ عند العدوْ[(٣)]و(القَدْح)

---

(١) النازعات: ٣٤ – ٤٤.

(٢) ظ: سيد قطب، في ظلال القرآن، تفسير سورة النازعات: ٦/ ٣٨١٠ – ٣٨٢٠، و د. محمود البستاني، التفسير البنائي للقرآن الكريم: ٥/ ٢٧٠ – ٢٧٩.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ٤٢٢.

النّار التي تنقدح عند احتكاك حوافر الخيل بالحجارة، فصوت أنفاس الخيل، أو حمحمتها واحتكاك حوافر الخيل بما تُحدثه من نار خفيفة وتوافق صوت الخيول المُغيرة في الصّباح كلّها معانٍ ناسبها صوت الحاء في هذا المقطع بدلالته الاحتكاكيّة واتسق معها في أحسن وجه.

ويأتي المقطع اللّاحق بصوت العين(نقعاً و جمعاً)فاختلف صوت الفاصلة مع اختلاف دلالة الآيتين في تصويرها وصول الخيل إلى أرض المعركة وإثارتها للغبار وأصوات القتال في جلبة وصياح تناسبت مع صوت العين المجهور المتوافق مع تلك الأصوات، إذ(من المألوف أن تُسمَع الأصوات المجهورة في ساحة المعركة ولا تُسمَع قبل بدء المعركة)[1].

أما المقطع الثالث فجاءت الفاصلة بصوت الدّال المجهور في(كنود، شهيد، شديد) جاءت مُتسقةً مع كفر الإنسان وحبّه للمال.

والمقطع الرابع بصوت الرّاء في(القبور، الصدور، خبير)وهو ايضا صوت مجهور يتناسب مع أجواء السّورة بشكلٍ عام، فاتسقت ايقاعات المقاطع مع الموضوع الذي تتحدث عنه الآيات بأروع اتساق.

وللإيقاع التكراري في الفاصلة أثر في تعميق الدلالة، فتكرار آية كاملة في السّورة أو تكرار لفظ في الفاصلة في آيات متتابعة يأتي مُتجانساً مع المعنى، ففي فاصلة الآيات الأولى من سورة الحاقّة:﴿الْحَاقَّةُ۝ مَا الْحَاقَّةُ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾[2]يأتي صوت الحاء عالياً ثم ينخفض مع القاف المشددّة والتاء السّاكنة(الهاء)فالإيقاع رهيب

---

(١) عمر عبد الهادي عتيق، ظواهر اسلوبية في القرآن الكريم: ٤٢٥.

(٢) الحاقة: ١ – ٣.

مُجلجل مُدوٍ يتناسب مع هول وخطورة وأهمية الحادثة تمهيداً لِما ستتحدّث عنه السّورة لاحقاً(ومع الصوتين يتنبه حسّ الإنسان ويترقّب وينتظر ويتسائل عن الخبر، فيأتي الخبر مُصوّراً مشاهد الماضي حيث مصارع المُكذّبين بالدّين)(١).

والأمر نفسه ينطبق على تكرار القارعة في سورة القارعة: ﴿الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾(٢) فيأتي الجواب تصويراً للمشاهد المهولة للقيامة(وفي المشهدين قيم تعبيرية ومشاعر نفسيّة مع وقع صوت الفواصل المكررة في السّورتين)(٣).

أما تكرار آية كاملة في السّورة فقد ورد في مواضع كثيرة كما في سورة الرّحمن ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(٤) فجاء تكرارها بعد ذكر كلّ نعمة وبعد كلّ إنذار وتحذير من كفران النّعم، فيأتي التكرار الإيقاعي مُؤدّياً المعنى تذكيراً وتنبيهاً في إتساق وتجانس يُسهم في ارتباط المعنى بالإيقاع بشكل واضح.

وكذلك تكرار الآية ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾(٥) في سورة المُرسلات، وفي سورة القمر تكررت الآية ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾(٦) فجاء تكرار كلّ منها مُتّسقاً مع المعنى مرتبطاً به مُعبّراً عنه في تجانس تامّ.

فالتكرار لم يأت لمجرد التذكير بالنّعمة أو النّقمة وإنما أضفى على النّص إنسجاماً تناغم في الآيات المُكررة مع ما سبقها ولحقها، فأدّى دوره في تناسق المعنى بما تركته في

---

(١) عمر عبد الهادي عتيق، ظواهر اسلوبية في القرآن الكريم:٣٦٨.
(٢) القارعة: ١ – ٣.
(٣) عمر عبد الهادي عتيق، ظواهر اسلوبية في القرآن الكريم:٣٦٨.
(٤) الرحمن: ١٣.
(٥) المرسلات: ١٥.
(٦) القمر: ١٦.

النّفس من تأثيرٍ بإيقاع مختلف بين الرّهبة بآيات الوعيد أو الترغيب واطمئنان النّفس بالتذكير بنعم الله وحُسن شكرها.

كذلك الإيقاع الذي يُضفيه حذف أو زيادته على أصل الكلمة في الفاصلة محققاً الإنسجام الصوتي بحيث لو ذُكر المحذوف لَمَا استقام، ولو حُذف الحرف المذكور لَمَا أدّى ذلك النَغم المؤثر في النَفس.

فحذف الحرف يأتي مُتناسباً مع النّسق الصّوتي، فقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[١] فحذف ياء(يسري)لتتسق مع الفاصلة في الآيات السّابقة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[٢] جاء متناسباً تناسباً كلياً مع الفاصلة في الآية السّابقة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ ۝ كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ ۝ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾[٣] حُذفت الياء من(راقي)لتتناغم مع ما بعدها من آيات: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۝ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[٤] فالفاصلة مع تأديتها للمعنى يُراعى فيها التّناسق الصّوتي المُجانس للمعنى واستقامة الوزن.

---

(١) الفجر: ١ – ٤.

(٢) الفجر: ١٥ – ١٦.

(٣) القيامة: ٢٦ – ٢٨.

(٤) القيامة: ٢٩ – ٣٠.

ومن جانب آخر فإن زيادة حرف في الفاصلة مراعاةً للتناسب الصّوتي وتجانساً مع المعنى في الوقت نفسه فتتوالى الآيات على نسق واحد في فاصلة مُتناسقة كما في سورة الأحزاب:﴿...وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[١]﴿... فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾[٢]﴿...وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾[٣]اتسقت مع فواصل السّورة كاملة، فدخول الألف في الآيات الثلاث جاء لتتسق مع الفواصل التي جاءت في آيات السّورة الأخرى مُنوّنة لأن الكلمة الأخيرة فيها غير مُعرّفة بأل. وفي الآيات الثلاث مُعرّفة بأل فاستدعى التّناسق الصّوتي ذلك وبهذا المعنى يُعلل الزركشي(ت٧٩٤هـ)الأمر بقوله:(لأن فواصل هذه السّورة منقلبة عن تنوين في الوقف فزيد على النّون في﴿الظُّنُونَا﴾ألف لتساوي المقاطع وتناسب نهايات الفواصل)[٤].

وبذلك يتضح أن الفصل بين اللّفظ والمعنى وبين الصّوت أمر صعب لأن الإيقاع الصّوتي له أثر في تعزيز الترابط بين اللّفظ والمعنى، إذ لا نجد تنافراً أو عدم تجانس بين اللّفظ المُنتقى للمعنى وبين الإيحاء الصّوتي والوقع الذي يتركه في نفس المُتلقي، سواءٌ أكان شدّةً وقسوة أم ليناً ورخاءً أو غيرها من التعبيرات النّفسية التي يظهر صداها في اللّفظ، وفي حُسن اختيار موقعه بين أجزاء الآية أو في السّورة ككل، فالإيقاع ليس أمراً ظاهرياً شكلياً بل يتجاوز ذلك إلى إحداث التّناسق التام مع الجو العام الذي تُطلق فيه الموسيقى ووظيفتها التي تؤدّيها في السّياق فالصّوت يُؤدّي دوره المُناط به ضمن أطار السّياق مع أن لكلّ كلمة مفردة صوتاً فعلياً يُسهم في تحديد دلالتها لكنها في التركيب مع كلمات أخرى تنتج مجموعة من الأصوات توجّه معنى النّص.

(١) الأحزاب: ١٠.

(٢) الأحزاب: ٦٧.

(٣) الأحزاب: ٦٦.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٦٨.

فاسلوب القرآن الكريم يُؤدّي الغرض المُراد بشكل متكامل الأبعاد لفظاً ومعنىً وإيقاعاً مع غيرها من الأدوات، فهو نظم مُتكامل ليس فيه خلل ولا يتجاوز فيه اللّفظ على المعنى ولا العكس، ولا يُعدّ التكرار فيه حشواً ولا تطويلاً ولا الحذف يُخلّ بالمعنى ولا يطغى الجانب الصّوتي على المعنى في الفاصلة بل يأتي مُتسقاً معه مؤكداً له فيُشكل كُلاً مُتكامل الأجزاء.

ثانياً – القصَّة

١ – التَّرابط بين مقطع القصَّة والسُّورة.

٢ – التَّنويع (التَّكرار) في عرض القصَّة.

٣ – الإجمال والتَّفصيل في القصَّة الواحدة.

٤ – ارتباط القصص وتناسقها في السُّورة الواحدة.

ثانياً _ القصَّة

تُشكل القصّة عنصراً فنّياً أخر من عناصر ترابط النّص القرآني وتُسهم بشكل كبير وواضح في ربط مقاطع السّورة بعضها ببعض حول محورها أو موضوعها، إذ تُلقي ظلالاً على الموضوع، فتأتي مُتسقةً مع العناصر الأخرى بما يتناسب وطبيعة ذلك الموضوع فتُوظَف في إطار الأفكار الرئيسة أو الثانوية التي تقوم السّورة عليها، إذ من خلال القصّة يُهيأ ذهن المُتلقي إلى الغرض الذي ترمي إليه السّورة.

فالقصّة تُعدّ أسلوباً تربوياً ينفذ إلى القلوب ويُحدث تأثيراً في النّفوس إذ التفاعل مع الأشخاص والأحداث، وما يُحدث من هذا التأثر بالمواقف فتكون النّتيجة أن يحصل التوجيه التربوي بشكلٍ أبلغ وأجدى نفعاً[١] فللقصّة أثرها الفاعل في تقويم السّلوك الإنساني فكراً وعملاً، وتأتي أهميتها بما تنطوي عليها من دلالات فكرية تستهدفها، وتأثيرها في تصحيح السّلوك الإنساني سواءٌ على مستوى المُعتقد الفكري أو السّلوك العملي.

وقد جاءت القصّة في القرآن الكريم بعناصرها الثلاثة (الشخصيات) و(الأحداث) و(الحوار) بأفضل ما يأتي به فن القصّة عموماً من حيث تحقيق الهدف المرجو منها، ولا تأتي القصّة في القرآن الكريم أمراً عارضاً بل تأتي مُؤكدة لمعنىً، متناسبةً مع الجوّ العام للسّورة، فتُوَظَف لتجسيد المعنى المُراد بشكلٍ يلتقي فيه الغرض الفنّي بالغرض الديني، فتأتي المشاهد تارة مُطوَّلة وتارةً مختصرة بحسب الموقف (وهذا أو ذلك تقرره الأصول الفنيّة القائمة على أسس نفسيّة شعورية)[٢].

---

(١) ظ: التهامي نقره، سيكولوجية القصّة في القرآن: ٥٤٤.

(٢) سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن: ٥٠.

وقد تتعدد القصص في السّورة الواحدة بشكلٍ تتقابل فيه وتتقاطع من جانبٍ، وتتوازى وتتناغم من جانبٍ ثانٍ، وتُلقي كلّ واحدةٍ منها بظلّها على الآخرى من جانبٍ ثالثٍ بحيث تجعل القارئ يُقابل بين أشخاص أو أحداث تلك القصص فيفهم السّورة كاملةً من خلال(الكل)أي السّورة كاملةً وليس من خلال(الجزء)أي المقاطع القصصيّة المُتفرقة، فتنتظم بشكلٍ يجعل منها وحدةً فكريّة مُتكاملة مع المحور العام للسّورة، مُلقيةً بظلالها على مقصد السّورة وهدفها، وبذلك يُكسب النّص جماليته وحيويته ومُعطاه الدلالي الأساس الذي يستهدفه وهو توصيل الغرض إلى المُتلقي.(١)

فالقصّة داخل السّورة تتلاحم مع الموضوع إذ ليس الهدف من طرح القصّة لذاتها بل لموضوعها وكيفيّة إسهامها في ترسيخ هدف السّورة، ولذا نجد أن القصّة الواحدة قد تتوزع على سورٍ عدّة كلّ مقطعٍ منها يُمثل جزءاً من هذه السّورة أو تلك ويأتي مُتناغماً مع غرضها وما تهدف إليه.

فعلى سبيل التَّمثيل قصّة النّبي موسى عليه السلام ذُكرت في أكثر من سورةٍ(٢)لكنها في كلّ سورةٍ تأتي مُتّسقةً مع الموضوع العام لها، فقد يأتي مشهدٌ واحدٌ أو مرحلةٌ من مراحل حياته تبعاً لسياق السّورة كلياً، في حين تَرِد قصّة أخرى في سورةٍ واحدة ولمرّةٍ واحدة كقصّة النّبي يوسف عليه السلام، أو بعض الشخصيات أو الأحداث ولا تتكرر فتكون قد جاءت في موضعها وأدّت الغرض فلا يستدعي الأمر إعادة ذكرها في سورةٍ أخرى، فكلّ جزءٍ من أجزاء القصّة القرآنية يحتلّ موقعه ليعكس أثره وصداه على سائر أقسام السّورة.

(١) ظ: د. محمود البستاني، المنهج البنائي أو العضوي في تفسير القرآن الكريم، مجلة قضايا إسلامية، العدد:٢، ١٤١٦ - ١٩٩٥، صفحة:٢١.

(٢) على سبيل التمثيل قصته عليه السلام مع قومه وردت في سورة(المائدة)ومع فرعون والسَّحَرَة وآل فرعون وبني إسرائيل في سورة(الأعراف)ورحلته عليه السلام ولقائه مع العبد الصالح في سورة الكهف وقصته مع أخيه هارون في سورة(مريم)وفلق البحر وخروجه من مصر في سورة(طه)وسورة(القصص).

١ _ الترابط بين مقطع القصة والسورة

يختلف أسلوب طرح القصّة في كلّ سورةٍ تبعاً لسياقها العام، فتُوظف لخدمة الأفكار الرئيسة والثانوية التي تحوم السّورة حولها، فتعرض من القصّة بالقدر الذي يؤدّي ذلك الغرض ومن الحلقة التي تتفق معه، فتارةً تُعرض القصّة من أول أحداثها، وتارةً تبدأ من وسطها، وأخرى تبدأ من حيث نهايتها أو قد تُعرض كاملةً، في حين يُكتفى في بعض السّور بمشهدٍ واحدٍ من القصّة أو حلقةٍ من حلقاتها.

وكلّ ذلك يأتي مُتسقاً مع الغرض الذي تبتغيه السّورة وحسبما تكمن العِبرة في هذا الجزء أو ذاك ولا تتبع تسلسلاً زمنياً أو تاريخياً لأنه لا يُشكل هدفاً من أهدافها كسائر القصص الأخرى في التأليف البشري، إذ إن الغرض الأصلي هو العِبرة والموعظة فتركّز السّورة عليه دون غيره وهو الذي يفرض المقطع القصصي المُناسب له.

فقصّة آدم عليه السلام مثلاً في سورة البقرة تبدأ من الحلقة الأولى من حين خَلقه وما تلاها من أحداث كتعليمه الأسماء كلّها، وتساؤل الملائكة عن فساد البشر، ثم سجودهم له وإمتناع إبليس، وكل تلك الأحداث جاءت متعلقة بالغرض الدّيني فيها باتساقها مع الموضوع المطروح في السّورة وهو (العلم) الذي تكرر ذكره في كل مقطع من مقاطعها ابتدأ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا...﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[٣]

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣١.

(٣) البقرة: ٣٢.

وقوله تعالى:﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(١).

وقد ارتبطت هذه الآيات مع ختام المقطع الأول للسّورة الذي خُتِمَ بقوله تعالى:﴿... وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢)وهذا يُشير إلى:(أن ظاهرة العلم ستأخذ مساحة خاصّة من النّص، وفعلاً نجد ان العلم هو البِطانة الفكرية التي يقوم عليها هيكل القصّة التي تتحدّث عن المولد البشري)(٣)لأن المولد البشري يُشكل تجربة جديدة في حياة الملائكة، لذلك جاء الرّد بعد تساؤلهم بقوله تعالى:﴿... قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٤) أما ما يتعلق بآدم عليه السلام فان العلم يظل هو الطابع الذي أودعه الله تعالى في شخصيّته بحيث علّمه الأسماء كلّها إلى الدرجة التي تفوَّق بها على الملائكة أنفسهم، وأما التجربة البشرية فان علم الله تعالى هو المُسوّغ الوحيد الذي يكمن وراء حدودها وهذا ما أكدته القصّة حينما قال الله تعالى:﴿... قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾وحينما قال:﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا....﴾(٥)وقال﴿... أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(٦)فشكلت ظاهرة(العلم)عصب القصّة بما تضمنته من مواقف وأحداث وأبطال تستمدّ حركتها جميعاً من(العلم)الذي يقف وراء ذلك.

---

(١) البقرة: ٣٣.

(٢) البقرة: ٢٩.

(٣) د. محمود البستاني، المنهج البنائي في التفسير:٦٦.

(٤) البقرة: ٢٩.

(٥) البقرة: ٣١.

(٦) د. محمود البستاني، المنهج البنائي في التفسير: ٦٧.

فعرض الأحداث والمواقف في القصّة أخذ تسلسلاً زمنياً ابتدأ منذ بداية قصّة الخَلق حسب ما تطلبته السّورة، وهنا يأتي الاستهلال متوافقاً مع ما تقتضيه الفكرة، في حين نجد أن القصّة ذاتها ـقصّة آدم عليه السلام ـ في سورٍ أخرى[١] من القرآن الكريم وردت من وسط الأحداث والمواقف، فنجدها تبتدئ من حادثة سجود الملائكة لآدم عليه السلام وموقف إبليس من ذلك، وكلّ ذلك يرجع إلى تعلّق الغرض بهذا المقطع أو ذاك في السّورة دون غيره من مقاطع أو مشاهد الأذى.

كما أن قصّة عيسى عليه السلام جاءت في سورٍ عدّة، وعرضت حلقات من حياته، لكنها في كلّ سورةٍ تعرض جانباً من حياته يتناسب مع السّورة، فقد ذُكرت قصته في مواضع كثيرةٍ[٢] وروداً أساسياً، كما ورد ذكر عيسى عليه السلام دون قصّته مع ذكر الأنبياء في مواضع أخرى، بينما جاءت مقاطع من حياته في بعض السّور، وفي كلّ سورةٍ منها تعرض مشهداً من المشاهد يتعلق بقضية مطروحة في السّورة. فتارةً يعرض في المقطع جانباً من قصّة ولادته بشكلٍ مُعجزٍ، فتأتي مرتبطةً بما سبقها من آيات في خلق آدم عليه السلام من غير أبٍ ولا أم، بينما ترتبط قصّة إحيائه للموتى بإذن الله من جانبٍ بقضيّة إحياء البشر بعد موتهم كما في سورة البقرة ؛ أي إن السّماء تُمهّد للغرض الذي تريد إيصاله للمُتلقي من خلال القصّة لإضفاء صفة القناعة على قضية بعث الأموات وإحيائهم للتهيؤ للمرحلة الخالدة وهي الحياة الأخروية.

---

(١) كما في سورة الأعراف:١١ وما بعدها، وسورة الأسراء:٦١ وما بعدها، وسورة الكهف:٥٠ وما بعدها، وسورة طه:١١٦ وما بعدها.

(٢) وردت في سورة البقرة:٨٧ – ٢٥٣، وسورة آل عمران:٤٥ – ٦١، وسورة النساء:١٥٦ – ١٥٩، وسورة المائدة: ١١٠ – ١١٦، وسورة مريم:١٦ – ٣٤، وسورة الزخرف: ٥٧ – ٦٥، وسورة الصف: ١٤.

وتارةً تتناول سورة أخرى جانباً من حياته مع بني إسرائيل وتكذيبهم له ومجادلتهم إيّاه واختلافهم فيه، فمنهم مَن آمَن به ومنهم مَن اتخذه إلهاً، فيأتي كلّ مقطع من القصّة مُتّسقاً مع الموضوع الذي تطرحه السّورة تحقيقاً للغرض المقصود، ويربط ذلك بتكذيبهم النّبي ﷺ حتى دعاهم إلى المُباهلة كما في سورة آل عمران: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1] ربطاً للموضوع بما سبقه من سلوك بعض بني إسرائيل ممن اتخذه إلهاً وتكذيبهم رسالة النّبي ﷺ.

وفي كلّ موضعٍ من كلّ سورةٍ يأتي العنصر القصصي جزءاً مُتجانساً مع مقاطع السّورة الأخرى ومع الموضوعات التي تدور حولها الآيات، فالمقطع الوارد في سورة المائدة يُشكّل تناسقاً تامّاً مع السّورة بشكلٍ عام، كما يُمثل المرحلة الأخيرة من حياة عيسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2] جاءت تُمثّل المشهد الأخير لقصته، فاختتمت القصّة بختام يتناسب مع مولده عليه السلام العجيب والشبهات التي أدّت بهم إلى تأليهه(وها هو ذا في المقطع الأخير أمام خالقه يعترف بعبوديته ويشهد بما قاله لقومه ويُفوض الأمر إلى الله العزيز الحكيم)[3] فاقتضى مجيئ هذا القسم ليقرر ويُثبت حقيقة

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) المائدة: ١١٦ – ١١٨.

(٣) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن: ١٤٤.

عبوديته لله كآخر مقطع من حياته إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن سورة المائدة[١] أخر ما نزل من سور القرآن الكريم لتُنهي بذلك قضيّة الشك فيه وبالوهيته المزعومة، فجاء مُكمّلاً لِما سبق من مقاطع أخرى من قصّته عليه السلام في سورٍ سابقة في النزول، وقد تُذكر عاقبة القصّة ومغزاها أولاً ثم تبدأ القصّة بعد ذلك من أولها وتعرض التفصيلات.

وكذلك قصّة موسى عليه السلام في سورة القصص جاء الحديث عنها في مقدمة السّورة: ﴿طسم۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ۝ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٢] فهذه المقدمة التي استهلّت بذكر جانبٍ من قصّة موسى عليه السلام وهو تمهيد لِما ستعرضه السّورة بعد ذلك، فابتدأت من عهدٍ متأخر للقصّة وليس من بدايتها.

فقصّته عليه السلام مع فرعون تأتي بعد مراحل عدّة من حياته التي ذُكرت في سورٍ أُخرى، وبعد هذا التقديم يستمر عرض التفاصيل التي تتناول مولد موسى عليه السلام ونشأته ورضاعه وكبره، وقتله المصري، وخروجه إلى مصر، إلى أن تنتهي القصّة بإغراق فرعون وجنوده(فكأن المقدمة التي كشفت الغاية من القصّة كانت تمهيداً لمعرفة الطريقة التي تتحقق بها الغاية المرسومة المعلومة)[٣].

فطرحت مقدمة السّورة أفكاراً انعكست فيما بعد على أحداث القصّة ومواقفها اتضحت من خلال موضوعات السّور الكريمة، فالعنصر القصصي يستهدف لفت النظر إلى الدلالة الفكرية التي تقوم عليها السّورة بالتقديم لذكر فرعون الذي علا في

(١)الايات : ١١٦– ١١٩.

(٢) القصص: ١ – ٤.

(٣) سيد قطب، التصوير الفني: ١٤٩ وما بعدها.

الأرض واستضعف النّاس وكان من المُفسدين وبالمصير الذي سيؤول إليه هو وغيره من المُفسدين كقارون، وتمكين المؤمنين ونصرهم بقوله:﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ۝وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[١].

حيث ربط من خلال القصّة كلاً من المصائر الدنيوية والأخروية المترتبة على العلوّ والفساد لتنتهي القصّة بغرق فرعون وجنوده وخسف الأرض بقارون وداره، وحُسن عاقبة المؤمنين إذ اختصهم بقوله تعالى:﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

وهذان السلوكان(العلوّ والإفساد)لهما موقع عضوي بالنّسبة إلى هيكل القصّة التي تحدّثت عن نماذج من المفسدين، فكما افتتحها بفرعون وعلوّه وفساده قرنت في نهاية السّورة شخصيّة أخرى لُمفسدٍ وعالٍ في الأرض وهو قارون، فارتبطت القصّة بالمحور العام للسّورة من خلال طرح الفكرة الرئيسية في مقدمتها.ثم تلاحقت أحداث القصّة لتسير إلى نهايتها مُفصحةً عن النهاية الحتميّة التي قدمت لها السّورة في المقدمة.وفي سورة النّازعات جاءت قصّة موسى عليه السلام في مقطع يختلف عمّا جاء في غيره من السّور، فيبتدئ الحديث عنه بقوله تعالى:﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى۝ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى۝اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى۝ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى۝وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى۝ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى۝ فَكَذَّبَ وَعَصَى۝ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى۝ فَحَشَرَ فَنَادَى۝ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى۝ فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ

---

(١) القصص: ٥ – ٦.

(٢) القصص: ٨٣.

وَالْأُولى﴾[١].

يعرض هذا المقطع القصصي جانباً من قصّة موسى عليه السلام مع فرعون، لكنه يرتبط بالعنصر الفكري للسّورة مختلفاً عن غيره من المقاطع في السّور الأخرى.

فالآيات السّابقة لهذا المقطع تحدّثت عن إصرار الكافرين على إنكار البعث حتى وصلوا إلى حدّ الاستهزاء في قولهم: ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۞ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً ۞ قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۞ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[٢]، وكان هذا الأمر يشقّ على رسول الله صلى الله عليه وآله فجاءت قصّة موسى عليه السلام وبيّنت مقدار تحمّله المشقّة الكثيرة في دعوة فرعون فكانت تسلية لقلب النّبي صلى الله عليه وآله لأن فرعون وقومه كانوا أشدّ قوّة من كفار قريش وأكثر جنداً، لكن الله تعالى أخذه نكال الآخرة والأولى، وكذلك المشركون إن تمردوا عليك وأصرّوا على إنكارهم وتكذيبهم أخذهم الله وجعلهم نكالاً.[٣]

فجاء العنصر القصصي هنا مُتسقاً تماماً مع الفكرة التي تطرحها السّورة والغاية التي تهدف إليها وهي بالإضافة الى تسلية النّبي صلى الله عليه وآله تُنبئ بمصير المُكذّبين المُعاندين ربطاً لهذا للموضوعين بالفكرة التي تقوم عليها السّورة.

وكذلك الأمر في قصّة إبراهيم عليه السلام إذ وردت فيما يُقارب العشرين موضعاً، إذ تبتدئ قصته منذ أن كان فتىً ينظر في السّماء ويتأمل نجومها وكواكبها إلى حين بدء دعوته وتحطيمه الأصنام، حيث وصفه قومه بقولهم: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ

---

(١) النازعات: ١٥ – ٢٥.

(٢) النازعات: ١٠ – ١٤.

(٣) ظ: الرازي، مفاتيح الغيب: ٣١/ ٣٦.

لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[١] وتستمر قصّته إلى حين إلقائه في النّار وهجرته، وبنائه البيت الحرام، كلّ تلك المقاطع جاءت متفرقة في سورٍ عدّة، إلى أن تأتي الحلقة الأخيرة من قصّته بقوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ۝ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[٢].

وهنا ربط بين شعائر الحجّ وشعائره في دين إبراهيم عليه السلام وذلك غرض مقصود قد ورد في ختام السّورة نفسها آخر ذكرٍ لإبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ﴾[٣].

فكان هذا المشهد هو مشهد الختام في قصّة إبراهيم عليه السلام وهو مُتناسب تماماً مع محور السّورة وهو اليوم الآخر وارتباطه بسلوك المنحرفين الذين ذكرتهم السّورة؛ الذين يصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام، وقد حذرهم في مقطعٍ سابقٍ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤].

فارتبط المقطع الأخير بمقاطع السّور السّابقة حيث جاء في سياق الحديث عن المشركين أو الكفار وممارساتهم المنحرفة بشكلٍ يُفصح عن ارتباط أجزاء السّورة مع

---

(١) الأنبياء: ٦٠.

(٢) الحج: ٢٦ – ٢٧.

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) الحج: ٢٥.

بعضها، وبهذا يلتقي الغرض الفنّي من خلال القصّة مع الغرض الفكري الذي تبتغيه السّورة مسخراً عنصر القصّة في خدمة ذلك الغرض، فهذا التقطيع لأجزاء القصّة وعدم الاعتماد على الترتيب الزّمني أمر يتعلّق بالصلة بين أهداف القصّة وطريقة صياغتها[١].

٢ _ التنويع (التكرار) في عرض القصّة

مما سبق ذكره يتضح أن كلّ قصّة بل كلّ مقطع من القصّة يتناسب مع الخطّ العام للسّورة الواردة فيها، مُتسقاً مع الهدف الذي تبتغيه، فكلّ مقطع يأخذ موضعه ويرتبط بما سبقه ولحقه من مقاطع السّورة دون أدنى خلل في كون المقطع أو المشهد من القصّة جزء أو مرحلة من مراحلها، أو قد تكون قصّة كاملة تطول المشاهد فيها لكنها تأتي متصلةً تماماً مع فكرة السّورة غير أجنبية عنها ولا حديثاً عارضاً لا يمتّ لها بصلةٍ يتسق مع اجزائها كلّ الاتساق.

وقد يتبادر إلى الذهن إن في القرآن الكريم تكراراً لبعض القصص - وإذا جاز أن نُسمّيه تكراراً - فهو تكرار لا يأتي اعتباطاً وإنما لغرض معلوم، فقد تأتي القصّة ذاتها في موضعين أو أكثر لكنها تختلف في كلّ سورةٍ عن الأخرى في الغرض، يقول البقاعي (ت٨٨٥هـ): (ان كل سورة أُعيدت فيها قصّة فلمعنى أُدعي في تلك القصّة استُدل عليه بتلك القصّة غير المعنى الذي سيقت إليه في السّورة السّابقة ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيّرت النّظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع إنها لا يُخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصّة وعلى قدر غموض المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها)[٢].

---

(١) ظ: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن: ١٤٤، و ظ: محمود البستاني، التفسير البنائي للقرآن الكريم: ٣/ ١٩١ وما بعدها.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/ ٨.

ففي سورة الأعراف وسورة هود وسورة الشعراء وردت مجموعة من قصص الأنبياء، وهم: نوح عليه السلام وهود عليه السلام وشعيب عليه السلام مع أقوامهم، وقد تبدو قصصاً مُتكررة، إلّا أن التدقيق في هذه السّور يوصل الى أنه لا تكرار في قصص هؤلاء الأنبياء، بل إن كلّ سورة تعرض القصّة بطريقةٍ تختلف من سورةٍ إلى أخرى تبعاً لجوّ السّورة العام، مُتفقةً مع المقصد الكلّي لها.

فكلّ سورةٍ تعرض القصّة من زاويةٍ تختلف عمّا تعرضه السّورة الأخرى، لكنها – أي السّور الثلاث – تتشابه من حيث الموضوع الذي تطرحه، وهو أنها جاءت لتُبرز حقيقة أن كلّ الرّسل جاؤوا بكلمة التوحيد – لا إله إلّا الله – من عند الله تعالى، وبقضيةٍ واحدةٍ يبلغونها وهي عبادته وان ليس هناك إله غيره، وتعرض مصير الأقوام المُكذّبين وعدم استجابتهم لدعوة الأنبياء، فتأتي دعوة الرّسل في سورة الأعراف وسورة هود تتكرر الآية: ﴿... يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ...﴾[1] وفي سورة الشعراء تأتي الآية: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

---

(١) الأعراف: ٥٩، هود: ٥٠.

(٢) الشعراء: ١٠٧ – ١٠٩.

وتكرار الآية يأتي تأكيداً للمعنى المقصود وهو أن كلّ الرّسل جاؤوا بكلمة واحدةٍ وقضيةٍ واحدة، وأن دين الله واحد وإن اختلف الأقوام في المكان والزمان والأحوال والتكذيب والاستكبار سمةً غالبة في أقوامهم وردود الفعل تكاد أن تكون متشابهةً. لكن هذا التكرار القصصي من جانب يحمل تنويعاً مقصوداً، فتجمع القصّة بين التكرار المطلوب والتنويع المرغوب في الطبيعة البشرية فاتسق في كلّ من السّور الثلاث الغرض مع الهدف رغم اختلاف الزاوية التي تطرحها القصّة في كلٍّ منها، فكل سورةٍ تركّز على جانبٍ مُعيّن رغم تشابه الموضوع.(١)

ففي سورة الأعراف جاء الهدف – تسليةً للنّبيﷺوتثبيتاً لقلبه والصبر على قومه مُذكراً بالعاقبة – بقوله تعالى:﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ۞ وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾(٢)وفي سورة هود:﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣)وقوله تعالى:﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ۞ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهّ مِن شَيْءٍ لِّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ۞ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(٤)۞وقوله تعالى:﴿ وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى

---

(١) ظ: محمد قطب، دراسات قرآنية: ٢٥٣ وما بعدها.

(٢) الأعراف: ١٠٢ – ١٠٣.

(٣) هود:٤٩.

(٤) هود:١٠٠ – ١٠٢.

لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١) بينما في سورة الشعراء كان التركيز على(الآية)المتضمنة في كلّ قصّة تكراراً بقوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢).

ولعلّ أكثر القصص تكراراً أو تنويعاً في القرآن الكريم هي قصّة موسى عليه السلام فقد أخذت مساحةً كبيرةً في سور عدّة وفصّل فيها تفصيلاً دقيقاً كما تضمنت مراحل مختلفة من حياته، لكن لا يُعدّ ذكر القصّة أو أحد مفاصلها في سورتين أو أكثر تكراراً بل تنويعاً يقتضيه الهدف بحسب ورود القصّة في هذه السّورة أو تلك.

فقصّة موسى عليه السلام وإن كان أهم أهدافها تسلية النّبي صلى الله عليه وآله وتذكيره بما لقي موسى عليه السلام من أذىً من فرعون وقومه، فهي في الوقت نفسه تأسيةً للمسلمين الذين كانوا يُلاقون العذاب من قومهم بما لقيه بنو اسرائيل من عذاب فرعون من جانبٍ ومن جانبٍ آخر تحذيرهم من المصير الذي لحق بهم بعد انحرافهم عن كتاب الله وعدم استقامتهم وتذكيرهم بترك عرض الحياة الدّنيا وأفضلية الدّار الآخرة التي جعلها الله تعالى للمتقين:﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(٣).

وفي كلّ ما ورد في قصّته عليه السلام لا نجد تكراراً بمعنى تماثل تامّ بين القصّة في سورة وأخرى، فربما تتشابه المقاطع لكنها لا تتماثل أي تتطابق في كلّ جزئياتها مع بعضها، فالاختلاف قد يكون في طريقة السّرد أو باختلاف بعض الألفاظ بل في بعض

(١) هود:١٢٠.

(٢) الشعراء: ٨.

(٣) الأعراف: ١٦٩.

حروفها وأحياناً في جمل بأكملها فضلاً عن اختلاف السّياقين، فقد يأتي المقطع طويلاً في مشاهد مُفصلة أو قد يكون قصيراً مقتضباً بحسب ما يقتضيه جوّ السّورة وإيقاعها كما في سورتي الأعراف[١] والشعراء[٢] فقد ورد في كلّ منهما مقطع متشابه إلّا أن هذا التشابه جزئي بالنّسبة للموضوع كلّه[٣].

ومن هنا نجد أن قضية التكرار المُطلق للقصص تنتفي في القرآن الكريم إذ أن القصّة الواحدة تختلف في الطرح في كلّ موضع بما يقتضيه السّياق، فالحلقات الأساسيّة للقصّة لا تتكرر - تقريباً - وإن كُررت حلقةً منها في سورة ما فهي تأتي بشيءٍ جديد يختلف عمّا هو عليه في سورةٍ أخرى.

٣ ـ الإجمال والتفصيل في القصّة الواحدة

تتفاوت طريقة القرآن الكريم في طرح القصّة من حيث التوسع في ذكر التفاصيل في سورةٍ، وإجمال القصّة ذاتها في سورةٍ أخرى فتعرضها بشكلٍ مختصر، وكلّ ذلك خاضع لما يقتضيه السّياق الذي وردت فيه، فربما تُشكل قصّة ما عدداً كبيراً من الآيات في سورةٍ، بينما نجدها في سورةٍ أخرى لا تتجاوز بضعة آيات تذكرها بشكلٍ مختصر، وفي كلا الموضعين تأتي مُتّسقة مع ما قبلها وما بعدها من الآيات.

فطبيعة السّورة هي التي تفرض ذلك، ولأن لكلِّ تفصيلٍ هدفاً يتفق مع غرض السّورة ومقصدها فتتطلب صياغتها طرحاً مُعيناً، تارةً بالإشارة إلى القصّة إشارةً عابرة في حين نجد أن في بعضها توقفاً عند كلّ مفصل من مفاصل القصّة تدقيقاً في

(١) الأعراف: ١٠٧ - ١٢٦.

(٢) الشعراء: ٣٢ - ٥١.

(٣) ظ: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن:١٢٨ وما بعدها، و ظ: محمد قطب، دراسات قرآنية: ٢٧٥ وما بعدها.

تفصيلاتها. فقصّة مريم عليها السلام في سورة مريم جاءت بتفاصيل كثيرة لا نجدها في سورةٍ أخرى تناولت قصّتها كسورة آل عمران وذلك أمر يفرضه سياق الأفكار المطروحة في كل سورة، ففي سورة آل عمران تأتي ستّ قصص، وهي: قصّة امرأة عمران ونذرها لوليدها، وقصّة ميلاد ذلك الوليد أنثى وهي مريم عليها السلام ثم قصّة الولادة الإعجازية لعيسى عليه السلام تلتها ولادة إعجازية لشخصية أخرى وهو يحيى عليه السلام ثم ارتبطت بقصّة المباهلة التي تفرعت عن المحور نفسه لارتباطها بمولد عيسى عليه السلام والشبهات حوله.

فركزت القصص الخمس - التي جاءت في سياق اصطفاء الله تعالى لمجموعة تُمثل الصفوة البشرية للإضطلاع بالمهمات التي تُوكل إليها - على ظواهر إعجازية وهي السّمة التي واكبت تلك الشخصيات المصطفاة كما اتصلت هذه القصص ببعضها، فلم تُفصّل في قصّة مريم عليها السلام بما فصّلت به في سورة مريم إذ إن قصّتها هنا جاءت مُجملَةً اقتضاه ذلك التناسق مع القصص الأخرى بالمقدار الذي يُؤدّي الغرض منه، أما في سورة مريم فالأمر مختلف إذ نجد أن السّورة فصّلت في الأحداث والمواقف، وذكر تلك التفاصيل تُسهم في الإفصاح عن أهمية الشخص، والحدث فابتدأت من موقف عزلتها عن النّاس وانتهت بحدث كلام عيسى عليه السلام وهو طفل حديث الولادة.

وكما تعددت الحوادث في السّورة ففيها مجيئ جبرائيل عليه السلام وهزها النّخلة، والولادة المُعجزة، تعددت كذلك المواقف في إنكارها جبرائيل عليه السلام ثم دفاعها عن وليدها في مقابل موقف المنكرين واتهامهم لها بالسّوء.

فضلاً عن ذلك فقد ذكرت السّورة تفاصيل للبيئة المحيطة كالمحراب والنّخلة التي لجأت إليها وطعامها وشرابها: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ۝ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ

صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾[١].

كذلك فصّلت في أحوالها النفسيّة وخوفها من ردود فعل النّاس من خلال الحوار الذي دار مع جبرائيل عليه السلام بقولها: ﴿فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً﴾[٢] وانتهاء ذلك الحدث بصمت النّاس أمام نطق الوليد[٣] بقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾[٤].

فهذا الحشد من التفصيلات للقصّة لم يُذكر في سورة آل عمران وإنما مرّت بها الآيات سريعاً، مما يكشف أن الغرض في هذه السّورة يقتضي ذكر التفاصيل لتتناسب أحداث القصّة مع غرضها المُراد منه، فجاءت التفاصيل متناسبة مع الحدث وفي الوقت نفسه تخدم غرض السّورة، فالموضوع في السّورتين مختلف والغرض كذلك والسّياق، في سورة آل عمران اقتضى الإيجاز في قصّتها بينما اقتضى التفصيل في سورة مريم.

٤ – ارتباط القصص وتناسقها في السّورة الواحدة

تشتمل بعض سور القرآن الكريم على عددٍ من القصص، وتؤدّي تلك القصص وظيفةً ترابطية إذ تتصل بالبناء العام للسورة وغرضها الكلّي، فورود القصص في سياق السّورة الواحدة يعني أنها جاءت متسقة مع ما تطرحه السّورة من الأفكار، وهي مع كونها جزءاً من السّورة، فهي في الوقت نفسه وسيلة فنيّة لإنارة الأفكار ولا تأتي القصص مستقلةً عن بعضها أو منفصلةً بل انها ترتبط مع بعضها بوشائج شديدة

(١) مريم: ٢٥ – ٢٦.

(٢) مريم: ٢٣.

(٣) ظ: د. محمود البستاني، قصص القرآن دلالياً وجمالياً: ١/ ١١٥ وما بعدها، و: ١/ ٤٧٠ وما بعدها.

(٤) مريم: ٣٠.

الاتصال وإن اختلفت في أحداثها وأشخاصها وبيئتها وهي من جانبٍ آخر تنتظم في الإطار الفكري للسّورة.

ففي سورة الكهف مثلاً وردت أربع قصص تختلف فيما بينها في الأحداث والأشخاص لكنها ترتبط مع بعضها من جانب وتتسق مع السّورة كاملةً من جانب آخر، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار إن السّورة تطرح في مقدمتها العنوان العام أو الموضوع الرئيسي لها وهو المتمثل بقوله تعالى:﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[١] فهذه الآية تتحدث عن وظيفة الإنسان على الأرض واختبار الله له﴿... لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾من خلال الحياة الدّنيا التي لا قيمة لها، إذ بفنائها ستصبح الأرض جرداء ولا أثر لها﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾[٢].

واستدعى ترسيخ هذا المعنى في الأذهان طرح مجموعة من القصص تدور حول الفكرة ذاتها، وتوظيف هذه القصص بكل تفصيلاتها المختلفة لخدمة هذا المضمون.

فالقصّة الأولى لأصحاب الكهف وهم الفتية المؤمنون الذين اعتزلوا قومهم وتركوا زينة الحياة الدنيا ولجأوا إلى كهفٍ بعيدٍ معزول مجرد من كلّ أثرٍ من آثار زينة الحياة الدّنيا في دلالة على نبذهم لها وعدم اكتراثهم بها مع أنهم كانوا قبل ذلك من ذوي المكانة الرفيعة في السّلطة.

والقصّة الثانية هي قصّة صاحب الجنّتين الذي أخذه الغرور بما يملك من زينة الحياة الدّنيا وزخرفها حتّى أدّى به هذا الإغترار إلى إنكار السّاعة وقيامها، فهذه القصّة تعرض صورة مُضادّة للصورة الأولى، فالموقف السّلبي الذي وقفه صاحب

---

(١) الكهف: ٧.

(٢) الكهف: ٨.

الجنتين بقوله متباهياً مُفتخراً على صاحبه ظهر بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً۝ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً﴾[1] فالقصّة قامت ايضا على فكرة زينة الحياة الدّنيا مع اختلاف الأشخاص والحدث والموقف. وفي المُقابل صورة للإنسان المؤمن الذي وعظه بقوله: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً۝ لَّكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً۝ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً۝ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾[2] واتضحت الصّورة في النّهاية القاتمة للجنتين فشكلت حلقة وصلٍ بين مقدمة السّورة التي بيّنت أن زينة الحياة الدّنيا أمر فانٍ سرعان ما ينتهي ويُصبح ﴿صَعِيداً زَلَقاً﴾ فارتبطت هذه القصّة مع سابقتها بالعنصر الفكري للسّورة، ولكنها اختلفت في الأحداث.

وجاء قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً﴾[3] تعقيباً وتأكيداً على المعنى ذاته وهو المحور الفكري الذي قامت عليه السّورة.

وتناولت القصّة الثالثة شخصيّةً أخرى وأحداثاً رافقتها ارتبطت ايضا بمحور السّورة، وهي شخصيّة ملَكَت شرق الأرض وغربها – وهو ذو القرنين – لكن مع هذا

---

(١) الكهف: ٣٤ – ٣٦.

(٢) الكهف: ٣٧ – ٤٠.

(٣) الكهف: ٤٥.

المُلك العظيم والنفوذ الواسع: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾(١) إلّا أنه لم يغترَّ بها ولم تشغله عن وظيفته الأساس في الحياة واجتيازه الأختبار الإلهي بنجاح، فقد وهبه الله تعالى من كلّ شيء وسخر له إمكانات كبيرة استطاع من خلالها أن يُذلل كلّ الصّعاب فسخّرها في خدمة الهدف، فهو في كلّ موقف يُذكر الله تعالى، وفي كلّ فعلٍ يؤدّيه يستعين به ولا ينسى قدرة الله تعالى وفضله عليه، فحينما طلب منه القوم أن يبني لهم سُدّاً وقدّموا له مكافأةً على ذلك، فجاء ردّه: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾(٢) وحينما انتهى من بنائه: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً﴾(٣) وذكّرهم باليوم الآخر عندما تتلاشى الأرض ومَن عليها، فلم يُنسه المُلك العظيم وكلّ ما أُوتي من زينة الحياة الدّنيا ذكر الله تعالى واليوم الآخر على عكس ما جاء في القصّة السّابقة لصاحب الجنّتين الذي غرّته الحياة الدّنيا بامتلاكه شيئاً يسيراً لا يكاد يُذكر أمام مُلك ذي القرنين، وهنا ارتبطت القصّتان بعلاقة التضادّ بين الحالتين، في حين ارتبطت بقصّة أصحاب الكهف بعلاقة المُشابهة في نبذ زينة الحياة الدّنيا وزخرفها وعدم الاغترار بها.

أما القصّة الرابعة فهي قصّة النّبي موسى عليه السلام مع العبد الصّالح الذي وهبه الله تعالى علماً: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾(٤) فالسّورة الكريمة أبهمت هذه الشخصيّة وأخفتها عن الآخرين إذ أن موسى عليه السلام ما كان يعرفها، ففي الروايات الواردة بشأن هذه الآيات، جاء في تفسير البرهان عن

(١) الكهف: ٨٤.

(٢) الكهف: ٩٥.

(٣) الكهف: ٩٨.

(٤) الكهف: ٦٥.

ابن بابويه، بإسناده عن جعفر بن محمّد بن عمارة، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد عليه السلام في حديثٍ: أن موسى عليه السلام لمّا كلّمه الله تكليماً وأنزل عليه التوراة وكتب في الألواح من كلّ شيء موعظةً وتفصيلاً لكلّ شيء وجعل آيته في يده وعصاه وفي الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدّم وفلق البحر، وغرق فرعون وجنوده، عملت البشرية فيه حتى قال في نفسه: ما أرى الله عزّ وجلّ خلق خلقاً أعلم منّي فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل: أدرك عبدي قبل أن يهلك وقل له: ان عند مُلتقى البحرين رجلاً عابداً فاتبعه وتعلّم منه.

فهبط جبرئيل على موسى عليه السلام بما أمره ربّه عزّ وجلّ فعلِم موسى عليه السلام أن ذلك لِما حدّثته به نفسه فمضى هو وفتاه يوشع بن نون حتى انتهيا إلى ملتقى البحرين فوجدا هناك الخضر يعبد الله عزّ وجلّ كما قال الله في كتابه: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾(١).

فرافقه موسى عليه السلام وما حصل معهما من أحداث كخرقه السّفينة وقتله الغلام وبنائه الجدار، وما رافق هذه الأحداث من مواقف متصلة بعلاقة موسى عليه السلام بتلك الشخصيّة، فقد يبدو أن لا علاقة بين هذه القصّة وبين ما سبقتها من قصصٍ ثلاث في السّورة إلّا أن التدقيق فيها يكشف عن الصّلة الوثيقة بينها ودورانها حول المحور العام للسّورة المتمثل بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾(٢).

(١) البحراني، البرهان: ٦/ ٢٦٤ ح ٦٧٥٤، و ظ: العياشي، التفسير: ٢/ ٣٥٨، الحديث: ٤٧، و ظ: السيوطي، الدر المنثور: ٥/ ٣١٤ بالمضمون نفسه مع اختلاف في العبارة.
(٢) الكهف: ٧.

فالعالِم الذي بلغ من علمه أن يتبعه نبيّ من أولي العزم ويُجادله فيما فعله من الممارسات التي أنكرها موسى عليه السلام ولم يعرف تأويلها، مع كلّ ذلك لم يُغره علمه الكثير الذي يُمثل زينةً معنوية ومكانةً اجتماعيّة، فإن استجابته لهذه الزّينة قد اختفت تماماً فلم يدعه للزهو ولم يبحث عن التقدير الاجتماعي أو حتى التعرف على ذاته، فكان شخصيّةً مجهولةً، ولولا أن الله سبحانه وتعالى أوحى لموسى عليه السلام باتباعه لم يكن ليكشف النقاب عنها، وهذا وجه من وجوه نبذ زينة الحياة الدّنيا في جانبها المعنوي.[1]

فارتبطت هذه القصّة بالقصص الثلاث الأخرى التي تمثلت زينة الحياة الدّنيا فيها بالجوانب المادّية أو السّلطوية، فالقصص جميعاً قد اشتركت في المحور ذاته ودارت حول الموضوع نفسه والغرض الذي تقصده السّورة، فتواشجت فيما بينها بحيث وُظِفت القصص الأربع بكل تفاصيلها، أحداثها، أشخاصها، مواقفها، بيئاتها، وحتى الحوار الذي كان يدور بين الشخصيات كان له موقعه في كلّ قصّة في إطار الموضوع الرئيس وهو(نبذ زينة الحياة الدّنيا)وتسخير الطاقات في خدمة الهدف الأسمى الذي خلق الله تعالى الإنسان من أجله وأهميته في استخلاف الإنسان وعمارة الأرض، وبهذا تتضح روعة التناسق بين قصص السّورة وأهميتها في تعزيز الفكرة المطروحة في مقدمة السّورة فكانت عنصراً فنياً أسهم في بناء السّورة وتكامل اجزائها.

(١) ظ: محمود البستاني، قصص القرآن دلالياً وجمالياً: ١/ ٣٣٥ وما بعدها.

ثالثاً – الصُّورة الفنيَّة

١ – توظيف الصُّورة في ترابط المعاني.

٢ – ترابط الصُّور المُتعددة في السُّورة.

ثالثاً الصُّورة الفنيَّة

تناولت الدراسات الأدبية جانباً مهمّاً من جوانب النّظم والتأليف وهو موضوع الصورة الفنيّة من خلال قضية ربط اللّفظ بالمعنى، فمنهم من عدّها عملية ذهنية بحتة، ومنهم من يراها محصورة في الإطار الخارجي أو في الشكل، ومنهم من حصرها في مجال التشبيه كتشبيه المحسوسات بالمعنويات أو العكس(١)إلى أن أعطى عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)الدلالة الاصطلاحية للصورة الفنيّة، فعبّر عنها بقوله:(الصّورة إنما هي تمثيل وقياس لِما نعلمه، فعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلمّا رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصّورة فكان بين إنسان من إنسان، وفرس من فرس، بخصوصيته تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك، وكذلك الأمر في المصوغات فكان بين خاتم وخاتم، وسوار من سوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه وبين الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً، عبّرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك)(٢)فقد فرّق بين المعاني لخصوصيّة كل منها كما يُفرَّق بين إنسان وإنسان، وخاتم وخاتم، وسوار وسوار، وهو بهذا قد(أعطى للصورة رؤية جديدة... فالصّورة عنده ليست هي نفس الشيء دائماً هي مميزاته المفرّقة له عن غيره وهذه المميزات قد تكون في الشكل وقد تكون في المضمون لأن الصّورة مستوعبة لهما والنظرة لأحدهما لا بدّ أن تنعكس على الآخر)(٣).

---

(١) ظ: محمد حسين الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني: ٢١ – ٢٢.

(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز:٣٢٣.

(٣) محمد حسين الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني: ٢٥.

ومما لا شك فيه أن للصورة في العمل الأدبي أهمية كبرى في إبراز المعاني حسيّة كانت أم ذهنية بشكل تتظافر فيه الألفاظ مع المعاني لتشكل مزيجاً من الدلالة اللّفظية والمعنوية من خلال علاقتهما اللّغوية والتركيبية والدلالات الإيحائية، فهي(أداة فنيّة لاستيعاب أبعاد الشكل والمضمون بما لهما من مميزات وما بينهما من وشائج تجعل الفصل بينهما مستحيلاً)[1].

وهذا المبحث يتناول الصّورة من حيث كونها وسيلةً فنيّة تحقق التجانس في النّص القرآني عند التعبير عن المعاني، الحسيّة أو الذّهنية، وتجعل من ارتباط الألفاظ بمعانيها أمراً شاخصاً واضحاً فيما تعرضه السّورة الواحدة حيث تُسهم الصّورة مع بقيّة عناصر النّص في بيان الهدف أو الغرض الكلّي للسّورة فتلتفّ كلّ تلك العناصر حول محور السّورة محققةً إنسجاماً وتلاحماً بين مقاطعها مما يجعل النّص القرآني جامعاً لكلّ عناصر تماسك النّص في ألفاظه وتراكيبه وانسجامها مع المعاني والدّلالات في نظم فريد متماسك الأجزاء متلاحم يأخذ بعضها برقاب بعض بشكل لا يرقى إليه أيّ نص آخر.

١ - توظيف الصّورة في ترابط المعاني

تأتي الصّورة في القرآن الكريم بوصفها عنصراً فنيّاً مواكباً للعنصر الفكري ومُلتفّةً حوله مع بقيّة العناصر الأخرى مُحققّةً الغرض الذي ترمي إليه السّورة من خلال محورها الفكري العام ومن خلال ما تطرحه المقاطع من موضوعات ذات صلة بعضها ببعض.

(١) محمد حسين الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني: ٣٦.

ففي بيان القرآن الكريم لقضية الإنفاق نجد أن الآيات القرآنية في السّورة الواحدة تتعاضد مع بعضها في إبراز ذلك المعنى مُستخدمةً الصّورة في ترسيخه وتأكيده بالشكل الذي يكشف ارتباط الآيات ببعضها والتفافها حول الموضوع مُستفيدةً مما تُعطيه الصّورة من أبعادٍ لهذه القضية ففي الآيات الكريمة: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۞ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[١] فالصّورة الفنيّة في الآيتين:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۞ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٢] جاءتا تعززان المعنى الذي طرحته الآيات التي سبقتهما، فعبّرت بشكلٍ دقيق عن حالتي

(١) البقرة: ٢٦١ – ٢٦٥.

(٢) البقرة: ٢٦٤ – ٢٦٥.

الإنفاق ؛ الأولى: رياءً وسمعةً، والأخرى: في سبيل الله ومرضاته.

فالرّياء الذي خالط الصّدقات جعلها(لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرّاً ولا تستنزل رحمةً لأنها امتزجت بها يُفسدها من الرّياء بين النّاس تارةً واختلطت بها يُعكّرها من المنِّ والأذى تارةً أخرى)[1]. فجاء التشبيه بالصّفوان الذي غطّاه التراب فلم ينفع معه المطر الوابل بل حوله الى حجرٍ مُتصلّب زائد في القسوة(فبدلاً من أن يُساق المطر المُنصب عليه في إزالة التراب والقذى المُتراكم وإذا به يزيد الحجر قساوةً ويتصلب به هيكلاً مُتحجراً لا ينقدّ وهكذا عمل الخير فالمفروض أن يُخفف قساوة القلب وعسر النّفس وجفاف الطبع ولكنه قد ضخم الأمر فتراكمت الغلظة وتصاعدت الجفوة لا من عمل الخير ذاتياً بل لأن العمل قد أُشيب بها ليس من قصده فعاد جنساً أخر لا يمتّ إلى المعروف بصلةٍ وتقطعت به الأسباب﴿... فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا...﴾[2].

ثم جاءت صورة أخرى تُقابل الأولى وتضادّها وهي صورة الإنفاق في سبيل الله خالصاً من الشوائب هدفها مرضاة الله تعالى:(فإذا بها حقيقة تُمثل مغاداة الرحمة ومعاودة البركة، والموضوع نفس الموضوع لكن الموضع قد تغيّر فعاد﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ...﴾[3].

فالمُلاحظ أن الآيات التحمت مع بعضها لتأكيد المعنى وترسيخه وأسهمت الصّورة بذلك في تجانس تامّ كحلقةٍ متسلسلة لا تنفصم عُراها، فالألفاظ مُلتفة حول المعاني، والصّورة التشبيهية منسجمة معها تمام الانسجام عمقت الدلالة وأعطت

---

(١) محمد حسين الصغير، الصورة الفنيّة في المثل القرآني:٢٠٤.

(٢) م. ن: ٢٠٤.

(٣) م. ن: ٢٠٥.

بُعداً أغنى الفكرة وأوضح معالمها.

وتأتي الصّورة التشبيهية رابطاً عضوياً بين أجزاء السّورة في مقاطعها المختلفة، ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] جاءت الصورة التشبيهية رابطة بين هذا الجزء من السّورة وبين الأجزاء السّابقة التي تتحدّث عن سلوك بني اسرائيل فشبهت قلوبهم بالحجارة في قسوتها، ثم قدّمت دليلاً فنيّاً على ذلك فبيّنت أن من الحجارة مما قد يتفجر منها الماء أو تنشق فيخرج منها الماء أو قد تخشع من خشية الله بينما بلغت القسوة من قلوبهم أنها لا تتفجر منها الرّحمة بل لا ينبع منها أدنى الرّحمة فضلاً عن عدم خشوعها مُطلقاً من خشية الله.

فالرّبط الفنّي بعنصر الصّورة والقصّة في الآيات التي جاءت بقصص الإحياء والإماتة في قوله تعالى:

١ -: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ٧٣.

٢ -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٢٥٨.

٣ -: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ

(١) البقرة: ٧٤.

بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾البقرة: ٢٥٩.

٤ -:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾البقرة:٢٦٠.

تناسقا في السّورة فأسهم كلّ عنصر في قسم من عملية الربط بين أجزاء السّورة(حين جاء العنصر القصصي رابطاً بين مفهومات(الإحياء والإماتة)و(الإتقاء)التي تُشكل أحد محاور السّورة الكريمة وجاء العنصر الصّوري رابطاً بين الموضوعات المرتبطة بسلوك الاسرائيليين الذين خُصص قسم كبير من السّورة للحديث عنهم)[1].

ولا ينحصر هذا الرّبط بالاجزاء السّابقة فقط أو بين موقف حاضر وموقف سابق بل نجده يرتبط بالاجزاء اللّاحقة لها في الآيات المُتضمنة قضية(الإحياء والإماتة) والتي يفصلها عن الآية السّابقة عدد كبير من الآيات فشكلت الصّورة عنصراً فنيّاً تجانس مع أحداث وموضوعات وقصص السّورة في بيان السّلوك المُنحرف لليهود من خلال التشبيه الذي ذكرته الآية.

وتُمثل الصوّر الاستعارية وجهاً آخر من وجوه هذا العنصر الفنّي الذي يُضفي على الجوامد أو الخواطر حياة، ويمنحها حسّاً وحركة وكأنها شخص آدمي يتحرك وينطق، فتُحدث في النّفس وقعاً وتأثيراً بليغاً.

(١) محمود البستاني، التفسير البنائي للقرآن الكريم:١/ ٥٤.

فقوله تعالى في سورة المُلك في تصوير جهنّم وشدّة سعيرها: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[١]فهي تشهق وتتميّز غيظاً، ومن شدّته تكاد تنفجر، وهذا الجزء من السّورة يأتي في سياق الكلام عمّا أعدّ الله من عذاب الكافرين، فجاء التصوير الاستعاري جزءاً مهمّاً في البناء الفنّي للسورة، فأكسب جهنّم صفةً بشريّة توضيحاً للفكرة وتعميقاً للدلالة التي يهدف إليها، فهي صورة تقريبية لغضب جهنّم إن كان لها أن تغضب.[٢]

وبذلك يتسق مشهد من مشاهد القيامة مع أجواء السّورة عامّة، كان لعنصر الصورة الأثر البالغ في تأكيد المعنى ووضوح الدلالة.

كما تُمثل الصّورة الاستعارية في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٣]والجُنَّة: الستر ؛ فجاءت هذه الآية في سياق الحديث عن المنافقين الذين وصفتهم الآيات السّابقة بأنهم يُوالون قوماً غضِب الله عليهم، وإنهم يحلفون على الكذب، مُتخذين ذلك ستاراً على إضمارهم الكفر خلافاً لِما يُعلنون ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ۝أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

فالوصف الاستعاري الذي أضفى على إيمانهم صفة الجُنّة أو السّتار لسترهم الحقيقة التي تطبع قلوبهم فكأنهم قد جعلوا الحِلف بالله تعالى سِتاراً لكفرهم.

---

(١) الملك: ٧ – ٨.

(٢) ظ: سيد قطب، مشاهد القيامة:٢٠٨، محمود البستاني، التفسير البنائي:٥/ ٦٨ – ٧٠.

(٣) المجادلة: ١٦.

(٤) المجادلة: ١٤ – ١٥.

ثم تلتها الآيات اللّاحقة مُبيّنةً ما سيُلاقي اولئك المنافقون من العذاب الشديد وعندها لن يُغني عنهم شيئاً مما كسبوا، ولن ينفعهم ما كانوا يحلفون بل سيُبعثون وسيحلفون لله كما كانوا يحلفون في الدنيا: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ۞ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ۞اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾[(١)] عندها سينكشف أمرهم وسيخسرون بما استحوذ عليهم الشيطان فجعلهم من حزبه، فانسجمت الصّورة الاستعارية مع بيان أحوال اولئك المنافقين وصفاتهم وإتخاذهم الحِلف بالله – كذباً – ستاراً لِما يدّعون من الإيمان.

فجاءت الصّورة مُتّسقةً مع تلك المعاني، مُبيّنةً لحقيقة اولئك القوم في تناسق تامّ التحمت فيه كلّ أجزاء الآيات مع التفاف الصّورة الاستعارية التي كشفتها الآية حول المعنى.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ۞ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ۞وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ۞ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[(٢)] فقد يبدو لقارئها أن لا ربط ولا جامع بينها ولا توحّدها فكرة، لكنها في الحقيقة لوحة تصوّر مشاهد كونيّة يألفها الإنسان العربي في بيئته، شاخصة لنظره حيثما كان، تناسقت هذه الأبعاد والاتجاهات ما بين السّماء المرفوعة والأرض المُسطّحة، والجبال الشامخة، والجمال البارزة السّنام، يقول الزمخشري(ت٣٨٥هـ): (فإن قلت كيف حسّن ذكر

(١) المجادلة: ١٧ – ٢٠.

(٢) الغاشية: ١٧ – ٢٠.

الإبل مع السّماء والجبال والأرض ولا مناسبة؟ قلت: قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم، فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يَدَّعِ مَن زعم أن الإبل السّحاب إلى قوله ؛ إلّا طلب المناسبة)[١]، فارتبطت هذه الأجزاء لأن هناك وحدةً بين أجزائها لا تتنافر، وهي متوزعةً توزيعاً متناسباً لا يزحم بعضها بعضاً ولا تفقد تناسبها في مجموعها، فالإبل التي خُلقت على نحو مناسب لوظيفتها التي تحقق الغاية من خلقها تُنبئ عن الخالق المُبدع صُنعه، والسّماء المرفوعة بلا عَمَدٍ الممتلئة نجومها بلا عددٍ لم ترفع نفسها بل رفعها مُبدعٍ خلّاق فكلّ شيءٍ يشي بتدبيره وخلقه، والجبال التي هي ملجأهم وملاذهم في تلك الصحراء ومظهره الذي يُوحي للنّفس بالجلال والاستهوال حيث يتضاءل الإنسان أمامها وتتجه النّفس إلى خالقها وتُشعر أنها قريبة إليه انتصبت شامخةً، والأرض سُطّحت أفلا ينظرون إلى مَن سطّحها ومهدها ويسّرها لهم ليمشوا في مناكبها.

فهذه المشاهد كلها مع بعضها شكلت مشهداً كونياً مُتناسقاً تلاقت فيه الخطوط؛ خطّان عموديان في مشهد السّماء المرفوعة والأرض المبسوطة، وخطّان افقيان في مشهد الجبال الرّاسيات الشّامخات والجمال ذات السّنام المنتصبة، وكلها جاءت في لوحةٍ مُتكاملة الصور، غرضها لفت النّظر إلى مَن خلق تلك الظواهر وهو المُستحق للعبادة.

هذا من جانب ومن جانبٍ آخر ارتبط هذا المقطع بمقاطع السّورة التي ابتدأت الحديث عن اليوم الآخر، وانتهت بعملية التذكير فجاء هذا المقطع متوسطاً بين المقطعين السّابقين مرتبطاً بغرض السّورة الذي بيّنته الآية الكريمة: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ

---

(١) الكشاف: ٤/ ٧٤٧.

مُذَكِّرٌ﴾[١]فعملية التذكير اقترنت بالاستدلال على وحدانية الخالق الذي أبدع كلّ تلك الظواهر.[٢]

فاتضح الارتباط العضوي بين المقاطع من خلال ما بيّنته المشاهد وارتبطت بما بعدها وقبلها من أجزاء السّورة.

وفي قوله تعالى:﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ۝ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾[٣]يأتي تصوير هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة في تشخيصٍ للموقف حتى كأنه مشهودٌ منظورٌ، إذ يبرز للخيال مشهد شاخص فاولئك الذين كانوا يُدعون إلى السّجود فلا يستجيبون جحوداً منهم باليوم الآخر وحقيقة وقوعه. فهم الآن يُدعون – وقد أصبح حقيقة أمامهم وشُمّر عن السّاق والسّاعد – إلى السّجود لا أمراً لهم بل توبيخاً وتبكيتاً فلا يقدرون عليه لفوات الأوان وللهول الذي غشيهم وأعجزهم عن الحركة فهم منكسو رؤوسهم خاشعون خشوع ذلةٍ ومهانةٍ وقد كانوا يأبون خشوع العبادة، فالجزاء على وفق ما كانوا يصنعون، فجاءت الصورة مُعبّرةً عن هول ذلك الموقف ومشقته مع ما يُلقيه في نفوس المُكذّبين من خشوع مشوب بالذلّة.

---

(١) الغاشية: ٢١.

(٢) ظ: سيد قطب، في ظلال القرآن: ٦/ ٣٨٩٨، والتصوير الفني في القرآن:١٠٣، و ظ: محمود البستاني، التفسير البنائي للقرآن الكريم: ٥/ ٣٣٢.

(٣) القلم: ٤٢ – ٤٣.

كما ربطت بين السّجود الذي أنكروه في الدّنيا تسليماً به وبين السّجود في اليوم الأخر اضطراراً ولكن لا يقدرون عليه، فوصل بين هذا الأمر وبين موضوع السّورة التي تحدثت عن مواقف المنحرفين بشكل ربط فيه الأجزاء مع بعضها من خلال توظيف الصّورة لتعميق الفكرة وترسيخ الدلالة.(١)

وبهذا نجد أن الترابط بين المعاني أو الأفكار المُتعددة في السّورة الواحدة يأتي احياناً بتوظيف الصّورة لتكون جزءاً من السّياق العام لها إذ إن الربط بين المعاني المختلفة في الآيات تأتي متلائمةً مع السّياق القرآني، فــ(ربط السّياق والمحافظة على الوحدة العضوية في أيّ نصّ من النّصوص عبارة عن وظيفة فنيّة روعي فيها النّسق والنّظم)(٢).

فأسهمت الصّورة في انسجام النّص وترابط أفكاره حول المحور العام فشكّلت عنصراً فنياً مهمّاً في الترابط.

٢ - ترابط الصور المتعددة في السّورة

وتترابط الصّور الفنيّة في السّورة الواحدة ضمن المحور العام للسّورة أو الموضوع الذي تطرحه في مقاطع مختلفة، ففي سورة الحاقّة تجانست صور عدّة طرحتها مقدمة السّورة في إطار الحديث عن اليوم الآخر وموقف المُكذّبين منه، وربطت بين الجزاء الدّنيوي والأخروي فذكرت نماذج من المُكذّبين والمصائر التي صاروا إليها في صور مختلفة، فمنهم مَن أُهلك بالطّاغية وهي الصّيحة، ومنهم مَن أُهلك بالرّيح العاتية: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ۞وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾(٣)وهنا تجانست

---

(١) ظ: سيد قطب، مشاهد القيامة: ٥٨، محمود البستاني، التفسير البنائي:٥/ ٨٧ -ـ ٨٨.

(٢) محمد حسين الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني:٣٧٠.

(٣) الحاقة: ٥- ٦.

صفتا(الطّاغية)و(العاتية)مع هول الموقف وشدّة العذاب الذي حلّ بهم مُذكّراً بهول القارعة وهي من أسماء القيامة التي ابتدأت السّورة الحديث عنها بلفظ(الحاقّة)وهي من أسماء القيامة.

وتأتي صورة قوم عاد الذين أُهلكوا بالرّيح الشديدة الصرّ حتى تركتهم كأعجاز نخل خاوية، لحقتها صورة أُخرى لقوم فرعون والمؤتفكات، ورسمت وقائع هلاكهم بشكلٍ تجانست فيه الصور، أعقبتها بالحديث عن إغراق قوم نوح ونجاة المؤمنين:﴿وَجَاء فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ۝فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً۝ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ۝ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[(١)].

فالمقاطع الأولى من السّورة تضمّنت صوراً عدّة لأقوام مختلفين جمعتهم صفة واحدة هي التكذيب الذي ترتب عليه إهلاكهم، فجاءت الصور مُتجانسةً مع مقدمة السّورة التي تحدّثت عن اليوم الآخر وهوله من جانب، وارتبطت الصّور المتعددة فيما بينها من جانب آخر وتجانست مع سياق النّص مُستهدفةً إيصال الفكرة إلى المُتلقي من خلال استخدام عنصري الرّغبة والرّهبة لتعديل السّلوك، فجاءت صورة المُكذّبين فيمَن أُهلك في مُقابل صورة المؤمنين الذين حملتهم السّفينة لرسم المصير السّلبي والإيجابي للأقوام الماضية.

كلّ ذلك اتسق مع مُقدمة السّورة التي طرحت موضوع القيامة، فارتبط الجزاء الأخروي بالجزاء الدّنيوي لكلا الطرفين، أسهمت الصّورة في توضيح الموقف وتضخيم عنصر القناعة لدى المُتلقي بتهيئة ذهنه لتقبل حقائق أخرى غيبية ستطرحها

(١) الحاقة: ٩ – ١٢.

السّورة في المقاطع اللّاحقة حينما تتناول موضوع السّاعة كما واجه حقائق حسيّة في ما طرحته الصّور السّابقة[١].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ۞وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً۞فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ۞ وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ۞ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ۞ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[٢]فكلّ الصّور التي عرضتها السّورة إنما وُظفت بوصفها عنصراً فنيّاً لإنارة الأفكار التي يستهدف النّص إيصالها إلى المُتلقي وتجانست مع سائر أدوات النّص ملتحمة مع الفكرة الرئيسة التي حامت السّورة الكريمة حولها بشكلٍ يُفصح عن جمالية وإحكام النّص بتلاحم عناصره واجزائه بعضها مع بعض.

---

(١) ظ: محمود البستاني، التفسير البنائي:٥/ ٩٢، وما بعدها في تفسير سورة الحاقة.

(٢) الحاقة: ١٣– ١٨.

الفصل الرابع

(التَّرابط في السُّورة الواحدة)

أولاً – وحدة السُّورة القرآنيَّة.

بين يدي المبحث

١ – ترتيب الآيات ووحدة السُّورة.

٢ – وحدة السُّورة عند العلماء والمُفسرين القدماء.

٣ – بين الوحدة الموضوعيَّة والوحدة العضوية.

٤ – الأُسس التي تقوم عليها وحدة السُّورة.

ثانياً – مظاهر التَّرابط في السُّورة الواحدة.

١ – التَّرابط في الآية الواحدة.

٢ – التَرابط بين مقدمة السُّورة وختامها.

٣ – التَرابط بين مقدمة السُّورة ومقاصدها.

٤ – التَّرابط بين مقاطع السُّورة.

٥ – التَّرابط بين اسم السُّورة ومحورها.

أولاً - وحدة السّورة القرآنيّة

بين يدي المبحث.

١ - ترتيب الآيات ووحدة السّورة.

٢ - وحدة السورة عند العلماء والمفسرين القدماء.

٣ - بين الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية.

٤ - الأسس التي تقوم عليها وحدة السّورة.

بين يدي المبحث

لا شك في أن حسن الكلام انما يكون بالتناسب القائم بين اجزائه والارتباط بين مقاطعه، والقرآن الكريم كتاب الله وهو في حسن التناسق والترابط بالدرجة القصوى حتى عاد كالحلقة المتكاملة بإتصاله وترابط آياته.

هذا الترابط والتناسب بين الأجزاء قد يلحظ في الآية الواحدة بارتباط صدر الآية وفاصلتها، وفي آياتٍ عدة جمعتها مناسبة واحدة استدعت تتابعها مع بعضها في مجموعة من الآيات يختلف عددها فتشكل مقطعاً من السّورة، أو يكون الارتباط بين آيات السّورة كاملة بوصفها كلّاً متكاملاً ووحدة واحدة ذات هدف واحد أو أهداف متضامّة بعضها الى بعض تشكل محور السّورة وعمودها، فتارة تكون السّورة بعدد كبير من الآيات وتحمل موضوعات عدّة، وتارة تكون قصيرة لا تتجاوز ثلاث آيات، وهذا الأمر مرتبط بهدفها، فإذا اكتمل الهدف وتمَّ المقصود اكتملت السّورة، وان كان عدد آياتها قليلاً، والأمر نفسه يُقال في السّور الطويلة والمتوسطة الطول.

ومن هنا فلا بدّ من دراسة السّورة الواحدة كونها تشكل الهيكل العام الذي يربط الآيات ببعضها بروابط دقيقة وأواصر تشدّها بعضاً إلى بعض، كما إن إظهار الاعجاز البياني في القرآن لا يتم بدراسة الأساليب البيانية أو البديعية بشكل متجزىء، ولا بدراسة الألفاظ أو التراكيب في حدود الجمل بل يدرس ذلك ضمن إطار وحدة السّورة وارتباط الآيات وتناسب معانيها.

ان النظر في الصلات الموضعية بين الآية والآية - وهي علاقات تربط الآيات بعضها ببعض - لا يؤدي الى فهم دقيق وصحيح لمقاصد السّورة وانما ينظر الى السّورة بكل اجزائها كونها نصّاً متكاملاً ووحدة واحدة فهي تضم مقدمةً وخاتمةً

وسياقاً موحداً متكاملاً من الآيات وإن تعددت موضوعاتها فانها بالنهاية كلام واحد يتصل أوله بآخره وتأتلف جمله بآياته.

أما الوقوف عند الصلات الجزئية بين الآية وما يجاورها من آيات فإنه يجعل المفسر يقصر نظره على العلاقات الجزئية التي لا تحقق ترابطاً تاماً وفهماً شاملاً للسّورة كلاً لا جزءاً، بينما يؤدي النظر في نظام السّورة الكلي فهماً أعمق وأبعد من ذلك، على أن لتلك العلاقات الجزئية أثراً مهماً فهي تُعين على الكشف عن ارتباط أجزاء السّورة وقضاياها الكلية.

إن دراسة السّورة القرآنية الواحدة تقوم على أساس دراسة شاملة لكل أبعادها من ألفاظ وتراكيب وأساليب بيانية وبديعية، وتوظيف أسباب النزول لمعرفة السياق الذي رافق نزول الآيات، وما مدى اتصال الآية مع آيات السّورة، صوصاً أن بعض الآيات في السّورة الواحدة لم تنزل دفعة واحدة بل يفصل بينها وبين ما يسبقها أو يلحقها فاصل زمني متباعد، أو قد تبدو الموضوعات متباينة في نظر القارئ في حالة ظهور جملة مستقلة في الآية الواحدة، أو أن تبدو بعض الآيات في السّورة الواحدة منفصلة أو مستقلة عن بقية آيات السّورة، لذا يأتي عمل المفسر في كشف الروابط بين هذه الآيات ومعرفة سبب وضعها في هذا الموضع دون غيره، ولا يتأتى ذلك إلّا بمعرفة المحور العام للسّورة وهدفها، فعند ذاك تتضح الصلة بين الآيات ضمن إطار المحور العام وعلاقة كل آية بالآية التي تليها وكل مقطع بالمقطع الذي يليه، والجامع المشترك بينهما هو الهدف أو المقصد الذي ترمي اليه السّورة فتتآلف الآيات والمقاطع، والقصص وغيرها في تكوين وحدة فكرية متكاملة تهدف الى تفاعل المُتلقي معها، ويتحقق بذلك الهدف المطلوب إبلاغه.

١ - ترتيب الآيات ووحدة السّورة

من المعلوم ان ترتيب سور القرآن لم يأتِ على حسب النزول، فقد تقدمت سور متأخرة في نزولها على سور نزلت في أوائل عهد البعثة النبوية، وكذلك ترتيب الآيات ضمن السّورة الواحدة ايضاً لم يخضع للعامل الزمني بل ان النبي ﷺ كان يأمر كُتُاب الوحي بوضع كلّ آية موضعها من السّورة، وقد وردت بهذا الشأن روايات كثيرة، كما أيّد علماء القرآن ذلك، والأدلة التاريخية تؤكد هذا الأمر، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر، جاء عنه ﷺ:

(أتاني جبرئيل فأمرني أن أضع هذه الآية من السّورة﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ...﴾[١]...)[٢].

وكذا الآية:﴿.(وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[٣]فقد روي عن إبن عباس أنه قال:(إنها آخر ما نزل من القرآن، فقال جبرئيل:ضعها على رأس المائتين والثمانين)[٤]فوضعت بين آيتي الربا[٥]والدين[٦].

---

(١) النحل: ٩٠.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند: ٤/ ٢١٨، االعياشي، التفسير: ١/ ٣٤ ح ٥، البيهقي، السنن: ٢/ ٤٢، الزركشي، البرهان: ١/ ٢١٨، السيوطي، الاتقان: ٩٥.

(٣) البقرة: ٢٨١.

(٤) الزمخشري، الكشاف: ١/ ٣٥، الطبرسي، مجمع البيان: ٢/ ٢١٤، السيوطي، الدر المنثور: ٢/ ١١٦.

(٥) البقرة: ٢٧٥ وهي قوله تعالى:﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا...﴾.

(٦) البقرة: ٢٨٢ وهي قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ٤...﴾.

هذا يعني أن ترتيب الآيات أمر توقيفي بأمر الله وليس من ترتيب النبي ﷺ، فقد تتأخر الآية المتقدمة في نزولها على الآية المتأخرة زمانياً بل قد تتقدم الآية الناسخة على الآية المنسوخة في الترتيب القرآني مع العلم أن المنسوخة نازلة قبل الناسخة كما في آية تحديد عدّة المرأة المتوفى عنها زوجها: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]فهذه الآية وضعت في سورة البقرة متأخرة بينما الناسخة لها وضعت قبلها في ترتيب السّورة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2]وكل ذلك يخضع لنظام محكم ترتبت فيه الآيات مع بعضها، وتناسقت فيما بينها فلا بدّ إذاً من أن تكون هناك أسس أخرى غير ترتيب نزولها اقتضى وضع الآيات وترتيبها بهذا الشكل الذي فرضه نظام القرآن الكريم.

وكما أكدت الروايات توقيفية ترتيب الآيات فقد أيدها كثير من العلماء، ومن بينهم: أبو بكر الباقلاني(ت٤٠٣هـ)إذ يقول:(ترتيب الآيات واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا)[3]كما أيّد ابن الحصار(ت٦١١هـ) هذا بقوله:(ان ترتيب السّور ووضع الآيات في مواضعها انما كان بالوحي، كان رسول الله – صلى الله عليه وآله– يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله – صلى الله عليه وآله –

---

(١) البقرة: ٢٤٠.

(٢) البقرة: ٢٣٤.

(٣) الزركشي، البرهان: ١/ ١٨١.

ومما أجمع عليه الصحابة على وضعه هكذا في المصحف)[١]وأكد ذلك ابن الزبير الغرناطي(ت٧٠٨هـ)بقوله:(ترتيب الآيات في سورها وقع بتوقيفه ﷺوأمره من غير خلاف بين المسلمين)[٢].

كذلك ما ثبت من النصوص الدالة على أنهﷺقرأ سوراً عدّة، كسورة البقرة وآل عمران والنساء... وكذلك ما كان يقرؤه في صلاته من سورٍ كسورة الأعراف وسورة الدهر وق والرحمن وغيرها، فضلاً على ما كان يقرؤه من سور في خطبه.[٣]

مما يدل على أنهﷺقد رتب الآيات في عهده بهذا الترتيب وهو أمر يثبت أنه توقيفي لا مجال فيه للإجتهاد، ولا خلاف يُذكر بين العلماء حول هذا الأمر.

إن وضع الآيات في مواضعها الخاصة بها يعني أن للسّورة نظاماً أو هيكلاً عاماً تقوم عليه، وأن أي تغيير فيه بالتقديم أو التأخير يُحدث خللاً في نظم القرآن الكريم ويُخرجه عن حدّ الإعجاز الذي امتاز به، وإن التناسق والتلاحم بين آيات كل سورة هو الذي يكشف هذا النظام على الرغم من النزول المُتفرق للآيات حتى ليُخيلّ لقارئها أن السّورة قد نزلت كلها دفعة واحدة ؛ ولعل هذا هو سر التحدي بسورةٍ واحدةٍ دون آية أو بضع آيات، ولو كانت السّورة لا تشكل نصاً متكاملاً ووحدة واحدةٍ غير مشتتة ولا مفككة لوَجَد المشركون العرب ضالتهم في الطعن بالقرآن الكريم من هذا الباب إذ إنهم أدركوا بفطرتهم وسليقتهم هذا الإحكام في ترابط اجزاء السورة في مقدمتها وخاتمتها مروراً بالموضوعات التي تتناولها – بالرغم من تعددها – وهذا وجه من وجوه إعجازه.

(١) السيوطي، الاتقان: ٩٦.

(٢) البرهان في ترتيب سور القرآن: ١٨٢.

(٣) ظ: السيوطي، الاتقان: ٩٥.

فهذا الترتيب الإلهي يُنبئ عن نظام دقيق يمكن أن تكتشف اسراره العظيمة بتتبع العلاقات بين أجزائه سورٍ وآياتٍ مما يُضفي أبعاداً فنيّة رائعة تنطق بأن القرآن الكريم نصّ واحد متكامل، وهذا النظم والترتيب لا يمكن أن يكون من فعل البشر: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنِدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾[١].

٢ – وحدة السّورة عند العلماء والمفسرين القدماء

ان فكرة وحدة السّورة القرآنية ليست بجديدة، ولكنها أخذت حيزاً كبيراً في الدراسات القرآنية المعاصرة بعدما ظهرت الدعوات الى التجديد في تفسير القرآن الكريم، وظهور مناهج حديثة في التفسير، فلو تتبعنا آراء بعض العلماء والمفسرين نجد أن عدداً لا يُستهان به منهم قد أشار الى التلاؤم والتلاحم بين آيات السّورة الواحدة كالزمخشري(ت٥٣٨هـ)والفيروزابادي(ت٨١٧هـ)فمنهم من وقف على الربط بين الآيات وبيَّن التناسق ما بين المعاني ودقّة النظم كالطبرسي(ت٥٤٨هـ) والرازي(ت٦٠٦هـ)ومنهم من وقف عند أغراض السّورة ومقاصدها كابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)وغيرهم.[٢]

فهم قد أدركوا الوحدة الموضوعية للسّورة وإن لم يُصرّحوا بها لفظاً، وبعضهم حام حول مفهومها، فيما اتخذها آخرون كالبقاعي(ت٨٨٥هـ)أساساً في تفسيره(نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور)أو يتضح ذلك من خلال مؤلفاتهم أو تفاسيرهم، ومن هؤلاء الباقلاني(ت٤٠٣هـ)الذي سبق الى بيانها في حديثه عن الإعجاز القرآني واختلاف القرآن عن كلام الفصحاء من البشر فيُبيّن ذلك بقوله:(وإن القرآن على

---

(١) النساء: ٨٢.

(٢) ظ: زياد الدغامين، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه: ٢٠٧ وما بعدها.

اختلاف فنونه وما يتصرف فيه من الوحدة الكثيرة والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد الى حدّ الآحاد وهذا أمر عجيب تبينُ به الفصاحة، وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حدّ العادة، ويتجاوز العرف)[١].

وقد بيّن وحدة السّورة القرآنية بدراسته لسورتين من سور القرآن الكريم وهما سورة غافر وسورة النمل، فيشير الى الترابط التّام بين أجزاء السّورة ودقّة نظامها، إذ يقول بعد أن فصّل في بيان ارتباط آياتها:(فانظر الى ما جرى له الكلام من علوّ أمر هذا النداء[٢]وعِظَم شأن هذا الثناء وكيف انتظم مع الكلام الأول[٣]وكيف اتصل بتلك المقدمة[٤]كيف وصل بها ما بعدها من الإخبار عن الربوبية، وما دلّ به عليها من قلب العصا حيّةً وجعلها دليلاً يدلّهُ عليه ومعجزةً تهديه اليه)[٥].

ثم يُصرّح بتناسق آيات السّورة ووحدة أجزائها بدّقة، كما دعا الى التأمل والنظر فيها كونها متكامل وليس النظر لجزء دون آخر يقول:(ثم انظر في أية آية، وكلمة كلمة:هل تجدها كما وصفنا، ومن عجيب النظم وبديع الرصف، فكل كلمة لو أُفردت كانت في الجمال غايته، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتْها اخواتها وضامتّها ذواتها مما تجري في الحسن مجراها ويأخذ في معناها، ثم من قصّة الى قصّة ومن باب الى

(١) اعجاز القرآن: ٣٨.

(٢) يريد به قوله تعالى:﴿فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾النمل: ٨.

(٣) أي الآية السابقة:﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾النحل: ٦، فربط بين المقدمة وقصّة موسى عليه السلام.

(٤) أي مقدمة السورة: الآيات: ١ – ٥:﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ... فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾.

(٥) الباقلاني، اعجاز القرآن: ١٨٩.

باب، من غير خلل يقع في نظم الفصل الى الفصل حتى، يصوّر لك الفصل وصلاً ببديع التأليف وبليغ التنزيل)[١].

ثم يُشير الى أن ذلك يشمل القرآن الكريم كله، فيقول:(أَجل الرأي في سورةٍ سورةٍ وأيةٍ آيةٍ، وفاصلةٍ فاصلةٍ، وتدبر الخواتم والفواتح والبوادي والمقاطع ومواضع الفصل والوصل ومواضع التنقل والتحول ثم اقضِ ما أنت قاض)[٢].

فالمتدبر في عباراته يجده يحوم حول فكرة وحدة أجزاء السّورة دون أن يُصرّح بها لفظاً، فهو وإن لم يتخذها منهجاً في النظر في النظم القرآني إلّا أنها تتضح في أثناء كلامه.

أما الرازي(ت٦٠٦هـ)فقد حفل تفسيره بعناية كبيرة بالتناسب بين الآيات وإشارته في مواطن كثيرة الى ذلك، كما قال بوحدة السّورة في القرآن الكريم، ويتبيّن ذلك جليّاً في تفسيره لسورة فصلت، إذ يقول في بيان ارتباط الآية الكريمة:﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٣]وتعلقها بمقدمة السّورة في قوله تعالى:﴿وَ قالُوا قُلُوبُنا في أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَ في آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُون﴾[٤]يقول:(وكل من أنصف ولم يتعسّف علم أنا إذا فسّرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه صارت

(١) الباقلاني، اعجاز القرآن: ١٩.

(٢) م. ن: ١٩٣.

(٣) فصلت: ٤٤.

(٤) فصلت: ٥.

هذه السّورة من أولها الى اخرها كلاماً واحداً منتظماً مسوقاً نحو غرض واحد)[١]فهذه إشارة واضحة تدل على إدراكه وحدة السّورة وارتباط آياتها في نظام واتساق وهي ذات غرضٍ أو هدف واحد.

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى:﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾[٢]وهي من أواخر آيات سورة المرسلات فبعد أن يذكر جميع الآراء يُبيّن ان المتقين المذكورين في هذه الآية هم الذين يتقون الشرك ويذكر أسباباً لترجيحه هذا الرأي، ومنها إن(هذه السّورة من أولها الى آخرها مُرتّبة في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم عليه، فهذه الآية يجب أن تكون مذكورة لهذا الغرض وإلّا لتفككت السّورة في نظمها وترتيبها، والنظم إنما يبقى لو كان هذا الوعد حاصلاً للمؤمنين بسبب إيمانهم ؛لأنه لما تقدم وعيد الكافر بسبب كفره، وجب أن َيقرن ذلك بوعد المؤمن بسبب إيمانه حتى يصير ذلك سبباً في الزجر عن الكفر، فأما أن يُقرن به وعد المؤمن بسبب طاعته فذلك غير لائق بهذا النظم والترتيب)[٣].

وهذه إشارة واضحة جداً على مدى الترابط بين آيات السّورة كلها ووحدتها الفكرية التي بيّنها من خلال إشارته الى النظم والترتيب وتناسق المعاني وترتّبها بعضها على بعض، وهذا هو مضمون الوحدة الفكرية في السّورة الواحدة.

ويرى الشاطبي(ت٧٩٠هـ)وهو من الأصوليين:(أن السّورة القرآنية مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة وأنه لا غنى عن ذلك في

---

(١) مفاتيح الغيب: ٢٧/ ١٣٥.

(٢) المرسلات: ٤١.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب: ٣٠/ ٢٤٩.

أجزاء القضيّة)[١].

ويُبيّن في موضع آخر أهمية النظر إلى الكلام كونه كلّاً واحداً سواء أكان نازلاً في قضيّة واحدة أم تعددت القضايا في السّورة الواحدة، مهما كانت طويلة أو قصيرة فيقول:(ثم إن الكلام المنظور فيه تارة يكون واحداً بكل اعتبار بمعنى إنه أُنزل في قضيّة واحدة طالت أو قصرت، وعليه أكثر سور المفصل، وتارة يكون متعدداً في الاعتبار، بمعنى أنه أُنزل في قضايا متعددة، كسورة البقرة وآل عمران، والنساء، واقرأ باسم ربك وأشباهها، ولا علينا أنزلت السّورة بكمالها دفعة واحدة أم نزلت شيئاً بعد شيئ.

ولكن هذا القسم له اعتباران:اعتبار من جهة تعدد القضايا، فتكون كل قضيّة مختصّة بنظرها، ومن هنا يلتمس الفقه على وجه ظاهر لا كلام فيه، ويشترك مع هذا الاعتبار القسم الأول، فلا فرق بينهما في التماس العلم والفقه.واعتبار من جهة النظم الذي وجدنا عليه السّورة ؛إذ هو ترتيب بالوحي لا مدخل فيه لآراء الرجال، ويشترك معه ايضاً القسم الأول ؛لأنه نظمٌ أُلقي بالوحي، وكلاهما لا يُلتمس منه فقه على وجه ظاهر، إنما يُلتمس منه ظهور بعض أوجه الإعجاز... وجميع ذلك لا بدّ من النظر في أول الكلام وآخره بحسب تلك الاعتبارات، فاعتبار جهة النظم مثلاً في السّورة لا يتم به فائدة إلّا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالإقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما، لا يفيد إلّا بعد كمال النظر في جميعها)[٢].

---

(١) الموافقات: ٣/ ٤١٢.

(٢) الشاطبي، الموافقات: ٣/ ٤١٥ – ٤١٦.

ويمثل لوحدة السّورة – وإن تعددت موضوعاتها – في كلامه بسورة البقرة بقوله:(فسورة البقرة كلام واحد باعتبار النظم واحتوت على أنواع الكلام بحسب ما بُث فيها، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي المطلوب ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم ومنها ما هو المقصود في الإنزال وذلك تقرير الاحكام على تفاصيل الأبواب ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك)[١].

وكذلك قوله في سورة(المؤمنون):(وسورة المؤمنين نازلة في قضيّة واحدة وان اشتملت على معانٍ كثيرة، فانها من المكيات، وغالب المكي انه مقرر لثلاثة معانٍ [تقرير الوحدانية، والنبوة، وإثبات أمر المعاد] أصلها معنىً واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله...)[٢].

فهو قد أصّل للوحدة الموضوعيّة أو الفكرية للسّورة وأكد أن كل سورة تشكل وحدة متكاملة في نظمها وترتيبها، وهو ما يقوم عليه إعجاز القرآن الكريم، ولا يخل بنظمها ووحدتها تعدد موضوعاتها أو تفاوت نزول آياتها، حتى لقد عَدّ سور المفصل مشتركة في موضوعاتها، تمثل كلاماً واحداً، وان الغاية أو الهدف المقصود من السّورة لا يتأتى إلّا بالنظر إليها كونها كلّاً متكاملاً لا تنفصم اجزاؤه عن بعضها ولا تؤدي غرضها إلّا بتلاحمها.

على أن السّابقين من المفسرين المذكورين لم يجعلوا هذا الأمر أساساً في تفاسيرهم، ما عدا البقاعي(ت٨٨٥هـ)الذي يُعد تفسيره قائماً على العلاقات والروابط بين الآيات من جهة وبين السّور ايضاً، فتراه في كل سورة يربط اجزاءها بعضها ببعض

---

(١) م. ن: ٣/ ٤١٥.

(٢) م. ن: ٣/ ٤١٩.

ويُبيّن أغراضها التي سيقت إليها حتى أنه ذكر ذلك في مقدمة تفسيره[١] وبيّن أهمية الترابط في السّورة الواحدة يربط مع النَّص اللاحق.

واستدل بقول البجائي(٨٦٥هـ) الذي عدّه المنهج الذي سار عليه:(والأمر الكلي في عرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو ؛ أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السّورة وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات الى ما يستتبعه من استشراف نفس السّامع الى الاحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف الى الوقوف عليها، فهذا هو الامر الكلي المهيمن على حكم الربط بين اجزاء القرآن، فاذا فعلته تبيّن لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة)[٢].

فالبقاعي اتخذ من وحدة السّورة منهجاً في تفسيره وربط بين اجزاء السّورة الواحدة بالتماس المناسبات بينها والوشائج التي تشدّها الى بعضها.

فكانت هذه الجهود اساساً ارتكزت عليه وحدة السّورة وفتحت الباب للدراسات المتأخرة، فظهرت المؤلفات في هذا الموضوع وبعض تفاسير القرآن الكريم التي اتخذت من وحدة السّورة القرآنية في بنائها وترابط موضوعاتها أساساً في فهم السّورة وتفسيرها.[٣]

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/ ٨.

(٢) البقاعي، نظم الدرر: ١/ ١١.

(٣) ينظر على سبيل المثال: عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، ومحمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ومحمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ومحمود شلتوت، تفسير القرآن العظيم، وسيد قطب، في ظلال القرآن، وسعيد حوى، الأساس في التفسير، وعبد الله محمود شحاتة، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ومحمود البستاني، التفسير البنائي، وبحوث متفرقة في تفسير

٣ – بين الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية

في تحديد وحدة السّورة يُطرح سؤال:هل وحدة السّورة عضوية أو موضوعية؟ فالوحدة الموضوعية في أي نصّ تعني:أن النّص يدور حول موضوع واحد فقط، أما الوحدة العضوية فالمراد منها:أن تترابط الاجزاء وتتماسك وتتلاحم كما تتلاحم سبيكة الذهب، ولا تشهد التفكك وتقطّع الأوصال والاجزاء.(١)وهذا يعني وجود صلات وروابط بين أجزاء النّص تربطها الى بعضها فتلتحم اجزاؤه، سواء أشكلت موضوعاً واحداً أم موضوعاتٍ مختلفة، بينما الوحدة الموضوعية تقوم على أساس وجود أمرٍ جامع مشترك أو إطار عام يربط بين الأجزاء تدور حوله الأجزاء والمقاطع.

والسّورة القرآنية الواحدة تشكل نصّاً متلاحم الأجزاء يرتبط بعضه ببعض، وقد تبيّن ذلك في الفصول الأولى من الرسالة في أسس وعلاقات الترابط ؛لفظية كانت أم معنوية تعني أن كل جزء ارتبط بالأجزاء بعلاقة ما شكلت ارتباطاً عضوياً بين الأجزاء، كما ترتبط آيات السّورة ومقاطعها من جانب آخر بالمحور العام للسّورة أو الاطار الجامع الذي تشترك فيه تلك المقاطع فيجمعها موضوع مشترك تدور حوله آيات السّورة ومقاطعها.

فاذا قلنا بالوحدة الموضوعية بمعنى ان تتناول السّورة موضوعاً واحداً فهذا أمر وارد وواضح في بعض السّور خاصّة القصار منها كسورة(الكافرون)و(الاخلاص) و(اللهب)وغيرها، فكل سورة منها ذات موضوع واحد تدور حوله ومن جانب آخر

بعض السور من القرآن الكريم ضمن الدراسات القرآنية، ظ: محمد حسين علي الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم(سورة الزخرف)ومصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي(سورة الكهف) وغيرهم.

(١) ظ: علي آل الشيخ، التدبر الموضوعي في القرآن: ٤٧٧.

ترتبط الآيات ببعضها ارتباطاً عضوياً ضمن اطار ذلك الموضوع الواحد.

وإذا قلنا بالوحدة العضوية بمعنى تلاحم الاجزاء لوجود روابط بينها أو صلات جزئية فهذا الأمر وارد ايضاً في سور القرآن الكريم فلا يمكن الفصل بين الأمرين لأن الوحدتين كلتيهما تشكل معاً وحدة واحدة تؤدي بالنهاية الى تماسك النّص القرآني وتلاحم اجزائه وتحقق الهدف أو الغرض المقصود من السّورة.

وإذا كانت الدراسات الأدبية تَعُد الفصل بينهما في النّص الأدبي البشري شعراً كان أم نثراً أمراً يُخل بتكامله وتناسقه(وإن من الخطأ الفادح محاولة الفصل بين الشكل والمادة في حديثنا عن القصيدة وبدلاً من ذلك يجب التحدّث عن الترابط والتكامل الديناميكي... وان الوحدة عملية داخلية في بنية القصيدة، أما التنوع في عناصرها فهو تعدد في إطار الوحدة الكلية تعدد يخضع لنوع من التوازن ودرجة من النظام)[1] وان ما يجمع بين اجزاء النّص هو العلاقة الفكرية التي(توفر الترابط في القصيدة وتطور موضوعها، أو تتطور من الموضوع بنسق معيّن)[2] فكيف بنص تميّز بتفرّده وتفوقه على كل النّصوص فالأمر يتأكد أكثر من ذلك.

فالسّورة القرآنية اذاً هي نص واحد مرتبط عضوياً وموضوعياً وإن تعددت موضوعاتها، أو انتقلت السّورة من موضوع الى آخر فلا بدّ من وجود اتصال بين الموضوعات، ولا بدّ من علاقة تجمع بينهما في ظل محور السّورة العام، فإن قلنا بوجود الوحدة الموضوعية فهذا لا ينفي وجود الوحدة العضوية، لأن ترابط الأجزاء يصبّ بالنهاية في ترابط الموضوع الأساس في السّورة، فلا خلاف في كون السّورة تقوم على الوحدتين مع تعدد موضوعاتها، فهي كلام واحد متصل أوله بآخره وبالعكس،

(١) بسام قسطوس، وحدة القصيدة في النقد الأدبي الحديث: ٣٥.
(٢) م. ن: ٤٢.

وهذا ما سيتضح من خلال الأمثلة التطبيقية عند البحث في مظاهر الترابط في السّورة الواحدة.[١]

٤ – الأسس التي تقوم عليها وحدة السّورة

مما سبق ذكره يتضح أن السّورة القرآنية تشكل نصّاً متكاملاً ووحدة قائمة ترتبط اجزاؤها مع بعضها، ويتوقف فهم الآيات على بعضها، وتقوم هذه الوحدة على أساس بناء الجزء اللاحق على الجزء السّابق بعلاقات ووشائج تشدّ تلك الاجزاء بعضها الى بعض مما يُيسر الفهم من جهة، ويؤكد المعاني، ويؤثر في النفس من جهة أخرى، على عكس تقطيع الأجزاء ومحاولة فهمها منفصلة عن بعضها، أو البحث عن رابطة جزئية أو موضعية بين آية وآية، ولكن توظف تلك العلاقات الجزئية سواء أكانت لفظية أم معنوية بين الآيات لمعرفة المقصد الكلي للسّورة كما توظف العناصر الفنيّة فيها لأنها تُسهم في معرفة ذلك المقصد بالتفافها حول الموضوع وتُعين على إدراك الارتباط بين الأجزاء كافة، ولا بدّ لإدراك هذا الارتباط من معرفة الأسس التي تقوم عليها وحدة السّورة والضوابط التي يجب مراعاتها.

وبالعودة إلى النّص الذي نقله البقاعي(ت٨٨٥هـ)عن شيخه البجائي المالكي (ت٨٦٥ هـ)قوله:(والأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو إنك تنظر الغرض الذي سيقت له السّورة وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات ما يستتبعه من استشراف نفس السّامع الى الاحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع الاستشراف الى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين

---

(١) ظ: المبحث الثاني من هذا الفصل.

جميع أجزاء القرآن.وإذا فعلته تبيّن لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية وفي كل سورة سورة)[(١)] من هنا نفهم أن البقاعي يضع أسساً يُعتمد عليها في دراسة وحدة السّورة وبيان مقاصدها، وهي:

١ – معرفة الغرض الكلي للسّورة، أي البحث عن المحور العام الذي تتناوله السّورة والقصد الذي ترمي اليه، وهذا لا يتأتى إلّا بدراسة السّورة كاملة دون الوقوف عند العلاقات الجزئية بين الآيات فقط.

٢ – البحث في المقدمات التي تستتبعها لوازم وأحكام تقتضي أن يكون الكلام تامّاً متصلاً، بمعنى أن يتم المعنى الذي تبتغيه السّورة دون ان ينتظر المُتلقي بقيّة لهذا الكلام.

٣ – هذا الأمر يستدعي النظر في العلاقات بين الآية والآية فلا يشترط أن يكون الترابط بينها قائماً على التماثل أو الاتحاد والتلازم أو التشابه والتداخل بل يتعدى ذلك الى روابط مختلفة متعددة تجمع بين الآيات كالأضداد أو قد تقترن معاني يجمعها رابط تاريخي أو تجاور مكاني يكون سبباً في اقترانها.[(٢)]

والخلاصة أن ينظر الى النظام العام الذي بُنيت عليه السّورة أولاً، ثم البحث في تفاصيل علاقات الارتباط بينها بما يخدم المفسر في الوصول الى الغرض الكلي للسّورة ومعرفة أهدافها ومقاصدها ليحقق بذلك التفسير الصحيح القائم على فهم شامل لكل السّورة.

---

(١) نظم الدرر: ١/ ١١.

(٢) ظ: أحمد ابو زيد، التناسب البياني في القرآن: ٥.

يقول محمد عبد الله دراز:(لا يتقدم الناظر الى البحث في الصّلات الموضوعية بين جزء وجزء منه – وهي تلك الصلات المبثوثة في مثاني الآيات ومطالعها ومقاطعها – إلّا بعد أن يُحكم النظر في السّور كلها باحصاء اجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معواناً له على السير في تلك التفاصيل على بيّنةٍ فقديماً قال الأئمة[١]:((السّورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره ويترامى بجملته الى غرض كلي واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وأنه لا غنى لمتفهم نظم السّورة عن استيفاء النظر في جميعها كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضيّة))...)[٢]ويعد الوقوف على الصلات الجزئية بين الآيات أمراً قاصراً لأنه لا يوصل الى الفهم الشامل الصحيح للسّورة فيقول:(وبهذا تعرف مبلغ الخطأ الذي يتعرض له الناظرون في المناسبات بين الآيات حين يعكفون على بحث الصلات الجزئية بينها بنظر قريب الى القضيتين أو القضايا المتجاورة، غاضين أبصارهم عن هذا النظام الكلي الذي وضعت عليه السّورة في جملتها، فكم يجلب هذا النظر القاصر لصاحبه من جور عن القصد ؛وكم ينأى به عن أروع نواحي الجمال في النظم...)[٣].

وعبّر بعض العلماء عن الأمر الجامع الذي ينتظم السّورة أو المحور الذي تقوم عليه بالنظام أو العمود:(فهو جماع مطالب الخطاب فإليه مجرى الكلام وهو المحصل والمقصود منه، فليس من اجزائه الترتيبية ولكنه يسري فيه كالروح والسر، والكلام شرحه وتفصيله، وانتاجه وتعليله، وربما يحسن اخفاؤه فلا يطلع عليه إلّا بعد استيفاء

(١) ظ: كالنيسابوري، والرازي، وابو بكر بن العربي، والبقاعي، والشاطبي، والنص للشاطبي، الموافقات: ٣/ ٤١٢.

(٢) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم: ١٥٨.

(٣) م. ن: ١٥٩.

الكلام والتدبر فيه)[١].

وتأسيساً على ذلك يقول في موضع آخر:(وبالجملة مرادنا بالنظام أن تكون السّورة كلاماً واحداً ثم تكون ذات مناسبة بالسّورة السّابقة واللاحقة... كما قدمنا في نظم الآيات بعضها مع بعض... وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في اجزائه من الأول الى الآخر)[٢].

فالنظام هو الذي يُعطي السّورة وحدتها التي تصير بها سورة كاملة مستقلة بنفسها ذات عمود تجري اليه اجزاؤها.[٣]

فالأساس الذي تقوم عليها السّورة القرآنية - كونها نصّاً متكاملاً منسجماً لا اختلاف فيه ولا انفصال بين اجزائه - هو الأمر الكلي للسّورة أو غرضها الرئيس وهذا لا يعني انه يقف في مقابل العلاقات الجزئية ولكنه ينتج من تواشج بين الاجزاء يتجاوز حدّ الجمل والآيات بما يسمح للمفسر بطرح إمكانات متعددة للفهم وفضاءات أرحب في التفسير.[٤]

---

(١) عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام: ٧٣.

(٢) م. ن: ٧٥.

(٣) ظ: م. ن: ٧٦.

(٤) ظ: سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في البنية والدلالة: ٩٣، وظ: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان: ٨٨ وما بعدها.

ثانياً – مظاهر التَرابط في السُّورة الواحدة

١ – التَّرابط في الآية الواحدة.

٢ – التَّرابط بين مقدمة السُّورة وخاتمتها.

٣ – التَّرابط بين مقدمة السُّورة ومقاصدها.

٤ – التَّرابط بين مقاطع السُّورة.

٥ – التَّرابط بين اسم السُّورة ومحورها.

١ - التَّرابط في الآية الواحدة

تمثل الآية اللّبنة الأساسية في تكوين السّورة، وترتبط أجزاؤها سواءٌ أكانت مفرداتٍ أم جملاً بروابط تشدّ بعضها إلى بعض، فتأتي المفردات مُنتقاة بعنايةٍ وكلّ في مكانها المناسب من الآية، وأحياناً تتشابه بعض المفردات في آيةٍ مع آيةٍ أخرى في السّورة نفسها أو في سورة أخرى بحسب ما يقتضيه السّياق الذي وردت فيه، أو قد تأتي كلمة بتصريفٍ مختلف عمّا وردت في غيرها فيكون الارتباط لفظياً أو تركيبياً، لكن المجال الأوسع لادراك الترابط بين أجزاء الآية الواحدة لفظاً ومعنىً هو الفاصلة، ولا يخفى ما لها من أهميّة في ارتباطها بصدر الآية فالفاصلة تأتي مراعاةً لما يقتضيه التعبير والمعنى فضلاً عن الانسجام والايقاع الموسيقي لها.

فالفاصلة عند الرماني(ت٣٨٦هـ)تختلف عن السّجع، فهي(حروف متشاكلة في المقطع توجب حُسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة والسّجع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها)[١]وتابعه على هذا التعريف الباقلاني(ت٤٠٣هـ)بقوله:(الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني)[٢]وسُمّيت فواصل تمييّزاً لها من السّجع الذي كان شائعاً على ألسنة الكُهّان فليس القرآن الكريم سجعاً:(لأن السّجع يتبع المعنى فيه اللّفظ الذي يؤدّي السّجع وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السّجع من القرآن، لأن اللّفظ يقع فيه تابعاً للمعنى وبين أن يكون منتظماً دون اللّفظ، ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السّجع كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى)[٣]وفي الوقت نفسه ليست قوافي(إذ

---

(١) النكت في إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ٨٩.

(٢) إعجاز القرآن: ٢٧٠.

(٣) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي)، الاعجاز البياني للقرآن: ٢٥٥.

استبعدوا تسميتها بالقوافي تكريماً للقرآن بأن يُقاس على منظوم الشعر)[١].

ويتسع مجال البحث في موضوع الفاصلة، إذ يحتاج الكلام فيها إلى بحث مستقل لكثرة التفصيلات والتفريعات[٢]بما لا يسمح البحث بالاحاطة بها في فقرة واحدة، إلّا أن ما يهم موضوع علاقة الفاصلة بالترابط سيقتصر على دراستها بقدر ما تكون وسيلة لكشف الترابط في الآية الواحدة والعلاقات التي تنطوي عليها.

قال الزركشي(ت٧٩٤هـ):(إعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، إيقاع الشىء فيها بما يُشاكله، فلا بدّ من أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلّا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر ومنه ما يُستخرج بالتأمل الّلبيب)[٣].

وغالباً ما تأتي الفاصلة مُتضمّنة للأسماء الحسنى كـ:(العليم، الحكيم، الغفور، الرحيم، السّميع، البصير، وغيرها)أو أن تُحيل قضاياها إلى العقل وتُحثّه على التفكّر والتدبّر فيها(لعلهم يتفكرون، يعقلون، يتدبرون)وقد حصر الزركشي ائتلاف الفاصلة ومشاكلتها لصدر الآية في أربعة وجوه:

الأول: التمكين ؛ وهو أن يُمهّد قبلها تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها مُستقرة في قرارها مطمئنة في موضعها غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كلّه تعلّقاً تامّاً بحيث لو طُرحت لاختلّ المعنى واضطرب الفهم كقوله تعالى:﴿وَرَدَّ اللَّهُ

---

(١) محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ١٤٣.

(٢) ظ: الزركشي، البرهان: ١/ ٥٩، وما بعدها، السيوطي، الاتقان: ٤٥٣ وما بعدها، و ظ: محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن الكريم، فصّل الكلام في جميع جوانبها.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٧٤.

الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[١].

فلو انتهت الآية عند قوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أن الريح[٢] كانت سبب رجوعهم ولم يبلغوا ما أرادوا وان ذلك امراً حدث اتفاقاً، فلما أكد ذلك بقوله: ﴿وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾ ليُبيّن لهم ويزيدهم تعييناً على أنه هو الغالب الممتنع بالعزّة والقوّة.[٣]

وكذلك قوله تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٤] فارتبطت الفاصلة ﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ بصدر الآية في تخصيصه تعالى لذاته بصفة الكمال فان كلّ من أدرك شيئاً كان خبيراً به (لأن المُدرك للشيء قد يُدركه ليخبره ولما كان الأمر كذلك أخبر سبحانه أنه يُدرك كلّ شيء)[٥] فخصص الأبصار بالإدراك ارتباطاً بالفاصلة لأن اللّطيف ما لا يُدرك بالبصر فناسب قوله (لا تدركه الأبصار) والخبير يُناسب ما يُدركه البصر[٦] فجاءت الفاصلة مُنسجمة تماماً مع صدر الآية.

وقوله تعالى: ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٧] جاء التقابل بين المفردتين (أُحكمت) (حكيم) و (فصلت وخبير) فالإحكام ربط

(١) الاحزاب: ٢٥.

(٢) نزلت في غزوة الأحزاب إذ أرسل الله ريحاً أكفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم، ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ٨/ ١٢٤.

(٣) ظ: الزركشي، البرهان: ١/ ٧٤.

(٤) الأنعام: ١٠٣.

(٥) الزركشي، البرهان: ١/ ٧٥، وظ: الزمخشري، الكشاف: ٢/ ٥٢.

(٦) ظ: السيوطي، معترك الأقران: ١/ ١٣٣.

(٧) هود: ١.

بعض الشيء ببعضه الآخر وإرجاع طرف منه إلى طرف آخر بحيث يعود الجميع شيئاً واحداً بسيطاً غير ذي أجزاء، والتفصيل إيجاد الفصل بين اجزاء الشيء بعضها ببعض، فالكتاب الموصوف بهاتين الصفتين أي إن آياته نظمت نظماً رصيناً لا يقع فيه خلل ولا نقص كالبناء المُحكم المرصف[١](فكأنه قال: أُحكمت آياته من لدن حكيم، وفُصلت من لدن خبير عالم بكليات الأمور)[٢].

وقد تشكُل بعض الفواصل فيُتوهم أنها لا تتفق مع مقدمة الآية وأن ليس بينهما ارتباط واضح، لكن بالتدبّر في الآية أو من السّياق يتضح وجه الارتباط، فقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣]فصدر الآية يتحدّث عن المغفرة فيُوهم أن الفاصلة ستكون(الغفور الرحيم)بينما جاءت بقوله:(العزيز الحكيم):(لأنه لا يغفر لمن يستحق العقاب إلّا مَن ليس فوقه أحد يردّ عنه حكمه فهو العزيز، لأن العزيز في صفات الله هو الغالب، ووجب أن يُوصف بالحكيم، لأن الحكيم من يضع الشيء في محلّه والله تعالى كذلك... وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته)[٤]أي إن تُعذبهم فانهم عبادك وأنت المتصرف المطلق الحقيقي وكلّ تصرف منك حكيم وان تغفر لهم فأنت العزيز الذي لا ينقص من عزّه شيء بترك العقوبة لمن عصاه، فالحكيم في كل ما يفعله من عذاب أو مغفرة.[٥]

---

(١) ظ: الطباطبائي، الميزان: ١٠/ ١٣٠.

(٢) الرازي، مسائل من غريب آي التنزيل: ١٤٤.

(٣) المائدة: ١١٨.

(٤) الزركشي، البرهان: ١/ ٨٠.

(٥) ظ: الرازي، مسائل الرازي من آي التنزيل: ٨٠.

الثاني: التصدير ؛ وهو أن يتوافق لفظ من الفاصلة مع لفظ في صدر الآية، فهو ردّ العجز على الصدر وهو بمنزلة التكرار اللّفظي كقوله تعالى:﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[١]فوافقت الفاصلة(افترى)صدر الآية(لا تفتروا)وكأنها جاءت تأكيداً لما ورد في مقدمة الآية.

ومنه ايضا قوله تعالى:﴿لَّكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً﴾[٢]فأكد مضمون الشهادة بشهادة الله على ما شهدت به الملائكة.

وكذلك قوله تعالى:﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾[٣]فجاءت لفظة(غفاراً)مرتبطة بصدر الآية الذي تحدث عن الأمر بالاستغفار تأكيداً لأهميته.

فالتصدير وإن كان ارتباطاً لفظياً لكنه يعكس ارتباطاً في النّص بالتقاء طرفي الآية التقاءً مُحكماً بتكرار اللفّظ في شدّ أجزاء الآية آخرها بأولها.

ثالثاً: التوشيح ؛(ويُسمّى به لكون الكلام يدل على آخره، فنُزّل المعنى بمنزلة الوشاح، ونـزّل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح، لهذا قيل فيه: ان الفاصلة تُعلَم قبل ذكرها)[٤].

وهذا النوع من الارتباط معنوي على عكس سابقه، إذ ترتبط فيه معاني الآية بين صدرها وفاصلتها مع تناسب إيقاعي، فيخرج الكلام مرتبطاً مُتماسكاً بين

---

(١) طه: ٦١.

(٢) النساء: ١٦٦.

(٣) نوح: ١٠.

(٤) الزركشي، البرهان: ١/ ٨٣.

بدايته ونهايته كقوله تعالى:﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾[١] فلفظ(مظلمون)جاء متناسباً مع صدر الآية إذ إن مَن انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال فالظلام نتيجة لذلك الانسلاخ.

ومنه ايضا قوله تعالى:﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٢]فالاصطفاء هو الاختيار ومن المعلوم أن هؤلاء الأنبياء إنما اختارهم الله وفضّلهم على العالمين إذ انهم من جنسهم، فارتبطت الفاصلة بمقدمة الآية ارتباطاً يُؤكد المعنى بعلاقة الجزء - وهم المُصطفون - بالكل وهم العالمون.

رابعاً: الإيغال ؛ وفيه يتجاوز المُتكلم المعنى المتقدّم في صدر الآية بشكلٍ يزيد عن الحدّ فكأنه يبالغ فيه أو يتجاوز الحدّ ويزيد عليه حتى لو بلغ منتهى الكلام فانه يتعداه بزيادة تؤكد المعنى[٣]وهو(خَتْم الكلام نثراً كان أو نظماً بما يُفيد نكتة يتم المعنى بدونها)[٤].

فالمعنى في صدر الآية تام لكن الفاصلة تأتي لتزيد في تأكيده وتعميقه وترسيخ الفكرة فقوله تعالى:﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[٥]فقد تمّ المعنى بقوله:(وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء)ثم جاءت الفاصلة بدلالتها المعنوية لتحقق ترسيخاً للمعنى وتعميقاً له بقوله(إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ)فانه تعالى(لما أخبر عنهم أنهم صمّ لا يسمعون أراد تتميم المعنى بذكر توليتهم في حال الخطاب لينفي عنهم الفهم الذي

---

(١) يس: ٣٧.

(٢) آل عمران: ٣٣.

(٣) ظ: الزركشي، البرهان: ١/ ٨٤.

(٤) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢١٦.

(٥) النمل: ٨٠.

يحصل من الاشارة، فان الأصم يفهم بالاشارة ما يفهم السّميع بالعبارة... ثم ان التولي قد يكون بجانب من لحاظه بالجانب الآخر فيحصل به ادراك بعض الاشارة، فجعل الفاصلة(مدبرين)ليُعلم أن التولّي كان بجميع الجوانب بحيث صار ما كان مُستقبلاً مستدبراً فاحتجب الُمخاطَب عن الُمخاطِب أو صار من ورائه، فخفيت عن عينه الاشارة كما صَمّ أذناه عن العبارة فحصلت المبالغة من عدم الإسماع...)[١] فالزيادة هنا معنىً جديد يضع المعنى قبل الإيغال في أفق أوسع فيضيف الإيغال اليه ما تجاوز الاخبار إلى الإيحاء المؤثر المؤكد للمعنى في النّفس.[٢]

وتختلف الفاصلة في بعض الآيات المتشابهات – التي تتفق في مقدمتها وتختلف في فواصلها في كلّ موضع – بحسب السّياق الذي تأتي فيه، فيكون ترابط المعنى في مقدمة الآية وفاصلتها هو الذي يستدعي ذلك الاختلاف بين الآيات المتشابهة فقوله تعالى في سورة النحل:﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهّ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهّ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]وقال في سورة إبراهيم:﴿... وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهّ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٤] فبالعودة إلى سياق الآيات السّابقة لهذه الآية في سورة النحل نجد أن الكلام كان عند تعداد نِعَم الله على الإنسان ورحمته ولطفه بخلقه، فجاء ذكر الأنعام ومنافعها وإنزال المطر من السّماء، وذكر منافع الزروع والثمرات، وتسخير الشمس والقمر والنجوم وتعداد النِّعم في البر والبحر مما لا تُعدّ ولا تُحصى، فناسب ذلك تأكيد المغفرة، بينما كان سياق الآيات في سورة إبراهيم يتحدث عن الكافرين الذين بدّلوا نعمة الله، وجعلوا له أنداداً، مُذكّراً لهم بنِعمه التي جحدوها، فناسب أن يصف الإنسان

(١) الزركشي، البرهان: ١/ ٨٥.

(٢) ظ: محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب في علوم القرآن: ٤٩.

(٣) النحل: ١٨.

(٤) إبراهيم: ٣٤.

بالظلوم الكفّار.[١]

وكذلك قوله تعالى:﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢]وقال تعالى:﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

ووجه تغيّر الفاصلة بين الآيتين مع أنهما متشابهتان في ألفاظهما: أن الآية الأولى جاءت في سياق الحديث عن كفّار مكّة وفعلهم مع رسول الله ﷺ من التضييّق عليه والإخراج من مكّة فأمر الله بقتالهم ووعد بتعذيبهم وخزيهم والنّصر عليهم وشفاء صدور مَن آمن، فقال:﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[٤]ثم قال:﴿وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَن يَشَاءُ﴾[٣] أي ؛ مَن أسلم منهم بعدما صدر من اجتهاده في الأذى والصدّ عن سبيل الله، ثم قال:(وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)أي بالقتال، حكيم في طي ما جرى من ذلك كلّه بتقديره السّابق له.

أما الآية الثانية فجاءت في سياق الحديث عن غزوة حُنين عندما تولّى بعض المسلمين مُدبرين وأُعجبوا بكثرتهم فلم تُغن عنهم شيئاً، فخُتمت الآية بقوله تعالى:(aaوَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)تأنيساً وبشارةً بتوبة الله على ما وقع منهم من الفرار رحمة منه تعالى، فجاءت الفاصلة في كل موضع بما يُناسب ويُلائم السّياق.[٥]

---

(١) ظ: الغرناطي، ملاك التأويل: ٢٨٨.

(٢) التوبة: ١٥.

(٣) التوبة: ٢٧.

(٤) التوبة: ١٤.

(٥) ظ: الغرناطي، ملاك التأويل: ٢٢٦.

وأحياناً يتقدّم لفظ ويتأخر آخر مما حقّه التقديم في صناعة الإعراب فالأمر مقصود في ذلك، مراعاة للنسق وللاختصاص، عناية منه بالمتقدم، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[١] فقد تقدم المفعول به في الآيتين، وهو اليتيم في الأولى والسّائل في الثانية، فلم يقتصر الأمر على مهمّة الانسجام الصّوتي والوقع الموسيقي في ترتيب الفواصل، بل للتخصيص والعناية بالمتقدم.[٢]

وقد تكون الفاصلة في آية يتقدم فيها أحد الأسماء الحسنى على آخر، وفي أخرى يأتي عكس ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣] بينما قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

فقدّم العلم على الحكمة في سورة يوسف، وقدم الحكمة على العلم في سورة الأنعام ذلك لأنه في سورة يوسف تقدم قوله: (وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ) وهذا موطن علم فقدَّم العلم لذلك، وفي الأنعام موطن تشريع فقدم الحكمة لذلك.[٥]

ومن الملاحظ أنه حيث اجتمع الإسمان (العليم والحكيم) في سورة الأنعام قدّم الحكيم على العليم، وحيث اجتمعا في سورة يوسف قدّم العليم على الحكيم، لأن

---

(١) الضحى: ٩ - ١٠.

(٢) ظ: محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القرآن: ١٤٦.

(٣) يوسف: ٦.

(٤) الأنعام: ١٣٩.

(٥) ظ: الزركشي، البرهان: ٣/ ٢٥٤.

مواطن يوسف كلها مواطن علمٍ ومواطن الأنعام مواطن حكمة أو حكم فقدم(الحكيم) مما يدلّ على أن كلّ كلمةٍ إنما وُضعت مقصودة قصداً.[١]

وفي سورة الليل، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولى﴾[٢]تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن:(هنا ملحظ بياني هو العدول عمّا هو مألوف من تقديم الأولى على الآخرة، وليس التعليق برعاية الفاصلة هو الذي اقتضى تقديم الآخرة هنا على الأولى، وإنما اقتضاه المعنى في سياق البشرى، والنذير، إذ الآخرة خير وأبقى، وعذابها أكبر وأشدّ وأخزى وأبقى، وإن الآخرة هي دار القرار... وكذلك قُدمت الآخرة على الأولى في سياق البشرى للمصطفى عليه الصلاة والسّلام بآية الضحى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى﴾[٣]كما قُدمت الآخرة في سياق الوعيد لفرعون إذ أدبر وتولّى: ﴿ فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولى﴾[٤]بآية النازعات)[٥].

وبهذا نجد ان الارتباط بين فاصلة الآية وصدرها ارتباط وثيق ولا تأتي الألفاظ إتفاقاً أو مراعاةً للنسق الموسيقي على حساب المعنى ولا العكس فتؤدّي الفاصلة وظيفتها في الربط المعنوي والصوتي[٦]بشكل دقيق بحيث لو بُدّلت لفظة من موضعها بغيرها ما كانت لتؤدّي المعنى المُراد بينما تأتي في موضع آخر فتؤدّي معنى آخر يناسب ما سبقها غير ما أدّته في سابقتها، وكلّ ذلك يأتي بحسب ما يقتضيه السّياق والنّسق الموسيقي بشكلٍ لا يطغى أحدهما على الآخر فكلّ يؤدّي دوره في النّظم القرآني بكلّ دقّة ونظام.

---

(١) ظ: فاضل السامرائي، التعبير القرآني: ٢٢٧.

(٢) الليل: ١٣.

(٣) الضحى: ٥.

(٤) النازعات: ٢٥.

(٥) التفسير البياني: ٢/ ١١٢.

(٦) نوقش الجانب الصوتي في الفاصلة في الفصل السابق.

٢ - الترابط بين مقدمة السّورة وخاتمتها

من مظاهر ارتباط أجزاء السّورة الواحدة ما يكون بين مقدمتها وخاتمتها من علاقة وثيقة تُشير إلى ان النّص القرآني مُحكم السّبك متين النّسج متلاحم الأجزاء.

ولا بدّ في البدء من التمييّز بين فواتح السّور ومقدماتها، فمقدمة السّورة تختلف عن خاتمتها، وحصر العلماء فواتح السّور بعشرة أنواع من الأساليب، هي:

الحمد والتّسبيح والثناء على الله، والنداء، والقَسَم، والشّرط، والأمر، والاستفهام، والدعاء، والتعليل، والجمل الخبرية، وحروف التّهجي.[١]

اما المقدمة فهي الموضوع أو الفكرة الرئيسة التي تطرحها السّورة وتشكل تمهيداً موجزاً لِما سوف يأتي من تفصيلات في الآيات والمقاطع اللّاحقة حتى إذا انتهت وأدّت وظيفتها تأتي آيات الخاتمة لتجمع خلاصة الأفكار المطروحة فتربطها بشكلٍ دقيق ومنطقي مع مقدمة السّورة لتصل النهاية بالبداية فتضع الغرض الرئيس التي تهدف اليه بين يدي المُتلقي.

يقول أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ):(وقد تتبعت أوائل السّور المطولة فوجدتها يُناسبها أواخرها بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء... وذلك من أبدع الفصاحة حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله، وهي عادة العرب في كثير من نظمهم، يكون أحدهم آخذاً في شيء ثم يستطرد منه إلى شيء آخر وهكذا طويلاً ثم يعود إلى ما كان آخذاً منه أولاً)[٢].

---

(١) ظ: الزركشي، البرهان: ١/ ١٢٠، السيوطي، الاتقان: ٤٦٧.

(٢) البحر المحيط: ٢/ ٣٧٨، في كلامه عن مناسبة مقدمة سورة البقرة وخاتمتها.

وغالباً ما تكون الُمناسبة بين مقدمة السّور وختامها واضحة لا تحتاج إلى بيان، كما هو الحال في السّور التي تبدأ بذكر القرآن الكريم أو الكتاب، تختتم بذكره ايضا كسورة هود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر، إذ تبتدئ سورة الحجر – مثلاً – بقوله تعالى: ﴿الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ۞ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۞ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۞ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۞ وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[١].

فالحديث هنا عن القرآن الكريم وموقف المشركين الُمعاندين الذين كذّبوا بالقرآن الكريم وبالرسول ﷺ وسَخِروا منه واتهموه بالجنون، وهذا في المقدمة ونجد خاتمة السّورة في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ ۞ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۞ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِّ إِلـهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[٢] متناسبة تماماً مع المقدمة، فحينما كان يضيق صدر رسول الله ﷺ بما كانوا يفترونه عليه من اتهامه بالجنون يأتي وعد الله له بأنه سيكفيه الُمستهزئين والُمفترين، فما عليه إلّا الصبر[٣] والالتجاء إلى الله والتوكل عليه.[٤]

(١) الحجر: ١ – ٦.

(٢) الحجر: ٩٢ – ٩٨.

(٣) ظ: الرازي، مفاتيح الغيب: ٢٩/ ٨٩، والبقاعي، نظم الدرر: ٨/ ١١٨، والبستاني، التفسير البنائي: ٥/ ٩٠.

(٤) ظ: السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١/ ٦٦، وابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير: ٢٩/ ١٠٧، ومصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي: ٧٥.

ومثل ذلك في سورة القلم إذ جاء في مقدمتها قوله تعالى:﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ۝ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[1]وختمها بقوله تعالى:﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾[2]وهنا ارتبطت الخاتمة بالمقدمة أشدّ الارتباط حينما عادت لتؤكد المعنى المذكور في أول السّورة، فهو كما يسمونه في علم البديع ردّ العجز على الصدر، ولكنه لا يُسمَّى كذلك بالنسبة للقرآن، فذلك في الشعر بأن يؤتى بالصدر بكلام يُعاد نفسه تقديماً وتأخيراً في العجز.

وتتضح المناسبة بين مقدمة السّورة ومختتمها بوجود علاقة جامعة بينهما كما في سورة(المؤمنون)فقد افتتحت بقوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[3]وجاء في خاتمتها:﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[4]فعلاقة التّضاد التي جمعت بينهما واضحة، ذلك أن المؤمنين موصوفون بالفلاح في أولها بينما وُصف الكافرون في آخرها بضدّه أي بعدم الفلاح.[5]

وفي سورة القصص إذ تبتدئ السّورة بذكر أمر موسى عليه السلام ونصرته وقوله:﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[6]وخُتمت بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بألّا يكون ظهيراً للكافرين:﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ

(١) القلم: ١ – ٢.
(٢) القلم: ٥١ – ٥٢.
(٣) المؤمنون: ١.
(٤) المؤمنون: ١١٧.
(٥) ظ: الزمخشري، الكشاف: ٣/ ٢٠٩، والسيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: ٥٦، والغماري، جواهر البيان في تناسب سور القرآن: ٦٧.
(٦) القصص: ١٧.

فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ﴾(١) وتسليته عن إخراجه من مكّة ووعده بالعودة إليها: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(٢) ارتبط بقوله تعالى في أول السّورة: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(٣).

فالترابط واضح بين أمر موسى عليه السلام وأمر النبيّ صلى الله عليه وآله من جهة التشابه أو إلحاق النظير بنظيره، فكما أنعم الله على موسى عليه السلام بردّه إلى أمه، وَعَدَ الله رسوله صلى الله عليه وآله بالعودة إلى مكّة.(٤)

وفي سورة الأنعام التي تبتدئ بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾(٥) وجاء في خاتمتها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللهِّ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٦) فناسب بين البدء والختام حينما ذكر أن الكافرين بربهم يعدلون، أما هو فلا يعدل بربه أحداً، فهذا التلاؤم بين التعبيرين يُشعر وكأن الآيتين آية واحدة مُتصلة ببعضها، بالاضافة الى أن هناك تشابهاً في الأسلوب من حيث التقديم والتأخير، فقد جاء متعلق(يعدلون)متقدماً في التعبير الأول، وهو قوله تعالى(بربهم)وكذلك تقدم

(١) القصص: ٨٦.

(٢) القصص: ٨٥.

(٣) القصص: ٧.

(٤) ظ: الزركشي، البرهان: ١/ ١٣٢، السيوطي، الاتقان: ٢٥٢، ومراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: ٥٨.

(٥) الأنعام: ١.

(٦) الأنعام: ١٦٤.

مفعول(أبغي)وهو قوله(أغير الله)وذكر في الخاتمة(وهو ربّ كلّ شئ)في حين قال في المقدمة(خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور)في إشارة إلى خالق السماوات والأرض وجاعل الظلمات والنور الذي هو رب كلّ شيء.[١]

وتتضح الصّلة بين مقدمة السّورة ونهايتها في سورة(الجمعة)متمثلة برباط عضوي بينهما، فقد أشارت المقدمة إلى فضل الله تعالى بقوله:﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهَّ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُّ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٢]وبعد أن تناولت السّورة موضوعاتها واستكملتها جاءت الخاتمة مرتبطة بما في المقدمة بقوله تعالى:﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهَّ وَاذْكُرُوا اللهَّ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣](فهذا الربط بين مقدمة السّورة ونهايتها يُبيّن مدى الإحكام الهندسي للسّورة الكريمة)[٤].

ويتضح الترابط المُحكم بين خاتمة السّورة ومقدمتها جليّاً في سورة القيامة، حيث جاءت الآية:﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[٥].

فهذه الآية مرتبطة بأول السّورة وهو القسَم بيوم القيامة، ومرتبطة بقوله تعالى:﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾[٦]ومرتبطة بقوله تعالى:﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[٧](ذلك أنه مجزى عن عمله ولا يُترك سدىً بل سُيعاقب على

---

(١) ظ: فاضل السامرائي، التعبير القرآني: ٢٥٢.

(٢) الجمعة: ٤.

(٣) الجمعة: ١٠.

(٤) البستاني، التفسير البنائي: ٥/ ١٧.

(٥) القيامة: ٣٦.

(٦) القيامة: ٣.

(٧) القيامة: ١٣.

فعله)[١].

كما يتبيّن الترابط الـدلالي في التعبير عن المعنى بين المفتتح والمُختتم في قوله تعالى:﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[٢](إذ قال ويل بالرفع ولم يقل ويلاً بالنّصب، ذلك لأنه بالرفع جملة اسميّة وبالنّصب جملة فعليّة * فأخبر أن لهم عذاباً دائماً لا ينقطع... ولو قال(ويلاً)بالنّصب لكان إخباراً بالعذاب غير الدائم... ثم قال في آخر السّورة:﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[٣]فأخبر أن أبوابها مغلقة عليهم لا تنفتح إلى دوام العذاب وخلوده)[٤]فالترابط هنا جمع بالاضافة إلى المعاني المشتركة الترابط القائم على توظيف الفعل دلالة على استمرارية العذاب ودوامه.

وهكذا نرى أن الارتباط بين الخاتمة والمقدمة ليس أمراً عابراً اقتضته ضرورة فنيّة بل انه يأتي ليؤدّي وظيفة تفسيرية يكشفها ذلك الترابط بين آيات وموضوعات المقدمة والخاتمة، ومن خلال العلاقات بينها يتضح المعنى المُراد إيصاله للمُتلقي، والهدف الذي تبتغي وضعه بين يديه ليصل إلى فهم مُراد الله تعالى من آياته، وهذا الأمر لا يقتصر على السّور الطويلة فقط، بل وحتى القصيرة منها، ولا تتخذ علاقات الترابط شكلاً واحداً بل تتعدد حسب ما يقتضيه الحال، وهذا يكشف ايضا وجهاً إعجازياً يُنبئ عن الإحكام والاتقان في بناء السّورة القرآنية.

---

(١) فاضل السامرائي، لمسات بيانية: ٢٣٤.

(٢) الهمزة: ١ ا الدلالة الاسم على الثبوت، والفعل على الحركة والتغيير.

(٣) الهمزة: ٨ – ٩.

(٤) فاضل السامرائي، التعبير القرآني: ٣٣.

٣ - الترابط بين مقدمة السّورة ومقاصدها

تُعدّ مقدمة السّورة أول ما يقرع سمع المُتلقي، وقد جاءت مقدمات سور القرآن الكريم بأفضل ما يُفتتح به من براعة الاستهلال ومن تلخيصٍ لموضوع السّورة أو مقاصدها في المقدمة التي تُمثّل تمهيداً لما ستطرحه من موضوعات في الآيات اللّاحقة، فهي تضع بين يدي المُتلقي موجزاً للفكرة الرئيسة التي سوف تدور حولها موضوعات السّورة إذ(إن الكثير أو الغالبيّة من السّور الكريمة يمكن التنبؤ بموضوعاتها من خلال المقدمة التي تستهلّ السّورة، حيث تطرح المقدمة بنحو مُجمل موضوعاً أو أكثر، يأخذ تفصيلاته فيما بعد، أو يتكرر في مواضع متقاربة أو متباعدة من النّص، حيث نجد بعض السّور تحوم كلها على ما طرحته المقدمة من أفكار، ونجد بعضها تحوم - غالبيتها - على ذلك، ونجد بعضاً ثالثاً يكرر موضوع المقدمة في مواقع متنوعة من النّص... ولعلّ الكثير من السّور القرآنية تخضع لهذا النّمط الأخير من البناء ؛ أي طرح(الموضوع)في المقدمة ثم طرح عشرات الموضوعات المستقلّة خلال النّص، إلّا إن موضوع المقدمة يتسلل بين حين وآخر إلى هذا الموضع أو ذاك من النّص ليصل بين أجزائه المتباعدة)[1].

وكمثال على الترابط بين مقدمة السّورة ومقاصدها(سورة الأحزاب)حيث طرحت موضوعين في مقدمتها، أحدهما:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾[2] والآخر: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ

---

(١) محمود البستاني، المنهج البنائي في التفسير: ٢٢.

(٢) الأحزاب: ١.

قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[١]وبين الموضوعين ترابط منهجي قويم، حيث طالب الأول بعدم إطاعة الكافرين، والآخر عرض لموضوع الأسرة والعلاقة ضمنها، ووجه الترابط بينهما هو: إنكار العلاقة المزدوجة بين الحب والكراهيّة في آن واحد(مَّا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...)وكذلك ما جعل الله الزّوجة التي يُظاهر الرجل منها(أُماً)في آنٍ واحد، وما جعل الله(الْمُتبَّنى)إبناً للرجل في الآن ذاته... فقد وصل النّص بين موضوعي المقدمة من خلال نفي(الازدواجية)في الحب والكراهيّة في الزوجة والأم والدّعي والابن.

فهذان الموضوعان وردا في المقدمة، لكن انعكاسهما على غالبية السّورة واضح، حيث يتجه النّص إلى أحداث غزوة الخندق حينما تحزّب الكافرون والمنافقون ضدّ المسلمين، ثم يتجه إلى علاقة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مع أزواجه، كما تعرّضت السّورة بعد ذلك للطلاق... ثم مخاطبته صلى الله عليه وآله وسلم بإحلال الزوجات له، ثم يعرض إلى آداب الدخول إلى بيته صلى الله عليه وآله وسلم ثم أحكام الحجاب.[٢]

ثم يُجسّد الموضوع الآخر بالحديث عن الكفار والمنافقين، بقوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً﴾[٣]الذي سبق أن أشارت إليه الآية الأولى في مقدمة السّورة، وتستمر بعد ذلك في الموضوع ذاته إلى آخر السّورة: ﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[٤].

---

(١) الأحزاب: ٤.

(٢) ظ: محمود البستاني، التفسير البنائي: ٥/ ٢٤.

(٣) الأحزاب: ٦٠.

(٤) الأحزاب: ٧٣.

ويتبيّن من خلال ما تحدّثت عنه السّورة أنها تدور حول الموضوعين المُشار إليهما في المقدمة(الكفار والمنافقين)و(الأسرة ونطاقها)مع أن النّص قد طرح موضوعات أخرى سريعة لا تتجاوز آيات معدودة كالإشارة إلى اليوم الآخر والجزاء، وذكر الله وتسبيحه وعرض الأمانة على السماوات والأرض، ولكن الموضوعين الرئيسين أخذا الحيّز الأكبر ضمن آيات السّورة في ترابط واضح بين الموضوعات الرئيسيّة والثانوية ومُجمل ما دعت إليه السّورة سيجد المُتلقي أثره الكلي متلخصاً بين أحكام الأسرة وجهاد الكفار والمنافقين، تربطهما علاقة واحدة هي علاقة(الحب)للطرف الأول، و(الكراهية)للطرف الثاني.(١)

(وهكذا يتبيّن أن لكلّ سورة من سوره [القرآن الكريم] شخصيّة مميّزة، شخصيّة لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حيّ مميّز الملامح والسّمات والأنفاس، ولها موضوع رئيس أو عدّة موضوعات رئيسة مشدودة إلى محور خاص، ولها جوّ خاص يُظل موضوعاتها كلها، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معيّنة تحقق التناسق بينها وفق هذا الجوّ، ولها إيقاع موسيقي خاص، إذا تغيّر فإنما يتغيّر لمناسبة موضوعيّة خاصّة... وهذا طابع عام في سور القرآن جميعاً)(٢).

وبهذا نجد أن العلاقات والروابط بين أجزاء السّورة الواحدة تأخذ أشكالاً متعددة تتشابك فيه تلك الأجزاء بشكلٍ مُحكم لتؤدّي الغرض الذي تهدف إليه وتحقق المقصود والمطلوب، فكل جزءٍ يأخذ بحجزة الجزء الآخر دون أن يكون لزمان نزول الآية أو الآيات أو أسبابها أثر حتى لتبدو لقارئها وكأنها نزلت متتابعة من دون أن يؤثر الفاصل الزّمني – مهما تطاول – في ذلك الترابط ولا يُخلّ بالوحدة الموضوعيّة

(١) ظ: محمود البستاني، المنهج البنائي في التفسير: ٢٤ – ٢٦.
(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن: ١/ ٢٨.

للسورة، فنجد اجزاءها تتآلف، وتُبرز السّمة المميزة للسورة ومحورها أو محاورها التي تدور حولها.

٤ - الترابط بين مقاطع السّورة الواحدة

كثيراً ما تتناول السّورة الواحدة موضوعات مختلفة تُعالج قضايا عدَّة وقد تبدو كأنها أفكاراً مُشتتّة رُتّبت بعضها إلى جنب بعض، لكن التّدبر في علاقات الارتباط بينها يكشف ان السّورة وإن تعددت مقاطعها وتنوعت موضوعاتها إلّا ان كل مقطع منها يُفضي إلى الآخر ويرتبط به ارتباطاً شديداً، يجمعها محور واحد.

ان ارتباط المقاطع بعضها ببعض يُنبئ عن نظام مُتكامل مُخطط له بدقّة تتابع فيه وتنشدُّ الى بعضها في تدرّج في الموضوعات دون تشتت أو تداخل بين كلّ جزءٍ إنما لكلّ جزءٍ موقعه المناسب من السّورة، وفي الوقت نفسه فهو مرتبط بما سبقه أو لحقه وكلّها تنضوي تحت الاطار العام ويجمعها السّياق، إذ له دور كبير في فهم النّص وبيان وجوه ارتباطه، وتماسك أجزائه، وبدونه لا يُمكن إدراك ما فيه من تلاحم المعاني وانسجام الأفكار وترتّبها على بعضها، فالسّياق بمعناه الواسع يشمل السّياق المقالي والسّياق المقامي وبدون ذلك يُصبح فهم النّص بكلّ أبعاده أمراً صعباً أو قد تبدو مقاطعه عبارة عن أجزاء مُشتتّة من الأفكار المتنوعة المجتمعة بشكل عشوائي لا يجمعها جامع ولا يتوافر فيها عنصر التّجانس، فطريقة القرآن الكريم في طرح الموضوعات متفردة تَميّز بها عن أي نصّ آخر، فهو ينتقل بين موضوعات السّورة انتقالاً قائماً على أسس وعلاقات منطقيّة مختلفة تجمع كلّ المقاطع إلى بعضها وتتصل ببعضها فتشكّل نصّاً كاملاً يرتبط بهدف السّورة الكلي.

وإذا كان نظم الكلام يقوم على العلاقة بين الألفاظ وحُسن ارتباطها بالمعاني(فالسّياق يبحث في الدلالات المعنوية في مساق واحد ومدى انسجامها فيما بينها بحيث تُشكّل قطعة موضوعيّة من الحقائق العقدية أو التشريعيّة أو الآفاقيّة والكونيّة بما يُحقق للإنسان درب الهداية والفلاح ومدى ترابط المعاني وتتابعها في طريق واحد إلى غاية محددة)(١).

ان ترابط المعاني المتتابعة من خلال السّياق يكشف مدى الترابط بين المقاطع وإن اختلفت الموضوعات التي تتناولها، وهذا الأمر يتجلى من خلال شبكة العلاقات المعنوية التي تنتظم أجزاء السّورة فيستعين به الُمفسّر في تفسير السّورة كاملة وفي ترجيح أحد الاحتمالات التي قد تُفهم من خلال الألفاظ أو التراكيب فهذه العناصر وحدها لا تكفي في الفهم الصحيح، يقول ابن القيم(ت٧٥١هـ):(وينبغي ان يُتفطن هاهنا لأمر لا بدّ منه وهو أنه لا يجوز أن يُحمل كلام الله عز وجل ويُفسّر بمجرد الاحتمال النّحوي الاعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقام غلَطَ فيه أكثر الُمعربين للقرآن فإنهم يُفسرون الآية ويُعربونها بما يحتمله تركيب الجملة ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق، وهذا غلط عظيم يقطع السّامع بأنه مُراد القرآن، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر وكلام آخر فانه لا يلزم ان يحتمله القرآن...)(٢).

فالسّياق قرينة مهمّة لفهم مُراد الله تعالى من كلامه وحمله على المعنى الصّحيح ثم يقول:(فالسّياق يُرشد إلى تبيّين الُمجمل وتعييّن المحتمل والقطع بعدم احتمال غير الُمراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهذا من أعظم القرائن الدالة على

---

(١) المثنى عبد الفتاح، نظرية السياق، دراسة تأصيلية نقدية: ١٨.
(٢) بدائع الفوائد: ٣/ ٢٣.

مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته)[١].

فالاعتماد على ارتباط المعاني بعضها ببعض ضمن النّص يُعين كثيراً في التفسير خاصّة إذا لم يجد المُفسر ما يُسعفه من نصوص فيلجأ إلى السّياق فيحلل المقاطع مستفيداً مما بينها من روابط وعلاقات ضمن إطار السّياق الذي وردت فيه، فالصلة بين علاقات الترابط والسّياق علاقة تكامل فالأُولى تكشف عن وجوه ارتباط المقاطع بعضها ببعض فيما يكشف السّياق وجه الارتباط العام بينها أو أنه يُشكل الاطار الكلي الذي يجمع بين تلك العلاقات.

فقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ۝ يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[٢]هذا المقطع جاء متعلقاً بما سبقه من مقاطع أخرى تناولت موضوعات مختلفة في الإنفاق فقد سبقته آيات تتعلق بالصدقات، وهو قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ۝ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ۝ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[٣]وهذا الجزء من الآية مرتبط ارتباطاً موضوعياً ومنهجياً بما بعده بخطاب الذين آمنوا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ

---

(١) بدائع الفوائد: ٤/ ٩.

(٢) البقرة: ٢٧٥ – ٢٧٦.

(٣) البقرة: ٢٦١ – ٢٦٣.

تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]وخلصت الآيات بعد هذا كلّه إلى ضرب الأمثال فيما يتعلّق بالموضوع ذاته لتتجلى وحدة الهدف الفنّي والتشريعي معاً في قوله تعالى:﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ۝يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ۝ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ۝ يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[2]بعد هذا العرض المنبّه إلى طبيعة الإنفاق فيما يخصّ الانسان ذاته، والله غني حميد غير محتاج إليه، يقرر القرآن الكريم في هذه السّورة حقائق الإنفاق من وجهات عديدة تكون فيها تمامية الموضوع الذي أكدت عليه السّورة، فقال تعالى:﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ۝ إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ۝ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ۝

(١) البقرة: ٢٦٤ – ٢٦٥.

(٢) البقرة: ٢٦٦ – ٢٦٩.

لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١].

فما الذي يجمع بين الصّدقات والربا مع العلم ان كلاً منهما يُضادّ الآخر، فالسّياق الجامع بينهما هو إنفاق المال وكيفيّة التعامل معه، إما بتوظيفه فيما ينفع النّاس أو على العكس من ذلك لأن الربا هو:(أخذ بلا عوض كما إن الصدقة إعطاء بلا عوض، والآثار السيئة المترتبة على الربا تقابل الآثار الحسنة المترتبة على الصدقة تحاذيها من غير تخلّف واستثناء، فكل مفسدة منه يحاذيها خلافه من المصلحة منها لنشر المحبّة والرحمة وإقامة أصلاب المساكين المحتاجين ونماء المال وانتظام الأمور واستقرار الأمن والنظام في الصدقة وخلاف ذلك في الربا)[٢]إذ كشفت علاقة التضادّ والتقابل الصلة بين الربا والصدقة، ووجه الربط بين المقطعين في سياق واحد تبعتها آيات الدَّين:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ

---

(١) البقرة: ٢٦١ – ٢٧٤.

(٢) الطباطبائي، الميزان: ٢/ ٤١٢، و ظ: محمود البستاني، التفسير البنائي: ١/ ١٣١.

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ۝وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[١] والدّين أمر متعلق بوجه من وجوه إنفاق المال يرتبط بالظاهرتين السّابقتين الربا والصدقات، والارتباط واضح بينهما فالربا يستتبعه أخذ الزيادة من المدين فيعسّر عليه أداءه بينما تحث الآية على إنظار المُعسر، بل الأفضل التصدّق عليه فجاءت هذه المقاطع مرتبطة ببعضها ضمن سياق واحد ترتبط بعضها ببعض بعلاقات مُحكمة.

ويتجلّى الأمر أكثر في ارتباط مقاطع السّورة كاملة ضمن إطار واحد يجمعها تترتب فيه المقاطع إلى بعضها ترتيباً منطقياً يجمعها السّياق الذي يشدّ المقاطع بعضها إلى بعض يتمثّل ذلك في سورة الممتحنة فالسّورة تتألف من مقاطع عدّة وتُعدّ نموذجاً لترابط المقاطع على الرغم من الاختلاف في أسباب نزول كلّ مقطع ومكانه والحوادث التي رافقت ذلك لكنَّ الارتباط بين مقاطعها يُشعر كأنها قد نزلت دفعة واحدة فالآيات الأولى منها وهي قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ...﴾[٢] نزلت في العام الثامن من الهجرة بشأن حاطب بن أبي بلتعة[٣] وكان قد كاتب قريشاً يُخبرهم

(١) البقرة: ٢٨٢ – ٢٨٣.

(٢) الممتحنة: ١ – ٩.

(٣) ويكنى أبا محمد، وهو من لخم أحد بني راشدة، شهد بدراً والحديبية، بعثه النبي ﷺ الى المقوقس صاحب الاسكندرية، وهو من الرماة المذكورين من أصحاب النبي ﷺ مات بالمدينة سنة(٣٠هـ)وهو ابن

بتأهب النّبي صلى الله عليه وآله لغزو مكّة، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يحاول الإخفاء.

وتتعقب هذه الآيات آيتان بشأن سُبيعة الأسلميّة[١]، وكانت قد أتت النّبي صلى الله عليه وآله مُهاجرة تاركة زوجها الكافر، فجاء في طلبها فاستعصمت بالنّبي صلى الله عليه وآله وصادف مجيؤها عقب صلح الحديبية في السنة السّادسة للهجرة، أي بعد أن عاهد النّبي صلى الله عليه وآله قريشاً على ردّ كلّ من يأتيه من مكّة مسلماً، فأخذ بمحاجة النبيّ صلى الله عليه وآله قائلاً: أردد عليَّ امرأتي أما شرطت لنا، وهذه طينة الكتاب لم تجفّ، فتحرّج النبيّ صلى الله عليه وآله في أمرها فنزلت الآيتان[٢]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[٣].

وبعد هاتين الآيتين جاءت آية بشأن مبايعة النّساء عام الفتح أي في السنة التاسعة للهجرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلَا

خمس وستين، ظ: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٣/ ٨٤، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١/ ٣٧٤.

(١) سبيعة بنت الحارث، صحابيّة روت عن النبي صلى الله عليه وآله حديثاً، وهي أول إمرأة أسلمت أثر العقد وطي الكتاب ولم تخف، فنزلت آية الامتحان، فامتحنها النبي صلى الله عليه وآله وردّ على زوجها مهر مثلها وتزوجها عمر بن الخطاب، وقيل هي سبيعة بنت الحارث غير سبيعة المتقدمة التي روى عنها ابن عمر، ظ: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٢٤، ابن عبد البر، الاستيعاب: ٤/ ٤١٤، ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة: ٨/ ١٧٣.

(٢) الواحدي، أسباب النزول: ٢٣٦.

(٣) الممتحنة: ١٠ – ١١.

يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَّ إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

فآيات هذه السّورة تدور حول محور واحد يتضح من خلال تتبع مضامين الآيات، فمقدمتها جاءت يقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللهَّ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾[٢]موضوعها إطار العلاقات بين المسلمين وأعدائهم على كافة المستويات فردية كانت أم اجتماعية، أو على صعيد الجماعة أو الطائفة، ومضمونها أن العدو لا يمكن أن يُتخذ ولياً ولا يمكن أن يكون بينه وبين المسلمين مودّة، لأن الولاية والمودّة ينبغي أن تتمحض لله تعالى وحده.

وعلى الرغم من أن الآية نزلت بشأن أحد المسلمين وكان ما فعله حرصاً منه على سلامة أهله الذين كانوا في مكة إلّا إن القرآن الكريم يُنبه بشكل عام إلى عدم إتباع هذا السّلوك سواءٌ أكان العدوّ غريباً أم قريباً من المسلم، ولذا جاءت الآية: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهَّ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣] وهذه هي الصّلة التي تربط الآيات بعضها ببعض لأنها تُشير بطريقة فنيّة إلى أن المسلم لا ينبغي له أن يُوادّ ويُناصر العدو وإن كان ذا قربى.

ثم تُعرّج السّورة على ذكر إبراهيم عليه السلام والمؤمنين به مع قومهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ

(١) الممتحنة: ١٢.

(٢) الممتحنة: ١.

(٣) الممتحنة: ٣.

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهَّ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهَّ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهَّ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[١].

فقد أشارت إلى الفكرة ذاتها(علاقة المؤمنين بالكافرين)بشكلٍ مُدهش، فبعد أن بيّنت الآيات السّابقة هذا الموضوع قدّمت هذه الآية قصّة إبراهيم عليه السلام مع قومه كنموذج يجعلنا نستخلص منها أن سلوك الشخصيات المُصطفاة يقوم على علاقةٍ خاصّة بالله تعالى تتجاوز كلّ العلاقات الاجتماعيّة بما فيها علاقة الابن بأبيه مثلاً، بحيث ينبغي على المؤمن أن لا يعقد أيّة ولاية ومحبّة مع الكافرين حتّى لو كان أباه.[٢]

وقد أبهمت الآية ولم تحدد من هم المؤمنون مع إبراهيم عليه السلام إذ من المعلوم أنه عليه السلام كان وحده(أُمّة)في مقابل قومه الكافرين بحيث لم يُؤمن معه أحد بما فيهم أبوه آزر.

فمن هم الذين معه، قيل فيهم أنهم الأنبياء ومَن كانت مواقفهم مماثلة لموقف إبراهيم عليه السلام مثل النّبي لوط عليه السلام في موقفه من امرأته، أو نوح عليه السلام في موقفه منها، أو نوح عليه السلام نفسه حينما تخلّى عن ابنه الذي فصّل القرآن الكريم حديثه في سورة هود[٣].

---

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) يرى العلامة الطباطبائي: ان الذي خاطبه إبراهيم عليه السلام بقوله(يا أبت)لم يكن والده وإنما عمّه أو جدّه لأمه أو زوج أمه بعد وفاة والده، ظ: الميزان: ١٤/ ٥٦، وعلى أيّة حال فأياً كان المُخاطب فانه ذو صلة وقربى بإبراهيم عليه السلام.

(٣) ظ: البستاني، التفسير البنائي: ٤/ ٥٣٢.

فبيّن موقف النّبي إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[1].

وهنا ايضا تدور الآية حول العلاقة بين الكافرين والمؤمنين، وهو الهدف الفكري الذي طرحته القصّة وجاء مرتبطاً بالمحور الرئيس الذي تدور حوله موضوعات السّورة، فنرى أن القرآن الكريم قد وظّف القصّة في خدمة الموضوع الرئيس مُلتفّةً حوله بشكلٍ يُحقق الهدف من طرحها في هذا الموضوع من السّورة الكريمة، إذ أكّدت على أن أقرب العلاقات النّسبيّة بين المؤمن والكافر لا تنفع أمام غضب الله، فيأتي قول إبراهيم عليه السلام:(... إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ...)هذه العبارة لها صلة بفكرة السّورة، إذ ترتبط بالآية السّابقة:(لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ...)فقد أشارت الآية بشكلٍ غير مباشر إلى أن دعاء إبراهيم عليه السلام لأبيه من أجل أنه احتمل أن يعدّل سلوكه ويتّجه إلى الإيمان لذلك استغفر له، ولكن قرنه بقوله:(وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ...)لكن عندما تبيّن له عدم صحّة ذلك تبرأ منه.

وهنا نجد التّواصل بين أجزاء السّورة الكريمة وموضوعاتها حول المحور الرئيس الذي طرحته المقدمة.

---

(١) الممتحنة: ٤.

ثم يأتي قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ۞ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(١).

والآيات تدور ايضا حول المحور نفسه، فتستثني الذين لم يُقاتلوا المؤمنين ولم يمارسوا سلوكاً عدائياً تجاههم، وطالبتهم الآية بأن يبرّوهم ويقسطوا إليهم، فالحديث لا يزال متصلاً بالمحور الرئيس الذي يُنظِّم العلاقات بين الطرفين على مستوى الأفراد أو الجماعات قائماً على معيار السّلوك العدائي أو المُسالم، فيتجه النّهي عن التعامل الودّي مع العدو في حال السّلوك العدواني على حين يتجه التعامل الودّي مع السّلوك المُسالم.(٢)

وهنا يتضح أن العلاقات من حيث العواطف العامّة علاقة تنافر بين المؤمن والكافر، وإن تنظيم هذه العلاقة - سلباً أو ايجاباً - من حيث السّلوك العملي مع الكافر على نحو إن أبرز عدوانيّة - فيه - قوبل بمثلها وإلّا فالتعاون بدل التنافر، وهو يرتبط بالمبادرة التي طرحتها السّورة ويتجلّى هنا التلاحم بين مقاطع السّورة بعضها مع بعض.

وفي الآية العاشرة من السّورة يعرض القرآن الكريم موضوعاً يرتبط ايضا بعلاقة المؤمنين بالكافرين من خلال العلاقة الاجتماعيّة خاصّة العلاقة الزوجيّة بين المؤمنين والكفّار.

---

(١) الممتحنة: ٨ - ٩.

(٢) ظ: البستاني، التفسير البنائي: ٤/ ٥٣٧.

فهذه الآية نزلت – كما سبق ذكره – في قضيّة امرأة مسلمة هاجرت وانفصلت عن زوجها المُشرك، وعلى الرغم من أن نزول الآية كان في قضيّة خاصّة فإنها طرحت قضيّة أخرى عامّة، وهي عدم حلّية المرأة المؤمنة للزوج المُشرك ولا هو يحلّ لها، والعكس صحيح بقوله تعالى: ﴿... وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ...﴾[1].

والأمر ايضا يدور حول العلاقة بين المؤمنين والكافرين على المستوى الاجتماعي الخاص الذي يرتبط فيه الزّوجان ببعضهما: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ وهو متعلّق ومرتبط أشدّ الترابط بالموضوع الرئيس للسّورة المُباركة.

ثم يُشير المقطع الأخير من السّورة إلى بيعة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[2].

أما الآية الأخيرة فجاءت لتقرر المبدأ الذي طرح في أول السّورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[3].

---

(١) الممتحنة: ١٠.

(٢) الممتحنة: ١٠ – ١١.

(٣) الممتحنة: ١٣.

فقد جاءت مرتبطة بآيات مقدمة السّورة تماماً:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾[1](افتتح سبحانه هذه السّورة بالنّهي عن اتخاذ الكفّار أولياء، وختمها بمثل ذلك تأكيداً لموالاتهم وتنفير المسلمين عن توليتهم وإلقاء المودّة إليهم)[2].

وهنا نجد أن جميع آيات السّورة الكريمة ومقاطعها وموضوعاتها ارتبطت بالفكرة الرئيسة التي تحوم عليها السّورة وهي العلاقة بين الكافرين والمسلمين، فهي مثال واضح على الوحدة الموضوعيّة والترابط بين الآيات بشكل انتفت فيه عوامل وأسباب النّزول وزمانها ومكانها، حتّى ليُخيّل لبعض القارئين لها أن ترتيب آياتها فيه خروج عن النظام الطبيعي – ظاهرياً – إلّا إن الدراسة أوضحت أن الآيات لا تُدرس مُجزأةً ولا يُمكن أن تُفهم إلّا وفق الإطار العام للسّورة كليَّاً، إذ لا بدَّ من وجود وحدة موضوعيّة تجمع الآيات المتفرقة في النزول إذ ان:(لكل سورة نوعاً من وحدة الترابط لا يوجد بين أبعاض من سورة ولا بين سورة وسورة، وعليه فالاغراض والمقاصد المتحصلة من السّورة مختلفة وأن كلّ واحدة مسوقة لبيان معنىً خاص وغرض مُحصّل لا تتم السّورة إلّا به)[3].

(١) الممتحنة: ١.

(٢) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: ٨/ ٢٠٦.

(٣) الطباطبائي، الميزان: ١/ ١٩.

وبهذا نجد أن هذه السّورة بل وأيّة سورةٍ في القرآن الكريم مرتبطة آياتها، منسجمة في موضوعاتها أو موضوعها، وأنها ليست عبارة عن مقاطع وفصول لا رابط بينها، فهي كالبناء المُتكامل آخذة أجزاؤه بعضها بعناق بعض، مرتبطة حتى جاء أوله مُتناسقاً مع آخره متآلف مع أوله، في نظام لا يرقى إليه أي كلام أو نظم.

وقد يكشف السّياق عند الربط بين المقاطع عن دلالات قد يختلف المفسرون في تفسيرها، فسورة الكوثر على قِصرَها وهي ثلاث آيات نزلت في مقطعين وفُسّر لفظ(الكوثر)تفسيراتٍ عدّة، فالكوثر:(وهو الشيء الذي من شأنه الكثرة... أو الخير الكثير)[١].

لكنهم اختلفوا في تحديد مفهومه فقالوا فيه أنه: نهر في الجنّة، أو الحوض الذي يَرِد عليه النّاس يوم القيامة، أو الشفاعة، أو الخير، كثرة النّسل والذرّية وغيرها، أو النّبوة والكتاب، أو القرآن[٢]فاللّفظ وإن كان يحتمل جميع هذه الأقوال، ولكن بالنظر إلى المقطع اللّاحق وربطه بما سبقه يتضح الوجه الأكثر تحديداً لدلالة الكوثر فقد نزلت هذه الآية:﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[٣]والأبتر هو المنقطع النّسل جواباً لقول قريش:(ان محمداًﷺلا عقب له يموت فنستريح منه بموت فنستريح منه ويدرس دينه. إذ لا يقوم مقامه من يدعو إليه فينقطع أمره ...)[٤].

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ٤٥٨.

(٢) ظ: السيوطي، الدر المنثور: ٨/ ٥٨٩، ابن عطية، المحرر الوجيز: ٥/ ٥٢٩، الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٥/ ٦٣٢، الآلوسي، روح المعاني: ١٥/ ٤٧٨، الطباطبائي، الميزان: ٢٠/ ٤٢٨.

(٣) الكوثر: ٣.

(٤) الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ٤٦١، الواحدي، أسباب النزول: ٢٥٧، الطباطبائي، الميزان: ٢٠/ ٤٣١.

ومن خلال ربط هذا المقطع بسابقه نجد أن التفسير بكثرة النّسل والذّرية أقرب الوجوه إلى معنى الكوثر لارتباطه بالمعنى السابق الذي جاء على لسان مُبغضي النبيّ صلى الله عليه وآله فالكوثر نسله وذريته التي وهبه الله إيّاها من ابنته فاطمة عليها السلام فهي الدلالة الأوثق في تجسيد معنى الكوثر، وهي المضمون الأرجح الذي يتناسب والربط الموضوعي لنزول السورة الكريمة وهي على رغم من ايجازها ارتبط مقطعاها في تشاكل وتقابل لمعانيها بشكلٍ لا يخفى.

٥ - الترابط بين اسم السّورة ومحورها

اشتهرت سور القرآن الكريم بأسماء خاصّة بها، واختصت بعضها باسماء عدةّ كما في سورة الفاتحة، فهي(الفاتحة)لأنها يُبدأ بكتابتها في المصاحف، وبقراءتها في الصلاة، وهي(أم الكتاب)و(أم القرآن)لأنها أمتّه، أي تقدمته، وقيل لأنها انطوت على جميع أغراض القرآن الكريم وما فيه من العلوم والحِكم، أو لأنها أفضله كما يُقال لرئيس القوم: أم القوم، وهي(السّبع المثاني)لأنها سبع آيات تُثنّى في كل ركعة من الصلاة، أو أنها نزلت مرّتين وغير ذلك من الأسماء التي ذكرت بشأنها.[١]

وغالباً ما يكون اسم السّورة مترجماً عن مقصودها:(لأن اسم كلّ شيء تظهر المناسبة بينه وبين مُسمّاه عنوانه الدّال إجمالاً على تفصيل ما فيه)[٢].

وقد يحمل اسم السّورة الحدث الأبرز أو الأغرب[٣]فيها والذي يُشكّل محوراً مهمّاً أو أحد المحاور المهمّة في السّورة كما في سورة البقرة، حيث يرى ابن الزبير

(١) ظ: السيوطي، الاتقان: ٨٢، فصل في أسماء السور(النوع السابع عشر).

(٢) البقاعي، نظم الدرر: ١/ ١٢.

(٣) ظ: محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم: ٩٨.

الغرناطي(ت٧٠٨هـ)أن:(تسمية سورة البقرة بهذا الاسم الغريب قصّة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة في أمرها)[١]فأحد المحاور المهمّة فيها قضيّة(الإحياء والإماتة)الذي عنيت السّورة به، وعلى الرغم من ذكر خوارق عدّة لإحياء الموتى فيها[٢]إلّا أنها لم تُسمَّ بواحدة منها واختصت بحادثة البقرة فقط، لتعلقها ببني اسرائيل الذين ورد ذكرهم وذكر سلوكهم السّلبي والمنحرف الذي تحدثت عنه السّورة بشكل مفصّل تجاوز بضعاً وثمانين آية، وكشفت حقيقتهم بذكر أربعين ماخذاً ومثلباً عليهم.[٣]

وفي مقدمة ذلك ما كشفته من سلوك سلبي، وتمرّد على أوامر السّماء وترددهم في تنفيذها، فهذا الأمر:(يكشف عن مدى التمرّد والتردد الذي يصحب سلوكهم

(١) ملاك التأويل: ٢٢.

(٢) وهي قوله تعالى في الآية: ٢٤٣:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾.
والآية: ٢٥٨:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.
والآية: ٢٥٩:﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِـي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
والآية: ٢٦٠:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

(٣) ظ: عبد الله الخطيب، ومصطفى مسلم، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم بحث مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والانسانية مجلد ٢ العدد ٢، فصّل القول في ذلك بما لا يتسع البحث لذكرها.

حيال ذبح البقرة... وإنهم حاولوا التهرب من تنفيذه... اتهموا موسى عليه السلام بالسّخرية منهم، يُضاف إلى ذلك نمط طلباتهم التي تتسم بالرقاعة والتهافت والسّطحيّة، فمرّة يطالبون بأن يدعو الله أن يُبيّن سنها، ومرة يُطالبون أن يُبيّن لونها، وثالثة أن يُبيّن لهم صفتها، ومع ذلك أوشكوا ألّا يذبحوا لطلب موسى حيث قال الله تعالى عنهم(وما كادوا يفعلون)أي أوشكوا ألّا يذبحوا البقرة)[١].

ومن خلال ذلك يتضح التواشج بين قصّة البقرة من حيث إخضاعها لبيان سلوك اليهود المنحرف، انتقاء عنوان مثيل من القصّة ذاتها يُفصح عن مدى التناسب بينهما:(إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن القصّة لها صلة بالمساحة التي احتلها النّص وبالقصص الأخرى التي أفصحت عن أنماط السّلوك المُتجانس مع السّلوك الذي أفرزته قصّة البقرة)[٢].

بالاضافة الى أن هناك صلة بين العنوان وبين إبراز السّورة عبادة بني اسرائيل للبقر في عدّة آيات، منها: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾[٣]وقوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٤]وقوله تعالى:﴿وَ لا عَلَى الَّذينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُون﴾[٥]وقوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم

(١) البستاني، التفسير البنائي: ١/ ٥٠.

(٢) البستاني، دراسات فنية في التعبير القرآني: ٢٧٨.

(٣) البقرة: ٥١.

(٤) البقرة: ٥٤.

(٥) البقرة: ٩٢.

بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾[١].

إذ إنهم اتخذوا العجل بعد أن وعدهم موسى عليه السلام بنزول التوراة، وتذكيرهم بأنهم سمعوا وعصوا، وبأنهم ظلموا أنفسهم بهذا السّلوك... وغيرها، فتتضح الصّلة بين هذه الظواهر الطبيعيّة وبين ما تقدمها، وبينها جميعاً وبين العنوان بشكلٍ كبير[٢]فأسهم عنوان السّورة في الافصاح عن أبرز مضامينها بما يتعلق ببني إسرائيل وانحرافهم.

والأمر كذلك في سورة المائدة، فالسّورة الكريمة تحدّثت بالتفصيل عن الأطعمة ما يحلّ منها وما يحرم بشكلٍ تفصيلي(فقد افتتحت بذكر حلّ بهيمة الأنعام وتحريم الصّيد حال الإحرام والهدي والقلائد، وهي الذّبائح التي تُهدى للحرم، وبيان اللّحوم المُحرّمة كالميتة والدم ولحم الخنزير، وعن حكم الصّيد بالكلاب والجوارح... والحديث عن المسيح وأمه، وإنهما كانا يأكلان الطعام فليسا إلهين لأن الإله مُنزّه من ذلك، ولم يرد في غير سورة المائدة، والنهي عن تحريم الطيّبات التي أحلّها الله... إلى غير ذلك من الأحكام الكثيرة، وتختتم السّورة بذكر المائدة التي طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام)[٣].

فالمقصد الرئيس لهذه السّورة يكشف عن وجه الترابط بين اسمها والموضوعات المطروقة فيها والتي ترتبط بعملية(تزكية النّفس)وهو المحور الرئيس الذي تدور حوله الموضوعات بكل تفاصيلها، ابتداءً من الإيفاء بالعقود وإباحة تناول الطعام وعدم إباحة الصّيد في الإحرام، وموضوعات أخرى كثيرة تظل السّمة الرئيسة فيها

---

(١) البقرة: ٩٣.

(٢) ظ: محمود البستاني، دراسات فنية في التعبير القرآني: ٧.

(٣) عبد الله الخطيب، ومصطفى مسلم، المناسبة وأثرها على التفسير(بحث).

تزكية النّفس، سواءٌ جاءت من جانب مادّي بالامتناع عن المحرمات المادّية أو من جانب معنوي بالامتناع عن الرذائل كالسّرقة والسّلوك المنحرف لبني اسرائيل في إيذائهم أنبيائهم أو قتلهم وأكلهم السّحت... ترتبط كلّها بخيوط دقيقة لتصل من خلال موضوعات عديدة مطروحة فتصبّ في القضيّة ذاتها.(١)

ان قصّة المائدة تُمثّل أزكى(التغذية)إلّا أن السّورة عرضت ضمنها أكثر من دلالة فكرية استهدفت توصيلها إلى المُتلقي، مثل قضيّة عدم التورط في السّؤال عن أشياء ليست من صالح الآدميين مثل اقتراح إنزال المائدة، كما طرحت من خلالها قضيّة الإيمان ومستوياته من حيث سلوك الحواريين، وأمثلة إعجازيّة من أجل اليقين الوجداني بالرّسالة، وإلى أنه من الممكن تحقيق مثل ذلك الطلب، إلّا أنه ينبغي الالتزام بنتائجه.(٢)

ان الترابط بين اسم السّورة ومحورها قد يكون واضحاً جليّاً، وقد يخفى بحيث يشكُل وجه الترابط وقد يصعب إدراكه، لكن ذلك لا يستدعي التكلّف في إيجاد ربط بين الاسم ومضامين السّورة، فكثير من السّور قد يخفى علينا وجه ارتباط اسمها بمحورها، بالاضافة الى إن كثيراً منها تعددت تسمياتها، فسورة الفاتحة لها ما يزيد على عشرة أسماء، وبعض السّور سُمّيت بأول لفظٍ فيها كسورة اللهب وتُسمّى سورة(تبت)أو القدر(إنا أنزلناه)وهكذا، فتطبيق اسم السّورة بشكلٍ دقيق على المضمون أمر صعب، وقد يخرج بالمفسّر إلى تكلّف ربما يُبعده عن الصواب،

وقد يلجأ بعضهم إلى تأويل الاسم أو حمله على معنىً رمزي كتفسير عنوان سورة(الكهف)مثلاً بأنه كهف معنوي من عناية الله تعالى وحفظه وستره فلا تؤثر فيه

(١) ظ: محمود البستاني، التفسير البنائي: ١/ ٣٧٣.
(٢) ظ: م. ن: ١/ ٤١١.

الفتن المعروضة عليه، وإن أصحاب الكهف هم أصحاب عقيدة صحيحة وموقف سديد ويُمثلون المُتمسكين بالقيّم الصحيحة فهم كمن تحصّن بكنف الله وحفظه.[١]

على إن تلك الآراء وإن تعددت في ربط الاسم لفظياً أو معنوياً بمضمون السّورة يتوقف على توقيفية هذه التّسميات وثبوت تسمية النبيّ ﷺ لكلّ سورةٍ منها مع مراعاة تعدد اسمائها، فالجزم بهذا الموضوع قد لا يكون دقيقاً خاصّة وان بعض الروايات تدلّ على أن النبيّ ﷺ سمّى بعض السّور ولم يُسمِّ بعضها الآخر.[٢]

(١) ظ: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي: ١٧٩.

(٢) ظ: الزركشي، البرهان: ١/ ١٨٤، السيوطي، الاتقان: ٩٧.

الفَصْلُ الخَامِسُ

(التَّرابط بين السُّور)

مدخل في ترتيب السُّور - علاقات التَرابط بين السُّور.

المدخل: ترتيب السُّور. أولاً - التَّرابط العام

١ - تشابه المضامين.

٢ - الإجمال والتَّفصيل.

٣ - الإكمال والتَّتميم.

٤ - التَّقابل.

ثانياً - التَّرابط الخاص.

١ - التَّشابه الأسلوبي.

٢ - الارتباط بين ختام السُّورة ومفتتح اللَّاحقة.

٣ - تعلُّق الجار والمجرور.

٤ - التَّرابط الايقاعي.

أولاً: (التَّرابط العام) المدخل (ترتيب السُّور).

أولاً - التَّرابط العام.

١ - تشابه المضامين.

٢ - الإجمال والتَّفصيل.

٣ - الإكمال والتَّتميم.

٤ - التَقابل.

مدخل في ترتيب السُّور:

إذا كانت الآراء قد أجمعت على توقيفيّة ترتيب الآيات في المُصحف الشّريف فإن لترتيب السّور شأناً آخر، فقد وقع الخلاف في الأمر وتعددت الآراء فيه بين قائل بأن النّبي ﷺ قد رتّبها كما هي عليه الآن فترتيبها توقيفي، وبين قائل أن ترتيب جميع السّور أمر تولّاه الصحّابة بعد وفاة النّبي ﷺ فالترتيب إجتهادي كلّي. وبين مَن وقَف موقفاً ثالثاً وهو القائل بأن ترتيب بعض السّور كانت بأمرٍ من النّبي ﷺ وبعضها الآخر باجتهاد الصحابة جمعاً بين روايات تؤكد ترتيبه ﷺ لبعض السّور وبين روايات أخرى بأن الصحابة اجتهدوا في ترتيب بعضها الآخر، فالترتيب هنا اجتهادي جزئي، وسنلخص القول في أدلّة هذه الآراء.

فقد تظافرت الروايات على أن الترتيب توقيفي رتَّبه رسول الله ﷺ فقد أخرج إبن أشتة(ت ٣٦١هـ) في المصاحف، عن سليمان بن بلال، قال:(سمعت ربيعة يسأل: لِمَ قُدّمت البقرة وآل عمران وقد أُنزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكّة، وإنّما أُنزلتا بالمدينة؟ فقال: قُدمتا وأُلّف القرآن على علمٍ ممّن ألّفه به، وقد اجتمعوا على العلم بذلك، فهذا مما يُنتهى إليه ولا يُسأل عنه)[١] وهذا يؤكد إن مَن ألَّفه كان على علمٍ به، ومَن أعلم من رسول الله ﷺ بذلك.

وتُشير روايات أخرى أن النّبي ﷺ قد حزَّب القرآن الكريم ورتّبه في مجاميع، فعن أوس بن حذيفة الثقفي، قال:(كنت في وفد ثقيف، فقال رسول الله ﷺ: طرأ عليَّ حزب من القرآن، فاردّت ألّا أخرج حتى أقضيه، قال أوس: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ كيف تُحزّبون القرآن؟ قالوا: نُحزّبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور،

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٥٢، وعلوم القرآن عند المفسرين: ١/ ٢٢٤.

وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المُفصّل من ق وحتى نختتم)[١].

وكذلك ما أخرجه أبو عبيد من جهة سعيد بن بشير عن قتادة بن أبي المليح، عن واثلة بن الأسقع، أن رسول الله ﷺ قال:(أُعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأُعطيت مكان الزّبور المئين، وأُعطيت مكان الأنجيل المثاني، وفُضلّت بالمفصّل)[٢] مما يعني أنه ﷺ قد رتبه بهذا الترتيب وأعطى لكل مجموعة من السّور تسمية خاصّة بها، ولا شك إنه لم يفعل ذلك إلّا بأمر من الله تعالى، فالترتيب إذاً توقيفي حسبما تدلّ عليه هذه الروايات وغيرها.

واستدل أبو جعفر النّحاس(ت٣٣٨هـ)بهذه الرواية على توقيفية الترتيب بقوله:(والمُختار إن هذا الترتيب من رسول الله ﷺ.... وهذا الحديث يدلّ على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ وأنه مُؤلَّف من ذلك الوقت، وإنما جُمِعَ في المُصحف على شيء واحد، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله ﷺ على تأليف القرآن، وفيه ايضاً دليل على أن سورة الأنفال سورة على حدة وليست من براءة)[٣] مما يعني أنه ﷺ قد رتبه بهذا الترتيب وأعطى لكل مجموعة من السّور تسمية خاصّة بها، ولا شك في أنه لم يفعل ذلك إلّا بأمرٍ من الله تعالى، فالترتيب إذاً توقيفي.

يؤيد هذا الرأي الشيخ الطبرسي(ت٥٤٨هـ)بقوله:(إن القرآن كان على عهد

---

(١) ابو داود، السّنن: ٢٨٨ ح ١٣٨٨، كتاب شهر رمضان، باب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيبه، السيوطي، الدر المنثور: ٧/ ٥١٢.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند: ٤/ ١٠٧، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: ١/ ٧٠، الكليني، أصول الكافي: ٦٣٣، كتاب فضل القرآن ح ١، السيوطي، الدر المنثور: ٧/ ٥١٢.

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ١/ ١٨٣، السيوطي، الاتقان: ٩٧.

رسول الله ﷺ مجموعاً مُؤلَّفاً على ما هو عليه الآن واستدلّ على ذلك بأن القرآن كان يُدرس ويُحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عيّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وإنه كان يُعرض على النبي ﷺ ويُتلى عليه، وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأُبيّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدّة ختمات وكل ذلك يدلّ بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مُرتباً غير مبتور ولا مبثوث ذكر إن مَن خالف في ذلك من الإماميّة والحشوية لا يُعتدّ بخلافهم، فإن الخلاف مُضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحّتها، لا يرجع بمثلها عن العموم المقطوع على صحّته)[١].

واستدلّ بعض العلماء على توقيفيّة الترتيب بترتيب الحواميم والطواسين، فالسيوطي (ت٩١١هـ) مثلاً يرى أن هذه السّور رُتبت متتابعة بينما لم تُرتب المسبحات وهي: (الحديد، الحشر، الصّف، الجمعة، التغابن) بهذا الشكل من التتابع بالفصل بين سورها بسورٍ أخرى وهي (المجادلة، الممتحنة، والمنافقين) كما فُصل بين سورتي الشعراء والقصص بسورة النمل مع إنها أقصر منها، ولو كان الترتيب اجتهادياً لرُتبت المسبحات متتابعة وأُخرت سورة النمل عن سورة القصص.[٢]

أما الرأي القائل ؛بأن الترتيب اجتهادي[٣] وإنه أمر من فعل الصحابة في الجمع الأول والثاني، ومن الدليل عليه من الروايات وَضعُ عثمان الأنفال وبراءة بين الأعراف ويونس وقد كانتا في الجمع الأول متأخرتين، وإنه لم يحصل اليقين بالنقل

(١) الطبرسي، مجمع البيان (المقدمة): ١/ ٤٣.

(٢) ظ: السيوطي، الاتقان: ٩٧.

(٣) مال إلى هذا الرأي مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) والقاضي ابو بكر بن الطيب (ت٤٠٣هـ) وابن فارس (ت٣٩٥هـ) وابن جزي (ت٧٤١هـ) وكذا العلامة الطباطبائي، ظ: الزركشي، البرهان: ١/ ١٨١، ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ٤، الطباطبائي، الميزان: ١٢/ ١٢٤، ١٣٠.

المتواتر عن رسول الله ﷺ بهذا الترتيب الموجود في المصاحف، وان دعوى التواتر خالية عن الدليل، واستُدلوا ايضاً باختلاف ترتيب مصاحف الصحابة ولم يُغيّروا فيها طوال الفترة بين الجمع الأول والثاني، فكيف خفي هذا التواتر عليهم.(١)

ويُمكن الردّ على أدلّة هذا الفريق بأن استدلالهم باختلاف مصاحف الصحابة إنها كانت مصاحف خاصّة بهم جمعها كل واحد منهم ورتبها على حسب ما تناهى إلى سمعه وحفظه من سور وليس دليلاً على أن الترتيب القرآني ليس بأمر من النبي ﷺ كما أن الاختلاف في ترتيب السّور بين مصاحفهم اختلاف بسيط في تقديم وتأخير بضعة سور، وإن ترتيب أكثر السّور متوافق مع الترتيب المعروف.(٢)

أما الروايات في وضع سورة الأنفال وبراءة بين السّبع الطوال، فهذه الرواية – إن صحّت – لا تدلّ على أكثر من اجتهاد الصحابة في سورتي الأنفال وبراءة خاصّة ولا تُعمم على جميع سور القرآن. ومن المعلوم أن سورة الأنفال من أوائل ما نزل في المدينة وسورة براءة من أواخر ما نزل من القرآن الكريم فكيف يترك النبي ﷺ هاتين السّورتين طيلة تلك المدّة دون أن يُشير عليهم بوضعها في موضعها أو أن يُبيّن لهم أن سورة براءة من الأنفال أو ليست منها.

وأما الرأي القائل بجزئية الترتيب الاجتهادي ؛أي أن النبي ﷺ قد رتب بعضاً من السّور وترك بعضها الآخر على حسب ما جاء في بعض الروايات فقد أيّده بعض العلماء، ومنهم ابن عطيّة(ت٥٤١هـ)إذ قال:(وظاهر الآثار أن السّبع الطوال والحواميم والمفصل كان مرتباً في زمن النبي ﷺ وكان في السّور ما لم يُرتب فذلك هو

(١) ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ١٢/ ١٢٤، ١٣٠.

(٢) ظ: الزنجاني، تاريخ القرآن: ٧٧، فقد وصف فيه مصاحف الصحابة ووضع جداول مقارنة بينها، و ظ: محمد حسين الجلالي، دراسة حول القرآن الكريم: ٨٧.

الذي رُتب وقت الكَتْب)[1] بينما يرى ابن الزبير الغرناطي(ت٧٠٨هـ)أن ما وقع فيه الخلاف قليل جداً بقوله:(والآثار تشهد بأكثر مما نصّ عليه ابن عطيّة، ويبقى القليل يمكن أن يجري فيه الخلاف كقوله ﷺ:اقرؤا الزهراوين: أي البقرة وآل عمران[2]...)[3].

ويميل السيوطي(ت٩١١هـ)الى هذا الرأي تأكيداً لما ذهب إليه البيهقي(ت٤٥٨هـ) من أن القرآن الكريم كان على عهد رسول الله ﷺ مُرتباً سوره وآياته على هذا الترتيب إلّا الأنفال وبراءة.[4]

بينما أرجع الزركشي(ت٧٩٤هـ)الخلاف بين القول بترتيب السّور كونه توقيفياً أو اجتهادياً إلى أنه خلاف لفظي بقوله:(لأن القائل بالثاني يقول إنه أي النبي ﷺ رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله، ومواقع كلماته لهذا قال الإمام مالك:إنما ألّفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ مع قوله بأن ترتيب السّور اجتهاد منهم، فآل الخلاف إلى أنه هل ذلك بتوقيف قولي:أم مجرد استناد فعلي وبحيث بقي لهم فيه مجال للنظر، فإن قيل:إذا كانوا قد سمعوه منه كما استقرَّ عليه ترتيبه... ففي ماذا أعملوا الأفكار؟وأي مجال بقي لهم بعد هذا الاعتبار؟ قيل: قد روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال:(صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح سورة البقرة، فقلت:يركع عند المائة ثم مضى فقلت:يُصلّي بها في ركعة، فمضى، فقلت:يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران...)[5] فلما كان النبي ﷺ ربما فعل هذا ارادةٍ للتوسعة على

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٥٠.

(٢) مسلم، الصحيح: ٢٥٢ ح ٢٩٠، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(٣) البرهان في ترتيب سور القرآن: ١٨٥.

(٤) ظ: السيوطي، الاتقان: ٩٨.

(٥) مسلم، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، الباب: ٢٧، باب استحباب تطويل القراءة في

الأمة، وتبياناً لجليل تلك النعمة كان محلاً للتوقف، حتى استقر النظر على رأي ما كان من فعله الأكثر، فهذا محل اجتهاداتهم في المسألة)[١].

وخلاصة القول أن الترتيب المصحفي الموجود بين أيدينا هو ترتيب توقيفي تؤكده الأدلّة النقليّة والعقليّة، وقد ناقش السيّد الخوئي(قده)[٢]الروايات القائلة بالجمع والترتيب بعد وفاة النبيﷺرواية رواية، وفصّل القول فيها، وأثبت تعارضها مع ما دلَّ من روايات كثيرة على جمع القرآن في عهدهﷺوأثبت تناقض تلك الروايات في نفسها وإنها لا يمكن الاعتماد عليها، كما أثبت تعارضها مع الكتاب الكريم في تحدّيه للمشركين بالإتيان بعشر سورٍ، فأيّ سور تحدَّى بها إن لم تكن مجموعة ومُرتَّبة على عهدهﷺوأيّ كتاب أمر النبيﷺالمسلمين بالتَّمسك به في حديث الثقلين؟! إن لم يكن قد جمَعَ لهم الكتاب ورتَّبه كما هو عليه، فضلاً عن أن الروايات تتناقض مع حكم العقل، ومُخالفة للإجماع، وإن الأخذ بها يُؤدّي بنا إلى القول بتحريف القرآن الكريم، إما بزيادة فيه أو بنقصان، أو تقديم أو تأخير في ترتيبه، وهذا ما لا يُمكن القبول به.

على إن ما يُهمّ البحث في موضوع السّور هو مدى ارتباط بعضها ببعض، وترتَبَ على تلك الآراء أن انقسم العلماء والُمفسرون على فريقين ؛ منهم مَن يقول بوجود روابط بين السّور اعتماداً على توقيفية الترتيب، فيما يرى فريق آخر أن هذا الأمر تكلّف ومبالغة ؛لأن الترتيب من اجتهاد الصحابة وهم بشر ولا يستند ترتيبهم على

صلاة الليل: ٢٨١ ح ٢٠٣(٧٧٢).

(١) البرهان: ١/ ١٨٢.

(٢) ظ: البيان في تفسير القرآن: ٢٣٩ – ٢٥٩، تناول فيه الموضوع مفصلاً تحت عنوان(فكرة عن جمع القرآن)و ظ: د. محمد حسين علي الصغير، تاريخ القرآن: ٨٤، و د. محمود البستاني، دراسات في علوم القرآن: ٥٢.

وحي من السّماء فهو تكلّف باهت ومحاولة لاختلاق تناسب بين السّور، وهو التزام بما لا يلزم فضلاً عن كونه تعسفاً في الاختيار.[١]

يؤكد الطباطبائي نفيه لوجود ارتباط بين السّور بقوله:(إن لكل طائفة من هذه الطوائف من كلامه التي فصّلها قطعاً قطعاً وسمّى كلّ قطعةٍ سورة نوعاً من وحدة التأليف والتّمام، ولا يوجد بين أبعاضٍ من سورةٍ ولا بين سورةٍ وسورة، ومن هنا نعلم أن الأغراض والمقاصد المتحصلة من السّورة مختلفة، وإن كلّ واحدةٍ منها مسوقة لبيان معنىً خاص وغرضٍ مُحصّل لا تتم السّورة إلّا بتمامه)[٢]فهو يرى أن الترابط قائم بين آيات السّورة الواحدة بينما ينفي ذلك فيما بين السّور، لكنه من جانبٍ آخر يُشير إلى وجه من وجوه الترابط الجزئي بين بعض المجاميع من السّور كالحواميم والطواسين بقوله:(وإذا تدبرت في السّور التي تشترك في الحروف المُفتتح بها مثل الميمات والراءات والطواسين والحواميم وهذه في السّور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين وتناسب السّياقات ما ليس بينها وبين غيرها من السّور)[٣]أو ما بين بعض السّور القصيرة كالضحى والإنشراح، والفيل وقريش[٤].

فيما ينفي ابن عاشور(ت١٩٧٣م)وجود ترابط بين السّور ويقصر وجودها على الآيات ضمن السّورة الواحدة فقط بقوله:(... أما البحث عن تناسب مواقع السّور بعضها إثر بعض فلا أراه حقّاً على المُفسّر)[٥].

---

(١) ظ: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن: ٥/ ٢٥٤.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٩.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٩.

(٤) ظ: م. ن: ٢٠/ ٤٢١.

(٥) التحرير والتنوير: ١/ ٨.

ويبدو أنه يرى أن الارتباط بين السّور قائم على فكرة تجاورها مع بعضها بحسب ترتيبها، فهذا الأمر وإن كان هو الأعم الأغلب في الروابط بين السّور، إلّا إن هناك من الوشائج والعلاقات ما يتجاوز ذلك إذ يُشكل ترابط موضوعاتها جانباً كبيراً منها. بينما يرى باحث آخر: أن الترتيب التوقيفي لا يستلزم حتماً أن يكون بين كلّ سورة سابقة وكلّ سورة لاحقة أواصر قربى، كما لا يقتضي عقلاً ارتباطهما معاً إذا وقعت كلّ منهما على أسباب مختلفة، وإن الائتلاف يغلب على مقاطع السّورة الواحدة، وإن الوحدة الموضوعيّة في كلّ سورة لا ينبغي أن تكون هي الوحدة الموضوعيّة عينها في السّور كلّها مُجتمعة. ويُنحي على المُفسّرين تكلّفهم بإظهار علاقات ما بين ختام السّورة السّابقة واللاحقة، وكأن الترابط بينهما وقع عن طريق الآيات موقعاً جزئياً لا عن طريق السّورتين موقعاً شاملاً كليّاً[١].

ورأيه هذا بُني على أساس ما ذكره بعض العلماء من ارتباط آخر السّورة بأول السّورة اللاحقة لها، وهذا الرأي قد يكون صحيحاً فيما لو كان الربط بين السّورتين ربطاً لفظياً كما جاء في بعض المؤلفات[٢] كربط آخر سورة الطور التي خُتمت بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾[٣] بمفتتح سورة النجم، بقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾[٤] أو بختام سورة الزمر بـ لفظ (الحمد) وافتتاح سورة فاطر بـ(الحمد) ايضاً، إذ لا ينحصر الارتباط بين السّور على الجانب اللفظي بل يتجاوز ذلك الى ارتباط موضوعي بعلاقة واحدة أو بعلاقات عدّة[٥].

---

(١) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: ١٥٢.

(٢) ظ: السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السّور: ٥٩، الزركشي، البرهان: ١/ ٥٠.

(٣) الطور: ٤٩.

(٤) النجم: ١.

(٥) كما سيتضح ذلك في تفاصيل البحث في العلاقات ما بين السّور.

ويقول في موضع آخر (... نحسب أن فرص الغموض في استجلاء هذه الوجوه – وجوه الترابط – لا تكثر إلّا في الروابط بين السّور... وما نظن احتفال المفسرين قليلاً بهذا النوع لدقته وحسب بل لقلّة جدواه وكثرة التكلف فيه فانهم يقطعون أنفاسهم من شدّة اللهاث وهم يلتمسون بين سورتين لفظين يتشابهان أو آيتين تتناظران حيثما كان موضعهما من السّورتين في البداية أو الوسط أو الختام)[١].

هذا الرأي لا يُمكن أن يُعمم على الجميع، فإذا وجد من بين العلماء أو المفسرين من تكلّف أو بالغ في الربط أو التمس أمراً بعيداً يربط به بين السّور، فربما قد خفي عنه الوجه الصحيح، إذ إن التماس الروابط أمر دقيق يحتاج الى مزيد من التفكير والتأمل والتدبر لمعرفتها، وهذا لا يجعله ينفي وجود أية علاقة بين السّور سواء أكانت متجاورة أم متباعدة عن بعضها، وهو مع ذلك لا ينفي وقوع ترابط موضوعي لقوله:(كأن الترابط بينهما [بين السورتين المتجاورتين] لولا فصلهما بالبسملة وقع عن طريق الآيات موقعاً جزئياً لا عن طريق السّورتين موقعاً شاملاً كليّاً)[٢]فكأنه يرى أن الارتباط لا يعتمد على الجانب اللفظي بين السّور، إنما ترتبط ببعضها بعضاً عن طريق علاقات أخرى أشمل وأوسع.

وعلى الجانب الآخر اعتمد القائلون بوجود ترابط بين السّور بناءً على توقيفية الترتيب، وأن النبيّ ﷺ قد رتبه بأمر من الله تعالى اقتضت الحكمة الإلهية وضع السّور مواضعها من المصحف الشريف على الرغم من اختلاف ترتيبها النزولي، فقد تتقدم السّورة المتأخرة زمانيّاً على المتقدمة وبينهما مدّة زمنيّة طويلة كما في تقديم بعض السّور المدنيّة على السّور المكيّة النّازلة في أوائل عهد الرسالة.

---

(١) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: ١٥٢.
(٢) م. ن: ١٥٢.

ويمكننا القول: إن العلاقات التي تكشف الترابط بين السّور تدل بها لا يقبل الشك على أن هذا الترابط والنظام ليس امراً اجتهادياً، وإن إعجاز القرآن الكريم لا يقتصر على فصاحته وبلاغته وشرف معانيه ونظمه بل إن الترتيب ليكشف عن وجه آخر من الاعجاز في الانتظام والتناسق البديع بين اجزائه، الأمر الذي يُثبت أنه لا يمكن أن يكون من فعل البشر ابداً.

علاقات الترابط بين السّور

على الرغم من الاختلاف في أمر الترتيب، إلّا إن ما بين السّور من علاقات تكشف أن هناك وجوهاً ترتبط بها السّور مع بعضها، قد يظهر وقد يدّق أحياناً وجه الارتباط فيصعُب إدراكه، وقد حاول بعض المفسرين كالبقاعي(ت٨٨٥هـ) والسيوطي(ت٩١١هـ)الربط بين بعض السّور بشكل يبدو إلى حدٍ ما فيه شيء من التكلف والتعسّف إلّا أن هذا لا يعني أنهم قد اخفقوا في ربط جميع السّور بعضها مع بعض، أو قد وُفّقوا في كلّ ما ذكروه من وجوه الربط، فنجد أحدهم قد يربط ربطاً جزئياً بين السّور بالتماس التشابه اللفظي، أو الاسلوبي، أو في بعض التراكيب إلّا إن الترابط الموضوعي بين سور القرآن الكريم يفرض نفسه واضحاً وبشكل أوسع من خلال ما بينهما من تشابه موضوعات، أو تقديم موضوع على آخر متعلق به، أو تفصيل السّورة لإجمال سورة أخرى وغيرها، فالقرآن الكريم كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بأنه:(... يُصدّق بعضه بعضاً، وأنه لا اختلاف فيه...)[1]وقال فيه ايضاً(إن كتاب الله ليُصدّق بعضه بعضاً ولا يُكذِّب بعضه بعضاً)[2].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ٩/ ١٢٧.

فالقرآن الكريم يُفسّر بعضه بعضاً ويشهد بعضه على بعض، فهو وحدة مُتّصلة لا تنفصل سورهُ بعضها عن بعض، فالتواشج بين موضوعاته هو الوجه الذي يُلتمس فيه الترابط ليحصل بذلك الفهم الشامل الكلي لمقاصد القرآن الكريم وأهدافه، وهذا الأمر قد يصعب التقاطه حينما تُفرّق اجزاؤه، خاصّة وإن التفسير التجزيئي قائم على تفسير الآيات بحسب موقعها من السّور، فتُفسّر كل سورة منفصلة عن غيرها من السّور مما يُؤدّي الى عدم الربط بينها، الأمر الذي جعل بعض المفسرين يتكلّف أو يتعسّف في التماس الربط على حدِّ قول الشوكاني(ت١٢٥٠هـ):(فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يبرأ منها الانصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه...)[1]ومن هنا نُدرك أهمية أن يُفسّر القرآن الكريم من هو عالم به مُلمّ بمقاصده ومَن له القدرة على الربط بين كل جزء من اجزائه آياتٍ وسورٍ.

ويُمكن تقسيم الروابط ما بين السّور على قسمين ؛ترابط عام وترابط خاص.

(١) فتح القدير: ١/ ٣٧.

أولاً – التَّرابط العام

يقوم الترابط العام على أساس التحام موضوعات السّور فيما بينها، ويتضح ذلك من خلال الكشف عن العلاقات التي تجمعها، ولا يقتصر هذا الأمر على ترابط سورتين فقط بل قد يشمل سوراً عدّة تشترك في مضامين متشابهة أو متقاربة، أو قد تكمل بعضها بعضاً، ومن هذه العلاقات:

١ – تشابه المضامين

والمراد به اشتراك بعض السّور في ما تطرحه من موضوعات ترتبط ببعضها بعضاً يجمع بينها التشابه المضموني كاشتراك سور الحواميم أي المُفتتحة بحروف(حم) والطواسين المُفتتحة بـ(طسم)و(طس)والسور المُفتتحة(ألم)و(ألر)بينها تشابه في المضامين وتناسب في السياقات.

فأغلبها تفتتح بذكر الكتاب الحكيم:﴿حم۝ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[١]﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[٢]أو ما في معناهما. فأغلبها تُفتتح بذكر الكتاب الحكيم ونفي الريب عنه، فالحواميم، هي كلّ من سورة:(غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، والدخان، الجاثية، الأحقاف)وكلها مُفتتحة بذكر الكتاب المُبين، وتكاد موضوعاتها لا تخرج عن قضايا التوحيد والوحي وذكر صفات المؤمنين ومعاداة الكفار لهم وإنذار المشركين المرتابين بعذاب الدنيا والآخرة واستكبار المُكذّبين ومجادلتهم بالباطل لدحض الحقّ[٣].

---

(١) الجاثية: ١ – ٢.

(٢) يونس: ١.

(٣) ظ: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الجزء:١٧ و ١٨، في تفسير هذه السّور.

وكذلك السّور المُفتتحة بـ(الر)وهي كل من سورة(يونس، هود، إبراهيم، الحجر) وتتفق مضامينها في تأكيد التوحيد وإنكار المشركين للوحي ومحاربتهم للنبي ﷺ وتسلية الله تعالى لنبيّه بذكر قصص الأنبياء وما جرى عليهم وما لاقوه من أقوامهم وأنه ليس بدعاً من الرّسل فيما يُلاقي من قومه.(١)

وتشترك الطواسيم أو(الطواسين)وهي المُفتتحة بـ(طسم، طس)وهي كل من سورة(الشعراء، النمل، القصص)في موضوعاتها بشكل عام في بشارة الله تعالى لنبيّه ﷺ وللمؤمنين، وفيها الوعد الجميل لهم بالنّصرة وحسن العاقبة، والاستشهاد على ذلك بما مرّ به الأنبياء والرّسل السّابقون.(٢)

كما لا تكاد تخرج السّور المُفتتحة بـ(ألم)وهي كلّ من سورة(العنكبوت، الروم، لقمان، السّجدة)عن المضامين السّابقة ففيها ذكر الأنبياء ووعد الله بالنّصر لنبيّه ﷺ والدعوة إلى التوحيد، والإيقان بالمبدأ، وإقامة الحجّة لإثباتها، ودفع ما يختلج القلوب، مع الإشارة إلى النبوّة والكتاب.(٣)

وعلى الرغم من إن هذه السّور جميعاً ليست متجاورة فيما بينها بل قد فُصل بين بعضها بسورةٍ إلّا أن وجه الترابط والإئتلاف في الموضوعات والمضامين واضح، كما يتضح باشتراكها في الحروف المُقطعة المُفتتحة بها، وإلى ذلك يُشير صاحب الميزان بقوله:(ويمكن الحدس من ذلك إن بين هذه الحروف المقطعة وبين مضامين السّور المُفتتح بها ارتباطاً خاصّاً يؤيد ذلك أن السّورة المُصدَّرة بـ(المص)(٤)في مضمونها كأنها

---

(١) ظ: م. ن:الجزء ١٠، في تفسير السّور المُفتتحة بـ(ألر).

(٢) ظ: م. ن: الجزء ١٥، ١٦، في تفسير الطواسين.

(٣) ظ: م. ن: الجزء ١٦، في تفسير السور المفتتحة بـ(الم).

(٤) أي سورة الأعراف، وهي في ترتيبها منفصلة عنها بسورٍ عدّة.

جامعة بين مضامين(الميمات و ص)وكذا سورة الرعد المُصدَّرة بـ(المر)في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات والراءات، ولعلّ المُتدبر لو تدبّر في مشتركات هذه الحروف وقايس بين السّور التي وقعت فيها بعضها إلى بعض تبيّن له الأمر أزيد من ذلك، ولعلّ هذا معنى ما روي عن عليّ – عليه السّلام -:(إن لكلّ كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حرف التَّهجي)[١]...)[٢].

فالمشتركات بين هذه السّور وحدة مضامينها فهي التي جمعت بينها وربطتها حتى وإن إختلفت مواضع بعضها ولم تُرتب بشكلٍ متتالٍ بل فُصل بينها وبين بعضها بسورةٍ أو أكثر، كما في إشارته إلى ارتباط سورة الأعراف – وهي من السّبع الطوال في الترتيب – وبينها وبين الميمات فاصل كبير بمجموعة من السّور، فالارتباط اذن لا يُشترط فيه أن تتتابع السّور بحسب مواضعها.

ومن التشابه المضموني كذلك ما بين كلٍّ من سورة(التكوير والانفطار والانشقاق) بل وسورة المطففين التي تفصل بين سورتي الانفطار والانشقاق بحسب الترتيب، فالسّور جميعاً ترتبط ببعضها من جهة موضوعها وهو قيام السّاعة وأشراطها الملازمة لها، وذكر أهوالها وشدائدها وما يحدث من مواقف مختلفة تبدأ بحدوث التغيرات في الكون للسّماء والأرض والنجوم والكواكب وما يتبعها من حشر الانسان والحيوان وذكر المصير الأخروي الذي يؤول إليه الانسان وربط ذلك المصير بعمله الدنيوي الذي ترتب عليه الجزاء الاخروي، فاما للجحيم أو النّعيم.[٣]

(١) الطبرسي، مجمع البيان: ١/ ٧٥.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٨/ ٩.

(٣) ظ: في تفاصيل موضوعات هذه السّور كل من، الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ٢٨٣، ٢٨٩، ٣٠١، الآلوسي، روح المعاني: ١٥/ ٣٥٢، ٢٧٦، ٢٧٣، ٢٨٦، الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٥٥، ٢٦٩، البستاني، التفسير البنائي: ٥/ ٢٩٠، ٢٩٦، ٣١٢.

أخرج الترمذي(ت٢٩٧هـ)باسناده عن ابن عمر، قال:(قال رسول الله ﷺ مَن سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأيَ عينٍ فليقرأ:﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾)(١).

فمن الواضح أن اشتراكها في موضوعٍ واحد بتفاصيل متعددة توزعت على تلك السّور يكشف أن ما بينهما من ارتباط موضوعي وثيق جداً، فكل تلك التفاصيل في اجتماعها وتلاؤمها كأنها سورة واحدة تضمنت مواقف مختلفة، يقول ابن الزبير الغرناطي(ت ٧٠٨هـ):(... وهذا كله اجتماع وائتلاف واضح يناسب بعضه بعضاً... فالتحام هذه الجمل في السّورتين* أبين التحام وأوضحه ملاءمة وتناسباً. فورود كل ذلك من ذلك على ما يجب ويناسب)(٢)بل حتى إنه يُعدّها كأن احداهما تمام الأخرى(لاتحاد القصد فاتصالها بها واضح)(٣).

ويؤكد الطبرسي(ت٥٤٨هـ)علاقة اتصال هذه السّور ببعضها من جهة التشابه أو التناظر بأنها:(اتصلت بها اتصال النظير بالنظير)(٤)فإذا أضفنا إلى ذلك أنها جاءت مترتبة بعضها إثر بعض وإنْ فُصل بين سورتي الانفطار والانشقاق بسورة المطففين، لكن هذا لا يُخِلُّ بترابطها الموضوعي، بل نجد أن هناك مَن يرى في وقوع هذه السّورة بينهما أمراً يؤكد ذلك ارتباطها جميعاً، إذ يقول السيوطي(ت٩١١هـ):(فغالب ما وقع في التكوير، وجميع ما وقع في الانفطار وقع في صدر يوم القيامة، ثم بعد ذلك يكون الموقف الطويل ومقاساة العرق والأهوال، فذكره في هذه السورة بقوله:﴿يَوْمَ يَقُومُ

(١) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ٧٣ ح ٣٣٣٣.

* ويقصد بهما سورتي الانفطار والتكوير، ولكن الموضوع يشملها جميعاً.

(٢) ملاك التأويل: ٥٠٣.

(٣) البرهان في ترتيب سور القرآن: ٣٥٨.

(٤) مجمع البيان: ١٠/ ٢٨٣، ٣٠١.

النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١]... ثم بعد ذلك تحصل الشفاعة العظمى فتُنشر الكتب، فأَخْذٌ باليمين وأَخْذٌ بالشمال وأخذ من وراء الظهر، ثم بعد ذلك يقع الحساب... فناسب تأخير سورة الإنشقاق التي فيها إتيان الكتب والحساب عن السّورة التي قبلها ذكر الموقف عن التي فيها مبادئ يوم القيامة...)[٢]فكأنه يُشير إلى أن ترتيب السّور وتتابعه بهذا الشكل جاء على اساس ترتيب تتابع المواقف في يوم القيامة.

فالتشابه المضموني أحد العلاقات التي تربط بعض السّور ببعضها ولا يلزم أن تعمَم على جميع سور القرآن الكريم بل تقتصر على عددٍ من السّور ذات الموضوع الواحد المشترك بينها وقد تشمل سورتين أو أكثر، والنماذج التي تناولها البحث على سبيل التمثيل لا الحصر.

٢ – الإجمال والتفصيل

يُمكن القول إن هذه العلاقة من أكثر العلاقات وروداً في الترابط ما بين السّور، فنجد أن سورة ما تأتي بأمرٍ مجملٍ تتبعها السّورة اللاحقة بتفصيلات لذلك الإجمال، فكل إجمال يتبعه تفصيل حتى لقد جعل السيوطي(ت٩١١هـ)من تعاقب السّور وترتبها على بعضها قاعدة بقوله:(إن القاعدة التي استقر بها القرآن، إن كلّ سورةٍ تفصيل لإجمال ما قبلها وشرح له وإطناب لإيجازه، وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها)[٣].

ومن أوضح الأمثلة على ارتباط السّور اللاحقة بسابقتها بعلاقة الإجمال والتفصيل

---

(١) المطففين: ٦.

(٢) تناسق الدرر في تناسب السّور: ٢٣٤.

(٣) تناسق الدرر في تناسب السّور: ٦٥.

ارتباط سورة الفاتحة بسور القرآن الكريم الأخرى ارتباطاً وثيقاً، فهي مُتضمنةً لإجمال تفصيل الكتاب العزيز بجملته وهو أوضح وجه في تقدّمها على بقيّة السّور في الترتيب، فهي(أم القرآن)و(أم الكتاب)و(الأساس)ولعل تسميتها تُنبئ عن ذلك.

قال الطبرسي(ت٥٤٨هـ):(سُميت بذلك لأنها متقدمة على سائر سور القرآن، والعرب تُسمّي كلّ أمرٍ جامعٍ أو متقدمٍ لأمرٍ إذا كانت له توابع تتبعه... والأم:هي الأصل وإنما صارت أم القرآن لأن الله تعالى أودعها مجموع ما في السّور لأن فيها الربوبيّة والعبودية، وهذا هو المقصود بالقرآن...)[١]فهذه السّورة بآياتها السّبع جمعت كلّ المعارف القرآنيّة، فالقرآن الكريم على سعة معارفه الأصليّة والفرعيّة كالأخلاق والأحكام في العبادات والمعاملات والوعد والوعيد والقصص، كلّها يرجع في جمل بياناتها الى التوحيد والنبوّة والمعاد وفروعها وإلى هداية العباد، وهذه السّورة اشتملت على جميع تلك البيانات مع إيجازٍ في اللّفظ وتمام في المعنى.[٢]

وتُعدّ سورة الفاتحة بمثابة المدخل أو المقدمة للقرآن الكريم، فزيادة على جَمْعها مقاصد القرآن الكريم فقد عدَّها السيوطي(ت٩١١هـ)بمثابة العنوان وبراعة الإستهلال إذ إن من حُسن البلاغة(أن يُتأنق في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السّمع، فإن كان محرراً قَبِلَ السّامع قَبِلَ الكلام ووعاه، وإلّا أعرض عنه وإن كان في نهاية الحُسن... ومن الابتداء الحسن نوع أخصّ يُسمّى براعة الإستهلال ؛وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يُناسب الحال المتكلم فيه ويُشير الى ما سبق الكلام لأجله والعلم

---

(١) مجمع البيان: ١/ ٤٧، ومثله في: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١/ ١١، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيّة: ١/ ٦٢، ومفاتيح الغيب للرازي: ١/ ٦٥، والزمخشري، الكشاف: ١/ ٤٥.

(٢) ظ: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ١/ ٤٢، السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السّور: ٦٥، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن: ١/ ٥٨.

الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن، فإنها مشتملة على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المُستحسنة وأنواع البلاغة)[١].

فَتقدُّم سورة الفاتحة على بقيّة سور القرآن الكريم كأنه جاء على أساس البدء بالكليات كالتوحيد والتذكير والأحكام ثم جاءت بعدها السّور الأخرى لتكشف عن تفصيلات جملة من الأحكام والردود على شبهات الخصوم وغيرها.

نقل الزركشي(ت٧٩٤هـ)عن ابن العربي(ت٥٣٤هـ)قوله:(وأم علوم القرآن ثلاثة أقسام:توحيد وتذكير وأحكام، فالتوحيد ؛يدخل في معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتذكير ؛ومنه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن، والأحكام ؛ومنها التكاليف كلها وتبيّن المنافع والمضارّ والأمر والنهي والندب... ولهذا المعنى صارت فاتحة الكتاب أم الكتاب لأن فيها الأقسام الثلاثة، فأما التوحيد فمن أولها الى قوله:﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾وأما الأحكام ف:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾وأما التذكير ؛فمن قوله:﴿اهدِنَـــا...﴾الى آخرها فصارت بهذا أُمّاً لأنه يتفرع عنها كل بنت)[٢].

فشكلت السّور اللاحقة تفصيلاً لما أُجمل في سورة الفاتحة التي تضمنت الإقرار بالربوبيّة والإلتجاء إليه والصيانة عن دين اليهود والنّصارى، فسورة البقرة تضمنت قواعد الدين فهي بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، ثم تلتها سورة آل عمران وهي بمثابة أجوبة على ردود وشبهات الخصوم من أهل الكتاب، لذا جاء فيها كثير مما تمسكوا به من المُتشابه.[٣]

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١/ ٥٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٦.

(٣) ظ: السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السّور: ٦٣، و ظ: الاتقان: ٤٧٦.

ولا يقتصر الأمر على إجمال هذه السّورة للقرآن الكريم كلّه بل ذكر البقاعي(ت٨٨٥هـ)وجهاً آخر للإجمال، وهو إن السّورة ذاتها تفصيل لما أجملته البسملة من الفاتحة كنسبة الفاتحة من القرآن الكريم، ولذلك(صُدّرت بها الفاتحة كما صُدِّر القرآن بالفاتحة لأنها لما أفادت نسبة الأمور كلها الى الله سبحانه وتعالى وحده أفادت أنه الإله وحده، وذلك هو إجمال لتفصيل الفاتحة كما إن الفاتحة تفصيل القرآن من الأصول والفروع والمعارف واللطائف)[١].

ويُضيف البقاعي(ت٨٨٥هـ)وجهاً آخر لارتباط سورة البقرة بسورة الفاتحة حينما يربط ختام سورة الفاتحة بمقدمة سورة البقرة، وهو إن عباد الله المخلصين لّما سألوا في آخر سورة الفاتحة الهداية الى الصراط المستقيم أرشدهم في أول سورة البقرة الى أن الهدى المسؤول عنه هو في هذا الكتاب، فالسّورة جاءت لنفي الريب عن القرآن الكريم وإنه هدىً للمتقين ثم وصفت المتقين والكافرين ليعلم أن ما اتصف بن المتقون هو الصراط المستقيم فيتبعونه وبيّنت طريق الهالكين ليتركوه.[٢]

فالبقاعي(ت٨٨٥هـ)هنا يربط خاتمة الفاتحة بمقدمة سورة البقرة بالمقدمة ثم يجعل من السّورة اللاحقة بياناً وتفصيلاً لمضامينها، فكانت الآية الأخيرة مفتاحاً للسورة اللاحقة التي صنّفت النّاس(فذكر الذين على هدىً من ربهم وهم الُمنعَم عليهم، والذين اشتروا الضلالة بالهدى وهم الضالون، والذين باؤوا بغضب من الله وهم المغضوب عليهم)[٣].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور: ١/ ١٣.

(٢) ظ: م. ن: ١/ ٣٢.

(٣) السيوطي، تناسق الدرر: ٦٥.

ومن علاقات الإجمال والتفصيل ما بين سورتي الأعراف والأنعام، فمع إن سورة الأعراف أطول من سورة الأنعام ونزلت قبلها، إلاّ إنها تقدمتها في الترتيب ووجه تقدمها، أنها أجمع لما تشترك فيه السّورتان، وهو ؛أصول العقائد وكليات الدين، فما أُطيل في تفصيله في الأعراف هو كالشرح لِما أوجزته سورة الأنعام فهو تفصيل بعد إجمال.(١)

ومنها ايضا ارتباط سورتي القلم وسورة الحاقّة، فقد تضمنت الأولى ذكر يوم القيامة مجملاً، ثم تفصيلات ذلك اليوم وأهواله وأحوال الأمم الذين كذبوا رسلهم وما جرى عليهم ليعتبر بها قوم النبي ﷺ إذ كانت العرب تعلم بهلاك عاد وثمود وفرعون الذين وردت قصصهم فيها(٢).

والأمثلة كثيرة على ارتباط السّور بعلاقة الإجمال والتفصيل(٣) ومن هنا نجد أن ارتباط السّور فيما بينها بهذه العلاقة ارتباط وثيق يجعل كلّ سورة لا تنفصل عن أختها، فهي تأتي شارحة ومُفصّلة ومُبيّنة لِما اختصرته السّورة السّابقة أو ذكرته على سبيل الإجمال تأكيداً له.

---

(١) ظ: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم(تفسير المنار): ٨/ ٢٦٠، و ظ: محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم: ٤٤٩ وما بعدها، و ظ: الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن: ٢١٠ وما بعدها، و ظ: محمد صديق الغماري، جواهر البيان في تناسب سور القرآن: ٣٠ – ٣١.

(٢) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ١٠٢، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: ٨/ ٣١٥، والآلوسي، روح المعاني: ١٥/ ٤٥.

(٣) ظ: الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، في ترابط سورتي هود ويونس: ٢٢٤، و ظ: محمد رشيد رضا، تفسير المنار في ترابط سورتي هود ويونس: ١٢/ ٣، و ظ: السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور: ٧٥، على سبيل المثال الترابط بين سورتي النساء والبقرة، وما بين سورتي المائدة والبقرة: ٨٠، وما بين سورتي يونس والمائدة: ٩٣، وما بين سورتي الشعراء والفرقان: ١٠٦.

٣ - الإكمال والتتميم

تُعدّ هذه العلاقة من العلاقات الشائعة ما بين السّور، إذ يكون موضوع السّورة اللّاحقة استكمالاً لمضمون السّورة السّابقة وتتمة لها، وهذا لا يعني أن هذه العلاقة تشمل كل السّور، ولكنها تقتصر على مجموعة من السّور التي تتناول قضيّة أو موضوع يمتد في سورتين أو أكثر، وقد يُفهم أن بينها تكراراً للموضوع، ولكنَّ حقيقة الأمر ؛إن ما تذكره السّورة الأولى يُزاد عليه شيء في السّورة الثانية، أوقد يُبسَط في سورة ما قصّة أو حدث سبق ذكره في السّورة السابقة، فسورة النّمل جاءت كالتتمّة لسورة الشعراء السّابقة لها – ترتيباً – فقد ذُكر فيها – أي سورة النمل – أخبار القرون الأولى، فجاء ذكر سليمان وداوود(عليهما السلام)وهو ما لم يُذكر في سورة الشعراء وبَسط فيها قصّة لوط عليه السلام أكثر مما ذكرها في سورة الشعراء.[١]

كذلك ما جاء في سورتي مريم والكهف، فقد وردت في سورة الكهف قصص خارقة ذات طابع إعجازي عجيب كقصّة أصحاب الكهف، وقصّة موسى عليه السلام مع العبد الصالح وقصّة ذي القرنين، وهي في طبيعتها تُشابِه ما ورد من من قصص في سورة مريم عليها السلام من ولادة يحيى بن زكريا(عليهما السلام)ولادةً خرقت العادة من أب بلغ من الكبر عتيّا، وولادة عيسى عليه السلام بشكلٍ مُعجز من غير أبٍ، وكأن تتابع السّورتين هو اتصال مواضيعهما وارتباطهما، كما إن أهل الكهف كانوا من قوم عيسى عليه السلام وإنهم يُبعثون قبل قيام السّاعة مع عيسى عليه السلام وإن قصّتهم كانت في الفترة، فناسب تتابع قصّتهم مع قصّة نبيّهم.[٢]

---

(١) ظ: السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور: ١٠٧، و ظ: الغماري، جواهر البيان في تناسب سور القرآن: ٥٩.

(٢) ظ: السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السّور: ١٠١.

ومن التتميم ايضا ارتباط سورة نوح عليه السلام بسورة الجنِّ ؛فقد تقدّم في سورة نوح اتباع قومه أكابر مجرميهم، بينما افتتحت سورة الجنِّ باتباعهم – أي الجن– رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما سَمِعوا القرآن الكريم مقارنة وتبكيتاً للعرب الذين هم من قوم النّبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا عُبّاد أصنام كقوم نوحٍ عليه السلام فكانت الجن خيراً منهم وأقبلَ للإيمان، كما بيّنت الفرق بين من ربحت تجارته وبين من خسر بيعه، إذ جاء على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً۝ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾[1] فيما قال في سورة الجن: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً﴾[2] كما يُضم إلى ذلك اشتمال سورة الجن على ذكر العذاب لمن يعصي الله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللهَّ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾[3] فناسبه قوله تعالى في سورة نوح: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللهَّ أَنصَاراً إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ﴾[4] فوجوه الإرتباط واضحة بين السّورتين إذ تممت إحداهما ما جاء في الأخرى حتى بدا الموضوع وقد تناولته السّورتان بنظم ونسق عجيب مع ارتباط وتآلف بين الموضوعات.[5]

وكذلك ما بين سورتي المُرسلات والنبأ من ترابط بين الآيات يُكمّل بعضها بعضاً، فبينهما من التشابه والإتصال الشيء الكثير، فسورة المرسلات بُدأت بالحديث عن

---

(١) سورة نوح: ١٠ – ١١.

(٢) الجن: ١٦.

(٣) الجن: ٢٣.

(٤) الجن: ٢٥.

(٥) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ١٤٠، ابو حيان الأندلسي، البحر المحيط: ٨/ ٣٣٩، ابن الزبير الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن: ٣٤٩، السيوطي، تناسق الدرر: ١٢٩، الآلوسي، روح المعاني: ١٥/ ٩١.

يوم الفصل: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ۝ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ۝ لِيَوْمِ الْفَصْلِ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾[١] وأكملت سورة النبأ الحديث عن ذلك اليوم فمطلعها مُرتب على تساؤل واستفهام وقع من المكذبين، وإنه تعالى لمّا أقسم لهم في سورة المرسلات بما حولهم من عظيم مخلوقاته وبأن ما يُعدون واقع بيّنت هذه السّورة مصائر المُكذّبين بيوم الدين وما فيه من عذابهم حتى يتمنى أحدهم أن يكون ترابا: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً۝ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً۝وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَاباً۝ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً۝ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً۝ لِلْطَّاغِينَ مَآباً۝ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً۝ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً۝ إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً۝ جَزَاء وِفَاقاً۝ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً۝وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً۝ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً۝ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً﴾[٢] والكلام عن عذاب المُكذّبين الذين تحدّثت عنهم من سورة المرسلات بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ۝ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ۝ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ۝وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ۝ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾[٣] تحدّثت عنه سورة النبأ باسلوب مختلف فالموضوع واحد ولكن تعددت الوجوه في تفصيلاته لكن المضمون واحد فأكملت السورة الثانية جانباً آخر مما ذكرته السورة الأولى مما يجعل السورتين متصلتين ببعضهما، مكملة إحداهما للأخرى.

ومن جانبٍ آخر بيّنت سورة المرسلات ثواب المُتقين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ۝ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٤] بينما بسطت سورة النبأ الكلام عن نعيم المتقين في الجنان

(١) المرسلات: ١١ – ١٤.

(٢) النبأ: ٢١ – ٣٠.

(٣) المرسلات: ١٦ – ٢٠.

(٤) المرسلات: ٤١ – ٤٤.

إتماماً لتفصيلات ذلك النعيم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً۝ حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً۝ وَكَأْساً دِهَاقاً۝ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً۝ جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَاباً﴾[١] وهكذا تتكامل الصورة وتتضح فيما بين موضوعات السّورتين مع احتفاظ كلّ سورة بمحورها الخاصّ وسياقها وأسلوبها وجرسها ونوع خطابها ولكن كل سورة تُعطي شيئاً جديداً تعرضه ضمن معانٍ قد تكون تكررت من قبل كثيراً أو قليلاً.[٢]

كما يُسهم الحذف في تحقيق الترابط بين آيات السّور المُختلفة يُدرك المُتلقي ذلك من خلال ملاحظة التكامل بين آيات السّور، فسورة الكهف تحدّثت عن قضيّة الخلق بشكل موجز واختصرت مراحلها بحذف جزء منها بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾[٣] بينما جاءت سورة (المؤمنون) لتَبسُطَ القول في هذه المراحل جميعاً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٤].

والأمثلة على ارتباط السّور ببعضها بعلاقة التكميل والإتمام كثيرة للمدقق بين موضوعات السّور المختلفة، كالارتباط ما بين سورتي الحاقة والمعارج، وما بين سورتي القلم والحاقة وما بين سورتي المدثر والمزّمل، وسورتي محمد والفتح...[٥] وغيرها.

(١) النبأ: ٣١ – ٣٦.

(٢) ظ: سعيد حوى، الأساس في التفسير: ١١/ ٦٣٤٨.

(٣) الكهف: ٣٧.

(٤) المؤمنون: ١٢ – ١٤.

(٥) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/ ١١٦، الآلوسي، روح المعاني: ١٥/ ٦٢، السيوطي، تناسق الدرر: ١٢٨.

٤ – علاقة التقابل

وهـو ارتـبـاط سورتين بمعنيين أو أكثر متوافقين فيُقابل أحدهما بالآخر، فالمُقابلة:(ترتيب الكلام على ما يجب، وأن يؤتى بالموافق وما يُوافقه، وفي المُخالف وما يُخالفه، وأكثر ما تكون المُقابلة في الأضداد، فإذا جاوزت المطابقة ضدّين كانت مُقابلة)[١]وتوظف هذه العلاقة لبيان ارتباط السّور فيما بينها فتُقابل الموضوعات مع بعضها.

وتتجلى بشكلٍ واضح بين سورتي الماعون والكوثر فالتقابل بين آيات هاتين السّورتين جاء في أمورٍ عدّة، قال الرازي(ت٦٠٦هـ):(إن هذه السّورة [الكوثر] كالمُقابلة للسّورة المتقدمة [الماعون] وذلك لأن في السّورة المتقدمة وصف الله تعالى المنافق بأمورٍ أربعة ؛أولها:البخل.وهو المراد من قوله:﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[٢]والثاني:ترك الصلاة أو التهاون فيها، وهو المُراد من قوله تعالى:﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٣]والثالث: المراءاة في الصلاة، وهو المراد من قوله تعالى:﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴾[٤]والرابع: المنع من الزكاة، وهو المُراد من قوله تعالى:﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[٥]فذكر في هذه السّورة في مقابلة تلك الصفات الأربع صفات أربعة أخرى، فذكر في مُقابلة البخل قوله تعالى:﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[٦]وذكر

(١) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٦٣٧.
(٢) الماعون: ٢ – ٣.
(٣) الماعون: ٥.
(٤) الماعون: ٦.
(٥) الماعون: ٧.
(٦) الكوثر: ١.

في مقابلة: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[١] أي دُم على الصلاة، وذكر في مقابلة: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴾ قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[٢] أي أئت الصلاة لرضا ربك لا لمُراءاة النّاس، وذكر في مقابلة: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أراد به التصديق بلحم الأضاحي)[٣] فتقابلت السّورتان في معانيهما، فقد ذمّ سبحانه في السّورة الأولى تاركي الصلاة، ومانعي الزّكاة، وقابلهما في السّورة اللاحقة إنهم إن فعلوا ذلك وكذّبوا النبيّ ﷺ فانه قد أعطاه الخير الكثير، وأمره بالصلاة[٤] ومن خلال هذه المقابلة يجد المُتلقي نفسه بين خيارين حتى تتضح السُّبل أمامه، فتَحققَ الهدف من خلال آلية التقابل بكشف وبيان السّبيلين.

---

(١) الكوثر: ٢.

(٢) الكوثر: ٣.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣٢/ ١١٠.

(٤) م. ن: ٣٢/ ١١٠.

(ثانياً – التَّرابط الخاص)

١ – التَّشابه الأسلوبي.

٢ – الارتباط بين ختام السُّورة ومفتتح اللَّاحقة.

٣ – تعلّق الجار والمجرور.

٤ – التَّرابط الايقاعي.

يأخذ الترابط الموضوعي الجانب الأكبر والأهم في العلاقات ما بين السّور في تشابك موضوعاتها واتصالها ببعضها، إلّا إن هذا لا يعني أن علاقاتها تقتصر على ذلك بل إن هناك علاقات خاصّة تربط بين بعض السّور، فقد تكون نزلت مُتقاربة زمنياً، أو اشتركت في أُسلوبها، ولكن هذا الترابط ليس منفرداً أو منفصلاً عن العلاقات المعنوية بل تأتي مُتّسقةً معها ومكملة للإرتباط.

وتتخذ علاقات الترابط الخاصّة أشكالاً عدّة ؛فهي تارةً اسلوبيّة وأخرى صوتيّة تعتمد على تماثل الفواصل أو بارتباط آخر السّورة بأول لاحقتها، ومن هذه العلاقات.

١ – التَّشابه الأسلوبي

تأخذ هذه العلاقة جانباً شكلياً يتضح من خلال تشابه اسلوب السّورتين من خلال الصيغ اللفظية أو التركيبية التي صيغت بها، مع الأخذ بنظر الاعتبار الارتباط المضموني بينهما، فارتباط سورتي الإنشراح والضحى يُعدّ ارتباطاً اسلوبياً فضلاً عن الى ترابط المضامين، فسورة الإنشراح فصّلت ما في آخر الضحى من النّعمة وبيّنت أن التحدّث بالنعمة وشكرها بالتعب في العبادة والتقرّب إلى الله رغبةً إليه بتذكر إحسانه[1] فذكّرت النبيّ ﷺ بنعم الله عليه والمواقف التي سانده فيها، فارتبطت السّورتان بالتشابه في اسلوبهما المعتمد على الاستفهام والنّفي المتكرر في السّورتين(ألم نشرح، ألم يجدك)مع العطف بصيغة الماضي(ما ودّعك، وما قلى، ووجدك ضالّاً) وانتهاء كلّ سورة منها بصيغ تتضمن التأكيد المتمثل باسلوب الاختصاص المعتمد على تقديم المفعول(أما اليتيم، أما السّائل، ...)وكذلك اسلوب التكرار(فإن مع

---

(١) ظ: البقاعي، نظم الدرر: ٨/ ٤٦٠، و ظ: نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن: ١٧٦.

العسر يسرا، إن مع العسر يسرا).

فوجود علاقة بين السّور معنوية كانت أو لفظية أو تركيبيّة أو صوتية فإنها تُسهم في تفسير السّور من خلال الربط بين مضامينها من جهةٍ وارتباطها بأشكال وأساليب قد تتقابل أو تتكامل فيما بينها.

فالارتباط بين السّورتين كان في التشابه الأسلوبي فيما بينهما فضلاً عن الترابط المضموني، حتى عدّهما الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ)سورة واحدة بقوله:(ألم نشرح والضحى سورة واحدة لتعلق بعضها ببعض)[١]فشكلت العلاقة الأسلوبية وجهاً آخر خاصّاً من وجوه الترابط مما يؤكد ارتباط السّورتين ببعضهما.

٢ – الارتباط بين ختام السُّورة ومفتتح اللَّاحقة لها

ترتبط بعض السّور فيما بينها ارتباطاً بين ختام السّورة ومقدمة السّورة اللاحقة لها بشكلٍ يتناسب المفتتح في الثانية مع خاتمة الأولى فيكون في الآية الأخيرة ذكرٌ لأمرٍ يفتتح به السّورة اللّاحقة، كاختتام سورة آل عمران بذكر التقوى بقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]وافتتاح سورة النساء بمثل ما اختتمت به من الأمر بالتقوى بقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[٣]على ان ما بين السّورتين من تفصيل المجملات[٤]ما يربط بينهما أبعد من قضيّة ارتباط الأطراف

(١) التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٤١٢.

(٢) آل عمران: ٢٠٠.

(٣) النساء: ١.

(٤) ظ: الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن: ١٩٨ – ١٩٩، و ظ: السيوطي، تناسق الدرر في

ببعضها وتشابهها ولكن مع ذلك شكّلت هذه العلاقة وجهاً من وجوه ارتباط الموضوعات ببعضها بحسب مواضع الآيات في آخر السّورة الأولى وأول السّورة الثانية.

وكذلك ارتباط آخر سورة الإسراء وأول الكهف لفظاً، فاختتمت الأولى بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِّ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾[1] وافتتحت الكهف بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِّ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾[2] فارتبطت السّورتان بذكر التحميد بتشابه أطرافهما مع ما بينهما من الوجوه الأخرى من الترابط في الموضوعات كما اقترنت السّورتان بوجهٍ آخر وهو ابتداء الأولى بالتّسبيح: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[3] وافتتحت الثانية بالتحميد لما بين التّسبيح والتحميد من التلازم والإقتران سواءٌ في القرآن الكريم أو في سائر الكلام، فالتّسبيح يسبق التحميد لأنه إثبات للكمال بعد نفي النّقص فهو الترقّي في وصف الله تعالى والثناء عليه.[4]

وقد ترتبط سورتان برباطٍ يعتمد على تكرار اللفظ في ختام السّورة الأولى ومفتتح السّورة اللّاحقة كارتباط سورتي الطّور والنّجم، فقد اختتمت الأولى

تناسب السّور: ٧٥، و ظ: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٤/ ٣٢٠ – ٣٢١.

(١) الإسراء: ١١١.

(٢) الكهف: ١.

(٣) الإسراء: ١.

(٤) ظ: الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن: ٢٤٨، و ظ: السيوطي، تناسق الدرر: ٩٩، و ظ: الغماري، جواهر البيان في تناسب سور القرآن: ٥٧.

بقوله تعالى:﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[١]وافتتاح سورة النجم بقوله تعالى:﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[٢]يقول السيوطي(ت٩١١هـ)في بيان ترتيب سورة النجم بعد الطور:(ووجه وضعها بعد الطور إنها شديدة المناسبة لها، فان الطور ختمت بقوله(وأدبار النجوم)واختتمت هذه بقوله(والنجم إذا هوى))[٣].

إلّا إن هذا الأرتباط الشكلي القائم على اللفظ لا يُعدّ الوجه الوحيد للارتباط بينهما، فهناك وجه آخر لارتباطهما معاً إذ ذكر في سورة الطور ذرية المؤمنين وإنهم يتبعون آباءهم:﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[٤]وذكر في سورة النجم ذرية اليهود بقوله:﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[٥]فلما ذكر في الأولى:﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[٦]أي لم ينقص الآباء ما أعطى للبنين مع نفعهم بما عمل اباؤهم، بينما قال في صفة الكفار وابناءهم:﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[٧]وهو من باب التضادّ الذي يشكّل احدى علاقات الارتباط المعنوي فضلاً عن الارتباط باللفظ المتكرر بين ختام الأولى ومفتتح الثانية.

(١) الطور: ٤٩.
(٢) النجم: ١.
(٣) تناسق الدرر: ١١٩.
(٤) الطور: ٢١.
(٥) النجم: ٣٢.
(٦) الطور: ٢١.
(٧) النجم: ٣٩.

٣ – تعلق الجار والمجرور

تتمثل هذه العلاقة بالارتباط تركيبياً حتى لتبدو السّورتان وكأنهما سورة واحدة كارتباط سورة الفيل بسورة قريش، إذ اختتمت السّورة الأولى بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾(١) وابتدأت الثانية باللّام المتعلقة بنهاية السّورة، والمعنى في هذا التعلق في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾(٢) أن الله قضى على أصحاب الفيل وكان ثمرة ذلك وعاقبته أن قريشاً تآلفت، فاللام هنا لام العاقبة وهي أشبه بقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾(٣) إذ تعلق الجار والمجرور في أولها بالفعل في آخر تلك السّورة.(٤)

وقيل في معناها:(ان اللام تعليلية متعلقة بمُقدّر يدل عليه المقام، والمعنى ؛فعلنا ذلك بأصحاب الفيل منّاً على قريش مضافة الى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف)(٥).

وقد فسّر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)هذا الارتباط كونه:(بمنزلة التضمين في الشعر، وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلّقاً لا يصحّ إلّا به)(٦).

---

(١) الفيل: ٥.

(٢) قريش: ١.

(٣) القصص: ٨.

(٤) ظ: الزركشي، البرهان: ١/ ٥٠، والسيوطي، معترك الأقران: ١/ ٥٢.

(٥) الطباطبائي، الميزان: ٢٠/ ٤٢١.

(٦) الكشاف: ٤/ ٨٠٦.

فالسّورتان ارتبطتا ببعضهما بعلاقة التعلّق فضلاً عن الترابط المضموني والاتصال دلالي من جانب ولغوي من جانب آخر.

٤ – الترابط الايقاعي

يعتمد هذا النّوع من العلاقات على وجود رابطة صوتيّةٍ أو تناغم إيقاعي بين فاصلتي سورتين، وتكاد تنحصر هذه العلاقة ما بين سورتي(المسد)و(الإخلاص) فقد أرجع السيوطي[١](ت٩١١هـ)اختلاف الفاصلة في الآية الأخيرة من سورة المسد، وهي: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[٢]عن بقيّة فواصل آيات السّورة الى التوازن الايقاعي بين آخر السّورة الأولى والسّورة اللاحقة لها، فجاءت الفاصلة الأخيرة على حرف الدال خلافاً لجميع فواصل السّورة التي جاءت على حرف الباء، لتتناسب صوتياً مع فواصل سورة الاخلاص التي جاءت جميعها على حرف الدال فتشكل رابطاً بين السّورتين يتمثل في الإيقاع المتناغم بين آخر السّورة وبين لاحقتها.

هذه العلاقة قد تبدو نوعاً من أنواع الترابط إلّا إنه لا يمكن الجزم بأن هذه العلاقة هي ما يجمع بين السّورتين فالتلاحم الموضوعي بين هاتين السّورتين وبين ما سبقهما من سور كسورتي(الكافرون)و(النصر)أمر واضح خاصّة وان ترتيبها الزمني في النزول مختلف عن ترتيبها في المصحف فاشتمالها على التوحيد وإخلاص العبادة لله وجزاء المنكر والكافر في مقابل جزاء المؤمن فكأن أحداها اقامت الدليل على ان الله احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً ولا يستحق العبادة إلّا من كان كذلك وليس في معبوداتهم ما هو كذلك حينما نفى عبادة ما يعبدون في سورة(الكافرون)

---

(١) ظ: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١/ ٥٣، والإتقان: ٤٧٦.

(٢) المسد: ٥.

صرّح في(الاخلاص)بما يلزم ذلك(وانما فُصِل بين النظيرتين[١]بالسورتين لما تقدّم من الحكمة، وكأن ايلاءها سورة تبت ورد عليه بخصوصه)[٢]فالعلاقة الايقاعية – فيما يبدو – ليست هي الرابطة التي تقوم عليها ارتباط السّورتين بل ترابط المضامين هو الجامع بينها.

وبهذا نجد أن ما بين السّور من اتحاد أو تلاؤم أو تشابه أو تعلق بشكل ما، أمر موجود لا يمكن نفيه، وان ما بين السّور من وحدة موضوعيّة تجمع بينها على مستوى الآيات والسّور واضح جداً قد يبدو _ ظاهرياً _ ان لا ارتباط بينها، وان كل سورة مستقلة عن الأخرى في مضامينها وموضوعاتها لكنها تشترك وتترابط ضمن إطار القرآن الكريم ككل حتى يكون كالآية الواحدة بل كالكلمة الواحدة.

---

(١) أي(الكافرون، والاخلاص)بالنصر والمسد.

(٢) السيوطي، تناسق الدرر: ١٤٧.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة للروابط في القرآن الكريم أتوقف لعرض أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

١ - أن النص القرآني يشكّل كلاً متكاملاً لا تنفصل أجزاؤه بعضها عن بعض فهي تأتلف لفظياً وتركيبياً وتلتحم موضوعياً ولا يمكن فهم آيات القرآن الكريم مجزأةً بعضها عن بعض.

٢ - ان الوقوف عند الألفاظ او التراكيب قد يفتح مجالاً لفهم جانب من جوانب النص القرآني لكنه لا يعطي فهماً واضحاً وشاملاً للآيات بل قد يكون عاملاً مساعداً على تفكيك النص وتثبيت اجزائه إن اقتصرت الدراسة على ذلك فقط، فالالفاظ والتراكيب تشكل البنية السطحية للنص التي تأتي مرتبة على أساس المعاني.

٣ - ان العلاقات المعنوية التي تختزنها ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه وأساليبه الفنية تمثل البناء العمودي للنص، فهذه العلاقات لا تظهر واضحة انما تُدرك من خلال سياق النص وارتباط القضايا بعضها ببعض ارتباطاً منطقياً سليماً بشكل تجعل مقاطعه متلاحمة منسجمة لا انفصام بينها وهي الأساس في فهم المعنى العام للنص

وبدورها تتعاضد مع الأسس اللفظية والتركيبية من اجل فهم صحيح شامل للنص القرآني.

٤ – للعناصر الفنية أثر كبير في فهم النص القرآني فهي لا تنفصل عن الأسس اللفظية والعلاقات المعنوية وتأتي مكملة لها لإيصال المعنى وإحداث الأثر النفسي في المتلقي الذي يحركه ويخلق فيه الاستعداد لتلقي التأثير حيث يتداخل العنصر الفني مع الهدف الديني التوجيهي في اسلوب راقٍ ومعبرٍ يحقق الغرض من الخطاب القرآني، فيكون للإيقاع أثره في النفس، وللقصة اسلوبها في تحقيق الهدف، وللصورة أهميتها في تقريب المعنى وتأكيده من خلال التنبيهات والاستعارات والمجازات تحقيقاً للغرض الكلي.

٥ – ان السورة القرآنية – طويلة كانت أم قصيرة – تنتظم وفق نظام محكم متكامل لا تنفصم اجزاؤه بعضها عن بعض ولا يمكن فهم آياتها(اجزائها)الا من خلال الكل والعكس صحيح بما يكشف عن نظام خاص في ترتيبها جعل الآيات المتفرقة في النزول زماناً ومكاناً متآلفة فيما بينها في ترتيب المصحف بشكل لا يمكن ان يكون ترتيبه اعتباطياً أو عشوائياً بل قام على أساسٍ منطقي أو ترتبط مقدمة السورة بخاتمتها على أسس قويمة وتتعاضد مقاطعها بشكلٍ يثير الدهشة.

٦ – ان الترابط القائم بين سور القرآن كافة يثبت بأن هذا الترتيب الذي رُتب به المصحف ترتيباً توقيفياً وليس لأحد فيه رأي ولا اجتهاد ويؤكد ما جاء من روايات في صحة جمع النبي ﷺللقرآن وترتيبه في عهده ولم يترك ذلك لغيره بما يفند روايات الجمع المتأخر بعد وفاته، على أن الروابط بين السور وإن اتخذت أشكالاً عدَّة كالاتحاد والتلازم والتشابه او التعلق بشكلٍ ما، فما بين السور من وحدة موضوعية تجمع بينها

على مستوى الآيات أمر واضح جداً وإن بدا – ظاهرياً – أن لا ارتباط بينها، وان كل سورة مستقلة عن الأخرى في مضامينها وموضوعاتها لكنها تشترك وتترابط ضمن نطاق القرآن الكريم كونه كلاً متكاملاً فكأنه كالآية الواحدة بل كالكلمة الواحدة يشهد بعضه على بعض ويصدق بعضه ببعضاً.

٧ – ان التدبر في القرآن الكريم ومحاولة فهم أسراره ومعرفة مقاصده تتطلب دراسة شاملة لكل الأبعاد إذ أن الدراسات السابقة بل وأكثر المؤلفات في تفسير القرآن الكريم اعتمدت على الاسلوب التجزيئي أو الوقوف عند الألفاظ والجمل والعبارات حتى ليجد القارئ نفسه قد تاه في مباحث لغوية وبلاغية وجوانب أخرى دون أن يصل الى مقاصد النص وأهدافه، فلا بد أن تتجه الدراسات المعاصرة الى الإفادة من كل ما سبق وتوظيفها للوصول الى فهم عميق وتفسير صحيح للقرآن الكريم بالنظر اليه كونه نصاً واحداً متكاملاً دون تجزئة لآياته وسوره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

أ _ المصادر

١- الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، ضبط وتصحيح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٢، ٢٠٠٥ م.

٢- ابن ابي الأصبع المصري(ت ٦٥٤هـ)بديع القرآن، تقديم وتح: حقي محمد شرف، دار نهضة، القاهرة مصر العربية، ط ٢(د ت).

٣- ابن ابي الأصبع المصري(نفسه)تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح:حفني محمد شرف، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة مصر العربية، ط ١، ١٣٨٣هـ.

٤- الاندلسي، ابو حيان، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.

٥- البحراني،هاشم بن سلمان (ت١١٠٧هـ)البرهان في تفسير القرآن، تحقيق وطباعة قسم الدراسات الاسلامية في مؤسسة البعثة، قم _ ايران، ط١، ١٩٩٩م.

٦- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب(ت ٤٠٣هـ)إعجاز القرآن، تح:أحمد صقر،

دار العارف، القاهرة مصر العربية، ط ٥(د. ت).

٧- البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم(ت٢٥٦هـ)صحيح البخاري، ضبط: محمود محمد محمود حسن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٥، ٢٠٠٧ م.

٨- البرقي، أحمد بن محمد بن خالد(ت٢٨٠هـ)كتاب المحاسن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، ٢٠٠٨ م.

٩- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمرو(ت٨٨٥هـ)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٣، ٢٠٠٦ م.

١٠- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي(ت٤٥٨هـ)سنن البيهقي، ضبط محمود محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٤، ٢٠٠٥ م.

١١- التهانوي، محمد علي بن علي بن محمد(ت١١٥٨هـ)كشاف اصطلاحات الفنون، ضبطه: أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٢، ٢٠٠٦م.

١٢- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف(ت٨٧٥هـ)تفسير الثعالبي المسمّى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، علق عليه وخرج أحاديثه: علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار احياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط ١، ١٩٩٧ م.

١٣- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ)البيان والتبيين، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط ٢، ٢٠٠٣ م.

١٤- الجرجاني، عبد القاهر(ت ٤٧١هــ)أسرار البلاغة، تح: د محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، القاهرة مصر العربية، ط ١، ١٩٧٦م.

١٥- الجرجاني(نفسه)دلائل الإعجاز، تصحيح:محمد عبدة و محمد محمود الشنقيطي، علّق عليه:محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط ٣، ٢٠٠١ م.

١٦- الجرجاني(نفسه)الرسالة الشافية، ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح وتع: محمد خلف الله أحمد و د محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة مصر العربية، ط ٥، ٢٠٠٨م.

١٧- الجرجاني، علي بن محمد(ت٨١٦هـ)كتاب التعريفات، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٣ م.

١٨- ابن جزي الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد(ت٧٤١هـ)التسهيل لعلوم التنزيل، ضبط وتصحيح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٩٩٥ م.

١٩- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان(ت٣٩٢هـ)الخصائص، تح: محمد النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر العربية(د. ت)(د. ط).

٢٠- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر(ت٨٥٢هـ)الإصابة في معرفة الصحابة، دراسة وتح وتع: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٣، ٢٠٠٥ م.

٢١- الحر العاملي، محمد بن الحسن(ت١١٠٤هـ)وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠٠٨ م.

٢٢- ابن حنبل، أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)مسند أحمد، شرحه ووضع فهارسه:أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة مصر العربية، ط ٤(د. ت).

٢٣- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم(ت٣٨٨هـ)بيان إعجاز القرآن،

ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح وتع: محمد خلف الله أحمد، و د محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة مصر العربية، ط ٥، ٢٠٠٨م.

٢٤- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني(ت٢٧٥هـ)السنن، ضبط: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٢، ٢٠٠٥ م.

٢٥- الـرازي، فخر الدين محمد بن عمر البكري الشافعي(ت٦٠٤هـ)التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٢، ٢٠٠٤ م.

٢٦- الـرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر(ت٦٦٦هـ)مسائل من غرائب آي التنزيل، تح وتصحيح: ابراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة – مصر العربية، ط ١، ١٣٨١ ه.

٢٧- الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)المفردات في غريب القرآن، ضبط وتحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط ١، ١٩٩٨ م.

٢٨- ابن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح ؛ محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط ١، ١٩٧٢.

٢٩- الرضي، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي(ت٦٨٦هـ)شرح الكافية لابن الحاجب، الشركة العمانية العثمانية، ط ١، ١٣١٠ه.

٣٠- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى(ت٣٨٦هـ)النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح وتع: محمد خلف الله أحمد و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة – مصر العربية، ط ٥، ٢٠٠٨ م.

٣١- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر(ت٧٩٤هـ)البرهان في علوم القرآن، تح:

مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٧ م.

٣٢- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ)الكشاف عن حقائق التنزيل في عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط ٢، ٢٠٠١ م.

٣٣- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري(ت٢٣٠هـ)الطبقات الكبرى، دراسة وتح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٢، ١٩٩٧ م.

٣٤- ابن سنان الخفاجي، محمد بن عبد الله(ت٤٦٦هـ)سرّ الفصاحة، تح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة: محمد علي صبيح، القاهرة مصر العربية، ط١، ١٩٥٢ م.

٣٥- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت ٩١١هـ)الإتقان في علوم القرآن، ضبط وتصحيح:محمد سالم هام، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

٣٦- السيوطي(نفسه)تناسق الدرر في تناسب السّور، تح:عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٨٦ م.

٣٧- السيوطي(نفسه)الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تصحيح: نجدت نجيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠١ م.

٣٨- السيوطي(نفسه)مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج، الرياض – السعودية، ط ١، ١٤٢٦ ه.

٣٩- السيوطي(نفسه)المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وصححه:محمد أحمد جاد المولى و محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٨٦م.

٤٠- السيوطي(نفسه)معترك الأقران، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، دار

الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

٤١- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي(ت٧٩٠هـ)الموافقات في أصول الشريعة، عنى بضبطه وترقيمه ووضع تراجمه: محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط ٢، ١٩٧٥ م.

٤٢- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت١٢٥٠هـ)فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ضبط وتصحيح: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د. ت)(د. ط).

٤٣- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن(ت ٥٤٨هـ)مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: لجنة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط ٢، ٢٠٠٥ م.

٤٤- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)تفسير الطبري المسمّى جامع البيان في تأويل القرآن(د. ح)دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٤، ٢٠٠٥ م.

٤٥- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد(ت٤٦٣هـ)الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح وتع: علي محمد عوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٢، ٢٠٠٢ م.

٤٦- العسكري، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(ت٣٩٥هـ)الفروق اللغوية، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٩ م.

٤٧- العسكري، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(ت٣٩٥هـ)كتاب الصناعتين، تح: محمد علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة مصر العربية، ط ٢، ١٩٨١م.

٤٨- ابن عطية الأندلسي، أبي محمد عبد الحق بن غالب(ت٥٤٦هـ)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠٠١ م.

٤٩- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل(ت٧٦٩هـ)شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، مؤسسة الصادق، طهران – إيران، ط ١، ١٤١٧ ه.

٥٠- العياشي، أبو النصر محمد بن مسعود(ت٣٢٠هـ)تفسير العياشي، تصحيح وتعليق: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، (د. ت).

٥١- الغرناطي، أبي جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير(ت٧٠٨هـ)البرهان في ترتيب سور القرآن، دراسة وتحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٩٩٠ م.

٥٢- الغرناطي(نفسه)ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠٠٦ م.

٥٣- ابن فارس(ت٣٩٥هـ)الصاحبي في فقه اللغة، تح: السيد أحمد صقر، مطبعة بابي الحلبي، القاهرة – مصر العربية(د. ط)(د. ت).

٥٤- ابن فارس(نفسه)معجم مقاييس اللغة، اعتنى به: محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

٥٥- الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت١٧٥هـ)العين، تح: الدكتور مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الفكر، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٦ م.

٥٦- الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت لبنان(د. ت)(د. ط).

٥٧- الفيض الكاشاني، الشيخ محسن(ت١٠٩١هـ)تفسير الصافي، تح: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨ م.

٥٨- القرطاجني، حازم بن محمد بن حسن(ت٦٨٤هـ)منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط٣، ١٩٨٦م.

٥٩- القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري(ت٦٧١هـ)الجامع لأحكام القرآن ن اعتنى به وصححه: هشام سليم البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٢ م.

٦٠- القزويني، صلاح الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب(ت٧٣٩هـ)الإيضاح في علوم البلاغة، قدم له وبوبه وشرحه: د علي أبو ملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.

٦١- القزويني(نفسه)التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط ٢، ١٩٣٢ م.

٦٢- القيرواني، الحسن بن بن رشيق(ت٤٦٣هـ)العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت لبنان، ط١، ١٩٧٢م.

٦٣- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت٧٥١هـ)بدايع الفوائد، ضبط نصه وخرج آياته: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط(د. ط)(د. ت).

٦٤- ابن قيم الجوزية(نفسه)الفوائد المشوّقة إلى علوم القرآن، تح: لجنة تحقيق التراث،

منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط ١ (د. ت).

٦٥- الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب(ت٣٢٨هـ)أصول الكافي ويليه الروضة(د. ت)مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠٠٥ م.

٦٦- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي(ت١١١١هـ)بحار الأنوار، المطبعة الإسلامية، طهران إيران، ط ١، ١٩٥٨ م.

٦٧- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ)صحيح مسلم(د. ح)دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٢، ٢٠٠٣ م.

٦٨- ابن منظور، محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان،ط ١، ١٩٨٨ م.

٦٩- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد(ت٧٢٨هـ)غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ضبطه وأخرج أحاديثه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.

٧٠- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري(ت٤٦٨هـ)أسباب النزول دار الفكر، بيروت – لبنان، ط ١، ١٩٩٤ م.

ب المراجع

٧١- أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، منشورات كلية الآداب، الرباط، المملكة المغربية، ط ١، ١٩٩٢م.

٧٢- أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، دار الكتب المصرية(د. ط)(د. ت).

٧٣- أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في دراسة النحو العربي، دار العلوم، القاهرة

بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.

٧٤- أحمد مطلوب(الدكتور)معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط ٢، ١٩٩٦م.

٧٥- أشرف عبد البديع عبد الكريم(الدكتور)الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة مصر العربية، ط ١، ٢٠٠٨م.

٧٦- بسام قسطوس، وحدة القصيدة في النقد الأدبي الحديث(دراسة في تطور المفهوم واتجاهات النقاد)مؤسسة حمادة و دار الكندي، أربد – الأردن، ط ١، ١٩٩٩ م.

٧٧- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة مصر العربية، ط ٢، ٢٠٠٠م.

٧٨- تمام حسان(نفسه)الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة مصر العربية، ط ١، ٢٠٠٠م.

٧٩- تمام حسان(نفسه)اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر العربية، ط ٢، ١٩٧٩م.

٨٠- التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الدار التونسية للنشر، تونس تونس، ط ١، ١٩٧٤م.

٨١- جمعان عبد الكريم، إشكالات النّص، دراسة لسانية نصيّة، النادي الأدبي والمركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٩م.

٨٢- جميل صليبا(الدكتور)المعجم الفلسفي، ذوي القربى، قم إيران، ط ١، ١٣٨٥هـ.

٨٣- حسام أحمد فرج(الدكتور)نظرية علم النّص، رؤية منهجية في بناء النّص النثري،

مكتبة الآداب، القاهرة مصر العربية، ط ١، ٢٠٠٧م.

٨٤- حسن عباس، خصائص الحروف ومعانيها، منشورات إتحاد الكتّاب العربي، دمشق سورية، ط ١، ١٩٩٨م.

٨٥- خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر، عمان الأردن، ط ١، ٢٠٠٩م.

٨٦- الخوئي، السيد أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط ٣، ١٩٧٤م.

٨٧- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر العربية، ط ١، ١٩٨٩ م.

٨٨- روبرت دي بوجراند و ولفانج دريسلر، مدخل الى علم لغة النّص، تر: الهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر العربية، ط ٢، ١٩٩٩ م.

٨٩- روبرت دي بوجراند(نفسه)النّص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة مصر العربية، ط ١، ١٩٩٨م.

٩٠- الزركلي، خير الدين، الأعـلام، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط ١٢، ١٩٧٧م.

٩١- الزنجاني، تاريخ القرآن، منظمة الإعلام الإسلامي، طهران إيران، (د. ط)(د. ت).

٩٢- زهير غازي زاهد(الدكتور)في النّص القرآني وأساليب تعبيره، دار صفاء للنشر والتوزيع و مؤسسة الإمام الصادق الثقافية، عمان الأردن، بابل العراق، ط ١، ٢٠١٢م.

٩٣- زياد خليل الدغامين(الدكتور)التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط ١، ٢٠٠٧ م.

٩٤- سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية وتطبيقية في البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة - مصر العربية، ط ١، ١٩٩٩ م.

٩٥- سيّد قطب، التصوير الفنّي في القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٧٨م.

٩٦- سيد قطب(نفسه)في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة مصر العربية، ط ٣٤، ٢٠٠٤ م.

٩٧- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة مصر العربية، ط ١، ٢٠٠٠م.

٩٨- صبحي الصالح(الدكتور)دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٩ م.

٩٩- صبحي الصالح(نفسه)مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ١٠، ١٩٧٧ م.

١٠٠- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، سلسلة أدبيات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.

١٠١- طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس النحوي، الدار الجامعية، الاسكندرية - مصر العربية، ط ١، ١٩٩٨ م.

١٠٢- عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطي(الدكتورة)الإعجاز البياني في القرآن ومسائل نافع

بن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية، دار المعارف، القاهرة مصر العربية، ط ٣(د،ت).

١٠٣- عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ(الدكتورة)التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة مصر العربية، ط ٦(د. ت).

١٠٤- ابن عاشور(ت١٩٧٣م)التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠٠٠ م.

١٠٥- عبد الحميد الفراهي الهندي(ت١٣٤٩هـ)دلائل النظام، جمع وترتيب: بدر الدين الإصلاحي، المطبعة الحميدية – الهند، ط ١، ١٣٨٨ ه.

١٠٦- عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل الى التفسير الموضوعي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة مصر العربية، ط ١، ١٩٨٦م.

١٠٧- عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، مكتبة القاهرة، القاهرة – مصر العربية، ط ١(د. ت).

١٠٨- عثمان أبو زنيد، نحو النص، إطار نظري ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديثة، إربد الأردن، ط ١، ٢٠١٠م.

١٠٩- عزة شبل محمد(الدكتورة)علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة مصر العربية، ط ١، ٢٠٠٧م.

١١٠- علي آل موسى، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم، قراءة في المنهجين التجميعي والكشفي، دار كميل للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٩م.

١١١- عمر أبو خرمة، نحو النّص، نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديثة، أربد الأردن، ط ١، ٢٠٠٤م.

١١٢- عمر عبد الهادي عتيق(الدكتور)ظواهر اسلوبية في القرآن الكريم، التركيب والرسم والايقاع، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط ١، ٢٠١٠ م.

١١٣- فاضل السامرائي(الدكتور)التعبير القرآني، دار عمار، أربد - الأردن، ط ٥، ٢٠٠٧ م.

١١٤- فاضل السامرائي(نفسه)لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، أربد - الأردن، ط ٤، ٢٠٠٧ م.

١١٥- فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسين بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة مصر العربية، ط ١، ٢٠٠١م.

١١٦- فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار الآفاق العربية، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م.

١١٧- فضل حسن عباس، القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان الأردن، ط ١، ١٩٨٧م.

١١٨- فهد بن عبد الرحمن الرومي(الدكتور)اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٩٩٧ م.

١١٩- فولفانج، وديتر فيهجر، مدخل الى علم لغة النص، زهراء الشرق، القاهرة مصر العربية، ط ١، ٢٠٠٤م.

١٢٠- المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني(دراسة تأصيلية دلالية نقدية)دار وائل، الرباط - المغرب العربي، ط ١، ٢٠٠٨ م.

١٢١- مجموعة من الباحثين، المعجم الوسيط، دار الدعوة، اسطنبول تركيا، ط ١،

١٩٨٩م.

١٢٢- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل الى علم النّص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م.

١٢٣- محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، دار البيان العربي، بيروت -لبنان، ط ١، ١٩٨٦م.

١٢٤- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن الكريم، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، دار عمار، أربد – الأردن، ط ٢، ١٩٨٦ م.

١٢٥- محمد حسين الجلالي، دراسة حول القرآن الكريم، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠٠٢ م.

١٢٦- محمد حسين علي الصغير(الدكتور)تاريخ القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٩م.

١٢٧- الصغير(نفسه)الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٩م.

١٢٨- الصغير(نفسه)الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الهادي، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٢م.

١٢٩- الصغير(نفسه)نظرية النقد العربي، رؤية قرآنية مُعاصرة، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٩م.

١٣٠- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط ٢، ٢٠٠٢م.

١٣١- محمد خطّابي، لسانيات النّص مدخل الى إنسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب العربي، ط ٢، ٢٠٠٦م.

١٣٢- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار، خرج آياته وأحاديثه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢، ٢٠٠٥ م.

١٣٣- محمد رضا الحسيني الشيرازي، التدبر في القرآن، دار العلوم، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م.

١٣٤- محمد رضا المظفر(ت١٣٨٨هـ)أصول الفقه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم إيران، ط ١، ١٤٢٠هـ.

١٣٥- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربيّة، تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠١م.

١٣٦- محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب(قراءة في علوم القرآن)مكتبة الآداب، القاهرة - مصر العربية، ط ١، ٢٠٠٩ م.

١٣٧- محمد عبد الله دراز نظرات جديدة في القرآن، دار الفقه للطباعة والنشر، إنتشارات إسلامي، قم إيران، ط ١، ١٤٢٧هـ.

١٣٨- (نفسه)النبأ العظيم، مدخل الى القرآن الكريم، دار القلم، الكويت الكويت(د. ط)(د. ت).

١٣٩- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، منشورات ذوي القربى، قم إيران، ط ٢، ١٩٨٨م.

١٤٠- محمد فاكر الميبدي، قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، مركز التحقيقات

والدراسات العلمية، مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران إيران، ط ١، ٢٠٠٧م.

١٤١- محمد قطب، دراسات قرآنية، دار الشروق، القاهرة - مصر العربية، ط ٨، ٢٠٠٤ م.

١٤٢- محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن، مطبعة المدني، القاهرة مصر العربية، ط ١، ١٩٧٠م.

١٤٣- محمد نور الدين المنجد، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٧٧ م.

١٤٤- محمود البستاني(الدكتور)البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، دار الفقه للطباعة والنشر، قم إيران، ط ١، ١٣٨٢هـ.

١٤٥- البستاني(نفسه)التفسير البنائي للقرآن الكريم، مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد إيران، ط ١، ١٤٢٤هـ.

١٤٦- البستاني(نفسه)دراسات فنية في التعبير القرآني، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٨٤ م.

١٤٧- البستاني(نفسه)قصص القرآن دلالياً وجمالياً، مؤسسة السبطين العلمية، قم إيران، ط ٢، ٢٠٠٧م.

١٤٨- البستاني(نفسه)المنهج البنائي في التفسير، دار الهادي، سلسلة كتاب قضايا إسلامية، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٨م.

١٤٩- محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، دار القلم، القاهرة مصر العربية، ط ٤، ١٩٦٦م.

١٥٠- مصطفى حميدة، نظام الإرتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية، القاهرة مصر العربية، ط ١، ١٩٩٧م.

١٥١- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغي النّبوية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٢، ٢٠٠٢م.

١٥٢- مصطفى مسلم(الدكتور)مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق – سوريا، ط ٥، ٢٠٠٧ م.

١٥٣- المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، قم إيران، ط ١، ١٣٨٥هـ.

١٥٤- مهدي أسعد عرار، جدل اللفظ والمعنى، دار وائل للطباعة والنشر، عمان – الأردن، ط ١، ٢٠٠٢ م.

ج – المجلات والدوريات

١٥٥- جميل عبد المجيد، علم النص، بحث في مجلة عالم الفكر، مجلد ١٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ط ١، ٢٠٠٣ م.

١٥٦- عبد الله الخطيب و مصطفى مسلم(المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم) مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والانسانية، تصدر عن كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، المجلد ٢، العدد ٢، ربيع الثاني، ١٤٢٦ ه، (حزيران)٢٠٠٥ م.

١٥٧- محمود البستاني(الدكتور)(المنهج البنائي أو العضوي في تفسير القرآن الكريم) مجلة قضايا إسلامية، تصدر عن مؤسسة الرسول الأعظم، قم – إيران، العدد ٢، سنة ١٤١٦ ه، ١٩٩٥ م.

د – الرسائل والأطاريح الجامعية

١٥٨- إقبال وافي نجم(التناسب ودوره في الاعجاز القرآني)(رسالة ماجستير)جامعة الكوفة – كلية الفقه(١٤٣٠ه – ٢٠٠٩م).

المحتويات

الفَصلُ الأَوَّلُ

الفصل الثاني

الفَصۡلُ ٱلثَّالِثُ

الفصل الرابع

الفصل الخامس